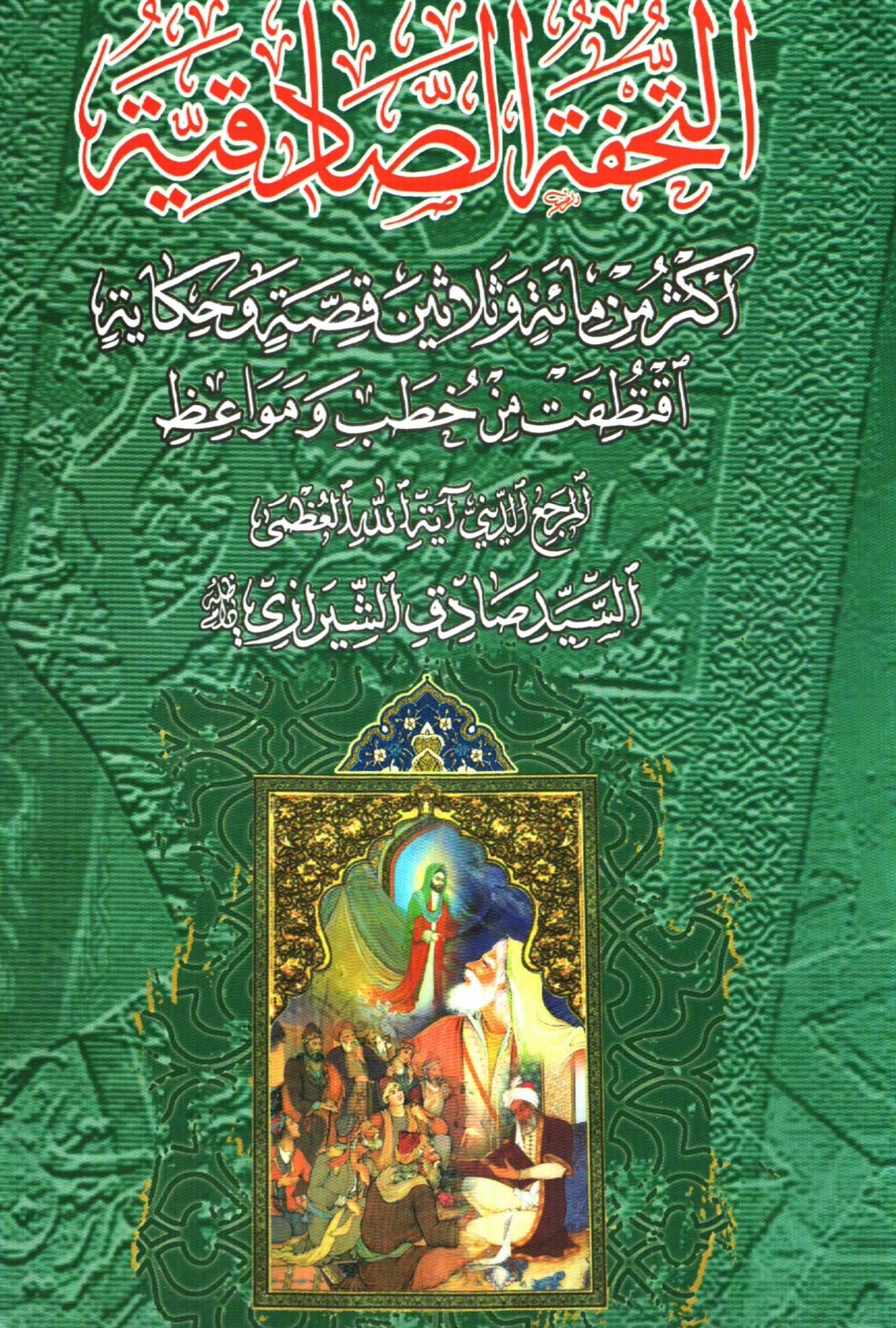


التحفة الصادقية
أكثر من مائة وثلاثين قصة وحكاية
اقتطفت من خطب ومواعظ
المرجع الديني آية الله العظمى
السيد صادق الشيرازي



التحفة الصادقية

أكثر من مائة وثلاثين قصة وحكاية
اقتطفت من خطب ومواعظ

المرجع الديني آية الله العظمى
السيد صادق الشيرازي دام ظله

إعداد

أم محمد جعفر الإمارة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، وبعد:

الأسلوب القصصي له الأثر البالغ في النفوس، فإنّ الطريقة القصصية تترك القارئ أو المتتبع في نشوةٍ وطمأنينة واستقرار نفسي وعاطفي؛ لأنها إحدى أساليب الوعظ والإرشاد، ولذا نرى القرآن المجيد جعل من أهم طرقه وأساليبه - في الهداية والموعظة والنصح والدعوة إلى الله- الأسلوب القصصي الذي طغى على الأساليب الأخرى، حتى تصور البعض أنّ في طرحه تكراراً - بناءً على القول بوجود التكرار في القرآن-.

وهكذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام انتهجوا المنهج القرآني من حيث الأسلوب القصصي.

وكذا سيرة علمائنا الأعلام، ولكن نرى هذه الخصلة بارزةً في المدرسة الشيرازية ا لتربوية الأخلاقية التي تركّز في دعوتها ونشرها لمعالم الدين الحنيف، والمذهب الحق على الأسلوب والجانب القصصي، ويلمس هذا كل من تتبع آثارهم وسمع كلامهم وعاشرهم.

نعم، هذا هو أسلوب سيدنا المرجع - آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظله- الذي يهزّ مشاعر من جلس بقربه بأسلوبه الشفّاف الجذّاب النادر عندما يقصّ عليك قصة، أو يحكي لك حكاية، أو يروي لك رواية، فيبقى تأثيرها في النفوس أياماً طوال ويشتاق إلى جلساته وحديثه وأسلوبه.

فعندما كنّا نوفّق ونلتقي بسيدنا المرجع (دام ظله) عائلياً بين الفترة والأخرى، فكان يتحفنا ببعض القصص والأخبار والمواعظ التي لا تُمَل، رغم انشغالاته بهموم المرجعية التي حملها على كاهله، فنسأله تعالى أن يطيل عمره بخيرٍ وعافية ويعينه، إنه سميع الدعاء.

ومن هنا انقدحت الفكرة أن نلملم الدرر والجواهر التي ذكرها سيدنا في كتاباته وكلماته وخطاباته ونظهرها إلى عالم النور كي يُنتفع بها؛ لأنها نابعة من منبعٍ عذبٍ فرات هم محمد وآله الأطهار.

وشرعنا وعملنا على جمعها وترتيبها من مصادر مختلفة بعضها من خطابات، وبعضها من كتابات وبعضها من الانترنيت، وهكذا جمعت حتى ربت على (١٣٠) قصة وحكاية.

ونقدّمها كتحفةٍ وهدية - مزجاة- لسيدنا المرجع (دام ظلّه)، فنرجو منه بلطفه وكرمه قبولها. وأسميناها بـ(التحفة الصادقية)، فنسأله تعالى أن يتقبل منّا هذا القليل بحق محمد وآله الأطهار.

أم محمد جعفر الإمارة

عيد الغدير المبارك

١٨/ذي الحجة/١٤٣٠

تقديم

تفضل به سماحة العلامة

الشيخ جلال معاش (دام تأييده)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

يؤكّد المختصون في مجال القصّة والسرد عموماً، أهمية هذا الجنس الأدبي وتأثيره الكبير والمباشر على القارئ وذلك لاحتوائه على شرط التشويق أولاً، ثم اليسر والتبسيط في نقل التجربة الفكرية أو العملية مباشرة إلى الذهن المستهدَف، فتصبح القصّة وأحداثها وقائع مجسدة تعمل على تنبيه الذات والإنسان على مكامن الخلل ومواطن الصواب في آن واحد.

ولذلك يلاحظ المؤمنون أن كتاب الله الحكيم قد عرض لكثير من التعاليم والأفكار عبر احداث القصص والتجارب المبسطة التي تهدف إلى إيصال الرشد والصواب إلى عقل الإنسان، ومن ثم نقلها إلى سلوكه لتصبح منهاج عمل للمؤمن في حياته الشائكة وهو يخوض في حقول الحياة الملغّمة بالحرام.

فقد أعتمد القرآن الكريم الذي يعتبر المصدر الأول للنظام الإسلامي والعمود الفقري للشريعة المحمدية السمحاء الأسلوب القصصي في الكثير من آياته الكريمة لكي يصبح أكثر تأثيرا في النفوس.. لذلك نرى أنّ لمادة (قصص) مشتقات وردت في اثنتين وعشرين آية وست وعشرين كلمة في القرآن الكريم (قصّ - نقص - يقصّ - القصص - قصصنا - قصصهم) وهكذا..

ومن الأمثلة على ذلك:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[1].

﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[3].

ولذلك نلاحظ ورود الكثير من قصص الأنبياء والأئمة الأطهار والأوصياء في القرآن الكريم والتي يمكن للإنسان أن يستخلص من أحداثها وتجاربها كثيراً من العبر والدروس والحكم العظيمة التي يُستفاد منها في بناء المستقبل الجديد..

لهذا خصّ الباري عز وجلّ كتابه الكريم بسورة كاملة تحمل اسم (القصص) لكي تتبين أهمية القصص القرآنية في تحريك الوجدان والضمير

---

(١) يوسف: ٣.

(٢) الأعراف: ١٧٦.

(٣) يوسف: ١١١.

لمن يتدبر ويتأمل فيها كونها تحمل في طيّاتها خلاصة العبر العظيمة التي يمكن أن تحصّن الإنسان من مهالك الزلل ومخاطره.. ولهذا يلحق بالآية مثلاً:

﴿..لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و﴿..لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ و﴿..مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

إذاً لا يمكن لأحد أن ينكر أهمية القصص في حياة الإنسان، حيث نرى العلماء والأدباء والخطباء لا يستغنون في بحوثهم عن القصص القرآنية والتاريخية لتأثيرها الكبير والبليغ على مختلف المستويات والطبقات.. ومنها قصص الأئمة الأطهار عليهم السلام والعلماء والعظماء في التاريخ الذين هم امتداد طبيعي للإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه..

لأن إحيائهم يتم بذكر مسيرتهم العطرة التي تُعدّ تجسيداً حقيقياً لسيرة آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم).. إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أرّخ مؤمناً كمن أحياه».

وهكذا أصبحت القصّة في هذا الزمن أكثر تفاعلاً وقرباً من الجمهور وأشد طلباً لهم وتأثيراً فيهم لاسيما طبقة الشباب حيث التمتع بالروح التواقة إلى التجارب العملية المجسدة على أرض الواقع، ولعلنا لا نخطئ حين نقول بأنّ القصّة وسرد أحداثها وما تنطوي عليه من حبّ للمعرفة والاطلاع يجعلها الأقرب من غيرها إلى نفوس الشباب، وقد وجّه الخطاب القرآني رسائل كثيرة انتهجت أسلوب القص لكي تصل إلى عقول الشباب والمؤمنين كافّة بأسرع واقصر الطرق وأكثرها تشويقاً.

ولكن ما هي رسالة القصص الهادفة؟

إنهـا العبـرة والاعتـبار ومدرسـة تنظيـرية عملـية لمـن يـريد الإصـلاح والتقدم والهداية والتكامل في حياته اليومية..

إذاً فهـي وجـبة غذائـية روحـية مـتكاملة للـروح والعقـل والكمـال الأخلاقي الرسالي.. وحلول واقعية لمشاكلنا اليومية..

وهنا لابد أنّ نقدّم الشكر الجزيل إلى السيّدة الفاضلة (أُمّ محمّد جعفر الإمـارة) علـى إعـدادها لكـتابها الجمـيل الموسـوم بـ (التحفة الصادقية) التي اختـارت فيه القصص الرائعة والصحيحة عن لسان مَن عرفته أوساط الحوزة العلمـية فـي العـالم بدقـته في نقل الروايات والاستدلالات، وكذا في اختيار وانـتخاب القـصص الهادفـة، ألا وهـو المـرجع الدينـي الكبيـر سماحة الفقيه الـسيّد صـادق الحـسيني الـشيرازي (دام ظلّـهُ الـشريف) الـذي عُـرف أيـضاً بفصاحة اللسان وسلاسة المفردة ولطفها في آن..

نـسأله تعالـى أن يجعل هذا الجهد المميز تحفة لها يوم القيامة، يوم لا يـنفع مـال ولا بـنون إنّـه سميع عليم.. وسبحان ربّ العزّة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

الشيخ جلال معاش

غرة صفر الخير ١٤٣١ هـ

قم المقدسة

١٨/ذي الحجة/١٤٣١

[١]

جسد الشيخ الصدوق يبقى طريا!

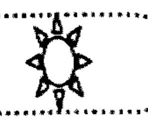
للشيخ الصدوق رحمه الله كتاباً ثميناً يُسمّى «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال» جمع فيه جزاء الأعمال الحسنة، كالصلاة والصوم والصدقة والصبر وغيرها تحت عنوان ثواب الأعمال، وجزاء الأعمال السيئة، كالغيبة والكذب وغيرهما تحت عنوان عقاب الأعمال.

يروي الشيخ الصدوق في هذا الكتاب أحاديث في ثواب من قلّم أظفاره في يوم الخميس، ومن قلّمها يوم الجمعة. ثم يقول الشيخ رحمه الله: من الأفضل للإنسان إذا أراد أن يحصل على الثوابين أن يقلّم أظفاره يوم الخميس إلا بعضها يتركه ليوم الجمعة.

وعندما رئي جسده بعد أكثر من ألف عام طرياً تحت التراب لوحظ أن أصابعه كلّها مقلمة إلا إصبعا واحدة كان قد تركها ليوم الجمعة إلاّ أن الأجل لم يمهله. علماً أنّ هذا الرجل العالم مع بقاء جسده حيّاً كل هذه السنين بقدرة الله تعالى؟ لحفظه أحكامه! وكم سنكون مقرّبين منه تعالى لو قدّرنا تلك الأحكام؟![١].

---

(١) نفحات الهداية: ص٧٦.



[٢]

السيد مهدي بحر العلوم رحمه الله بعد الموت!

هناك حادثة لعالم آخر من علماء الطائفة هو السيد مهدي بحر العلوم الذي توفي قبل أكثر من مئتي سنة ومدفنه في النجف الأشرف- قرب مسجد الطوسي- في شارع الطوسي الممتد من باب الصحن الشريف للمولى أمير المؤمنين عليه السلام والمسمى بباب الطوسي.

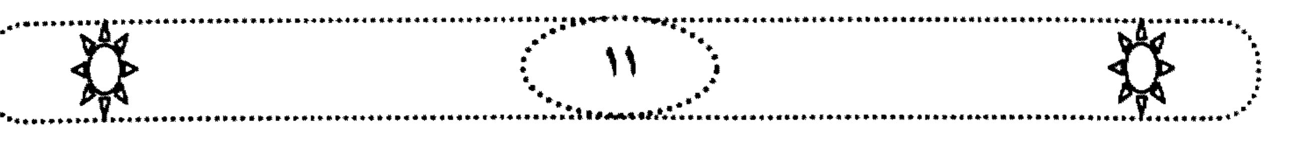
نقل الحادثة في وقتها مَن شاهدها عياناً وهو أحد طلبة المدرسة الهندية سابقاً- في كربلاء المقدسة يقول:

كنت في النجف الأشرف نازلاً في مدرسة (قوام) وهي مدرسة للعلوم الدينية بالقرب من قبر السيد بحر العلوم- وكان العمال مشغولين بالحفر عندما جاءوا إلى أحد أحفاد السيد بحر العلوم وهو السيد محمد تقي بحر العلوم وقالوا له: لقد عثرنا على جنازة جديدة! يقول راوي الحادثة فجاء السيد وأنا معه، فنزلنا إلى القبر فوجدناها جنازة السيد مهدي بحر العلوم وهي تبدو طرية بحيث عندما وضعت يدي على الجسد ثم رفعته فوجئت أنه كان يشبه البدن الحي الذي لو ضغطت عليه فترة ثم رفعت يدك فإنه يبيض أولاً ثم يعود للاحمرار بسبب جريان الدم فيه مجدداً..وكان حال السيد أشبه بشخص نامَ من ساعتين!

فهذا يُعتبر تقديراً من الله تعالى للعلماء الحقيقيين ومن حفظة أحكامه[1].

---

(١) نفحات الهداية، ص٧٧.



[٣]

افد يا مفيد منك الفتيا ومنا التسديد

الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) من كبار علماء الطائفة ، عاش قبل أكثر من ألف عام في الغيبة الصغرى للإمام الحجة عجل الله فرجه وكان يحضر درسه في بغداد العلماء من مختلف الطوائف والملل من العامة، والشيعة والنصارى، واليهود والصابئة.

ورد في تاريخه إنه سُئل يوماً في حكم امرأة حامل ماتت والولد ينبض في رحمها، فقال: يُشق الجانب الأيمن من البطن ويخرج الولد ثم يُدفن الأم. ثم تبين أنه أخطأ في جوابهم، فكان ينبغي أن يقول : بِشق الجانب الأيسر، فأسف على فتواه وقرر أن لا يفتي أحداً بعد ذلك.

علماً أنه لم يثبت من الناحية الطبية وجود فرق في شق بطن الحامل الميتة سواء كان من الجانب الأيمن أو الأيسر، ومع أنّ الشيخ المفيد لم يكن عامداً، بل صدرت منه الفتوى بخلاف الحكم الشرعي خطأ. وكل الناس معرّضون للخطأ إلاّ المعصومين عليهم السلام إلاّ إن الشيخ المفيد تألم إلى درجة بحيث قرر ترك الإفتاء؛ خشية الوقوع في الخطأ ثانية والقول بما لم يحكم الله– وإن لم يكن عامداً–.

هذا والشيخ المفيد بلغ درجة من العلم والفضل بحيث كان مرجعاً ليس للشيعة وحدهم، بل كان يرجع إليه المسلمون وغيرهم وينهلون من نمير علمه، وقد نُقل إن الإمام الحجة عجل الله فرجه نعاه بنفسه عندما توفي وكتب على قبره:

لا صـوّت الناعـي بفقـدك أنّـه يـومٌ علـى آل الرسـول عظـيم

عـالم بهـذه المنـزلة يحـذر من تكرر الخطأ منه فيجلس في بيته ويغلق عليه بابه ويقـرر عـدم الإفتاء، دون أن يجدي معه إصرار المراجعين، حتى بعـث إلـيه- على ما يُنقل- الإمام صاحب الزمان في أحد الأيام شخصاً وقـال لـه: يقول لك الإمام «افد يا مفيد منك الفتيا ومنّا التسديد»، ثم أعلم أن الإمام بعثني على الجماعة الذين استفتوك وقلت لهم: إن الشيخ يقول: «لقد أخطـأت» فـشقوا الـبطن مـن الجانـب الأيـسر عـندها أرسـل الـشيخ خلـف الجماعـة لـيتأكد من الموضوع، فقال لهم: ماذا عملتم بالمرأة الحامل؟ قالوا: شـقفنا بطـنها مـن الجانـب الأيـسر كما أخبرنا الشخص الذي أرسلته خلفنا و بعد ذلك عاد الشيخ المفيد للإفتاء[1].

[٤]

الفتاوى التي تحبس السماء بركاتها

تـنازع رجـلان فـي عهـد الإمام الصادق عند أبي حنيفة في كراء حيث اكتـرى أحـدهما فرسـاً مـن الثاني للذهاب إلى مكان للقاء صاحب له ولكـنه عندما وصل إلى ذلك المكان لم يلق صاحبه؛ لأنّه كان قد ذهب إلى نقطة أبعد منها، فاستمر في مسيره قاصداً إياه حتى بلغه.

وهـنا طالب صاحب الفرس أجراً أكثر للمسافة الزائدة، لكن المكتري اعتـرض بـأنّ الكراء كان بهدف الوصول إلى الصاحب وإن زادت المسافة،

---

(١) نفحات الهداية: ص٨٧

وحكم أبو حنيفة استناداً إلى قاعدة فقهية أخطأ في فهمها وهي «الخراج بالضمان» ولم يرض المكاري وطلب الاحتكام إلى الإمام الصادقعليه السلام ورغم أنّ الخلاف كان في دراهم معدودة وأنّ أبا حنيفة أخطأ في فهم القاعدة وأنّ الإمام الصادق إمام معصوم وحفيد رسول الله فهو عنده علم رسول اللهصلى الله عليه وآله وكان أستاذاً لأبي حنيفة إلاّ إنّ الإمام لم يجب على المسألة أولاً بل قال قبل أن يجيب: «بمثل هذا القضاء تحبس السماء ماءها وتمنع الأرض بركاتها[1].

[٥]

حقد معاوية على الدين والرسالة

كان لمعاوية بن أبي سفيان (لعنه الله) صديق ونديم اسمه المغيرة بن شعبة، وكان يشبه معاوية – فإنّ الطيور على أشكالها تقع –.

يقول المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه إذا جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة ظننت أنّه لأمر حدث فينا فقلت: مالي أراك مغتما منذ الليلة؟ فقال: يا بني جئت من عند أكفر الناس وأخبلهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً؛ وبسطت خيراً فأنك قد كبرت، ولو نظرت إلى اخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم

---

(١) نفحات الهداية: ص٩٤.

شيء تخافه، وأن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه.

فقال: هيهات هيهات! أيّ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، واجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أنْ هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول: قائل: عمر .... وإن ابن أبي كبشه ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمد رسول الله) فأيّ عمل يبقى، وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك لا والله إلاّ دفناً دفناً[1].

[٦]

الشوق إلى رؤية الإمام المنتظر عجل الله فرجه

قصة رواها الفقيه الميرزا مهدي الشيرازي رحمه الله والد السيد المرجع صادق الشيرازي (دام ظله) وتعود إلى الأيام التي كان يعيش فيها بسامراء العراق حيث يقول: كان أحد العلماء يكثر من ارتياد سرداب الغيبة في أيام الجمع وغيرها، ويخلو فيه .. يقرأ دعاء الندبة والعهد وزيارة صاحب الزمان عجل الله فرجه ويدعو الله بفنون الدعوات على أمل اللقاء بالإمام عجل الله فرجه ويقول عن هذا العالم إنّه قال: مرَّ زمان وأنا على هذه الحال أرتاد السرداب مشتاقاً لرؤية صاحب الزمان عجل الله فرجه وفي أحد الأيام وبينما أنا جالس وحدي ولم يكن في السرداب أحد غيري- منشغلاً بالدعاء والمناجاة، مفكراً في حالي

(١) نفحات الهداية: ص١٠٣.



وأنّ المدة قد طالت وأنا مواظب على الحضور إلى هذا المكان دون أن أوفق للقاء الإمام المنتظر عليه السلام متسائلاً مع نفسي عن السبب الذي يحول دون تشرّفي برؤيته الرشيدة قائلاً: ما هو ذنبي ولماذا لا يمنّ عليَّ الإمام بشرف رؤية طلعته؟ وبينما أنا في هذه الحالة إذا ألهمت بأنّ الإمام عليه السلام سيدخل السرداب حالاً، ولقد وقع هذا الموضوع في قلبي على نحو اليقين لا وقوع تخيل أو مجرّد تصور، بل عرفت ذلك من ضميري وأيقنت، بوجداني أنّ الإمام سيدخل السرداب الآن، وشعرتُ بأنّي سأوفّق للقائه.

ولكن ما أن عرضت لي فكرة قرب التشرف والتوفيق للقاء الإمام حتى تملكني هيبة عصرتني عصرة لم أشعر معها إلاّ وأنا خارج من السرداب متسلقاً درجات السلّم «وبدأ قلبي يدق بشدة».

فأدركت أنّه لم يحن بعد الوقت الذي أكون فيه لائقاً ومؤهلاً للقاء الإمام الحجة عليه السلام[1].

[٧]

ثواب إكرام الضيف

يُحكى أنّ رجلاً شكا إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه يحب إقراء الضيوف لكن زوجته تكره ذلك وتعكر عليه فقال صلى الله عليه وآله قل لها: إنّ الضيف إذا جاء جاء برزقه وإذا ارتحل ارتحل بذنوب أهل البيت. أي أن الله سيضيف في رزق

---

(١) نفحات الهداية: ص١٦٦.

أهل ذلك البيت ما ينفقونه في إقرائه، ثم إذا انصرف عنهم بعد ذلك وارتحل ارتحلت ذنوبهم معه.

يقال: إنّ الرجل عاد ثانية إلى النبي صلى الله عليه وآله وأخبره أن ذلك لم ينفع معها. وهنا أمره النبي صلى الله عليه وآله أن يمسح بيده على وجهها إذا حلّ الضيف وفعل الرجل ذلك، فأصبحت المرأة تتمنى إقراء الضيف بعد ذلك؛ لأنّها رأت الأمور التي أخبرها بها زوجها عن النبي صلى الله عليه وآله أي رأت الضيف عندما يدخل الدار ترافقه أنواع الأطعمة والفواكه، وعندما يخرج تخرج معه الأوساخ والعقارب والحيات[1].

[٨]

مشاق وأعباء خدمة الإمام الحسين عليه السلام

كل من يتحمّل مشاقَّ وأعباءً أكثر ويضع راحته وسهره في خدمة قضية مولانا الإمام الحسين سلام الله عليه، بطبيعة الحال له أجرٌ أعظم، ومن الأمثلة على ذلك ما رُئي لاثنين من الفقهاء الأفاضل في المنام، أحدهما الشيخ الأنصاري رحمه الله الذي تنهل الحوزات العلمية الدينية منذ ١٥٠ عاماً من علمه، والآخر الشيخ الدربندي رحمه الله.

هذان العالمان كانا زميلَي دراسة في مرحلة الشباب، وكانا من تلامذة المرحوم شريف العلماء المازندراني قدس سره، وأصبح كلاهما فيما بعد مرجعين للتقليد، وفي ذلك الوقت كان الشيخ الأنصاري هو المرجع العام للشيعة،



(١) نفحات الهداية، ص١٦٨.

والدربندي له مرجعية محدودة.

ذات يوم عزم أحد طلاب الشيخ الأنصاري - وكان طالباً مجدّاً يحمل صفات العلم والورع - على السفر إلى إيران، فقام الشيخ الأنصاري بوداعه حتى مشارف المدينة مشياً على الأقدام، ثم رجع.

كان ذلك الطالب يعتزم السفر إلى مدينة كربلاء ثم الكاظمية وسامراء ليعود بعدها إلى إيران، لكنّه في اليوم التالي لم يذهب إلى كربلاء، ورجع من وسط الطريق. وعندما رأى الشيخ الأنصاري تلميذه في النجف الأشرف سأله: «لماذا عدت؟».

أجابه: «ليلة أمس غلبني النوم وأنا في الطريق في جوف الصحراء، فرأيت مَلَكاً في منامي يقول لي: إلى أين أنت ذاهب في هذه الصحراء، إنّك راحل عن هذه الدنيا بعد ثلاثة أيّام؟ وهذا القصر لك (وأشار الملك إلى قصر) ولم أكن أعلم على وجه اليقين إن كانت هذه رؤيا صادقة أم لا، فقفلت راجعاً إلى النجف، لأكون عند أمير المؤمنين سلام الله عليه وليس في الصحراء فيما لو تحقّقت الرؤيا، وإذا لم تتحقّق أواصل رحلتي من جديد. وبالفعل، تحقّقت الرؤيا وتوفّي الرجل بعد ثلاثة أيّام كما وُعد بذلك.

يروي هذا الشخص نفسه ـ قبل وفاته ـ للشيخ الأنصاري بأنّه قد رأى في ذلك المنام أيضاً قصراً شامخاً فسأل: لمن هذا القصر؟

قيل له: «إنّه للشيخ الأنصاري»، وفي ناحية مجاورة من ذلك القصر رأى قصراً آخر أفخم من القصر الأول فسأل: وهذا لمن؟

قيل له: «هذا قصر الشيخ الدربندي».

في ذلك الوقت كان الشيخان لا يزالان على قيد الحياة، كان الشيخ الأنصاري في النجف الأشرف، والشيخ الدربندي في كربلاء المقدسة. وبالإضافة إلى كون هذا الأخير مرجعاً دينياً، كان خطيباً يعتلي المنابر الحسينية وكان له منبر خاص في كل عام، حيث نُقل لي بعض من قصصه تلك بواسطتين عمّن حضر مجلسه، وكانت مجالسه تقام في الصحن الشريف في ظهيرة يوم عاشوراء من كل عام بعد انتهاء المجالس الأخرى حيث كانت تعجّ بجماهير غفيرة، وأحياناً كان يتحدث قبل ساعة من موعده، ويقول أحياناً: «لا أريد أن أقيم مجلس ندب ونواح فقد سمعتم منها ما يكفي طيلة الليل وحتى الظهيرة، لكنّني أريد أن أوجّه بضع كلمات باسمكم إلى الإمام الحسين سلام الله عليه...» وكان مجلساً مميّزاً حقّاً.

كما دوّن المرحوم الدربندي كتاباً مسهباً عن الإمام الحسين سلام الله عليه يحمل عنوان «إكسير العبادات في أسرار الشهادات -المقتل الملم بمأساة الحسين سلام الله عليه-».

كان المتحدّث (تلميذ الشيخ الأنصاري) يعرف الشيخين جيداً، ويعلم أنّ مرجعية الشيخ الدربندي لا تضاهي مرجعية الأنصاري، لذلك أثارت فخامة قصر الشيخ الدربندي في تلك الرؤيا السؤال في نفس تلميذ الشيخ الأنصاري ليسأل المَلَك عن سبب ذلك، لأنّه من المتوقع أن يكون قصر الشيخ الأنصاري أكثر فخامة وعظمة، فأجابه المَلَك قائلاً: «هذا ليس جزاء أعمال الدربندي، بل هو هدية له من قِبل الإمام الحسين سلام الله عليه»[1].

---

(١)من محاضرة (عاشوراء دروس وعبر) ألقاها سماحته ليلة الحادي عشر من شهر محرم الحرام عام ١٤٢٦ للهجرة.

[٩]

ابن فهد الحلي مع الأنبياءعليهم السلام

كان الشيخ أحمد بن فهد الحلّيرحمه الله مرشداً وهادياً للناس، واستبصر على يديه جمع غفير ممن كان على غير مذهب أهل البيتعليهم السلام في الوقت الذي لم يكن معظم أهل العراق شيعة لأهل البيتعليهم السلام وتقرب من الحاكم يومذاك وظل يراجعه حتى حوله إلى التشيع وضربت السكة في عصره باسماء الأئمة الاثنى عشرعليهم السلام.

نقل لي أحد العلماء الذين كانوا يسكنون النجف الأشرف أنه قال: لقد تأثرت كثيراً بالمرحوم ابن فهد الحلي من خلال كتبه وقضاياه فكنت كلّما أتي إلى كربلاء المقدسة لزيارة الإمام الحسينعليه السلام أبدأ به فأزوره، لأن المحطة الأخيرة للسيارات التي تنقل المسافرين من النجف الأشرف إلى كربلاء كانت عند مرقدهرحمه الله وبعد عدّة سنين من استمراري على هذه الحال رأيت في إحدى الليالي في عالم الرؤيا بستاناً كبيراً يكتظ بالعلماء من السابقين واللاحقين، كالشيخ الصدوق والشيخ المفيد، والسيد المرتضى والعلامة الحلي، والمحقق صاحب الجواهر، والشيخ الأنصاري وغيرهم، ولكني لم أجد الشيخ ابن فهد الحلي بينهم فاستفسرت من أحد العلماء عنه، فقال: إنه في بستان آخر، فذهبت إليه هناك وإذا بهذا البستان يكتظ بالأنبياء ابتداء بإبراهيم الخليل، فموسى وعيسى وبقية الأنبياءعليهم السلام سألت أحدهم: هل ابن فهد بينكم؟ قال نعم ودلني عليه، فذهبت إليه وسلّمت عليه وقلت له: إني أعهد قبرك وأقرأ الفاتحة لك وأزورك كلّما جئت لزيارة الإمام

الحسين عليه السلام قال: كل ذلك يصلني. فسألته: لماذا فصل الله بينك وبين سائر العلماء وجعلك مع الأنبياء عليهم السلام؟ قال: كان يقتضي بحكم دوري في الدّنيا أن أحشر مع العلماء وأكون في بستانهم، ولكن عملاً واحداً عملته لله تعالى رفع درجتي مع الأنبياء عليهم السلام وهو أني كنت في كل تصرفاتي وأعمالي أتصرف تصرف المملوك والعبد مع سيده، فكل عمل كنت أقوم به كان بهذا الدافع، ولهذا رفع الله تعالى درجتي وجعلني مع الأنبياء عليهم السلام[1].

[١٠]

لا تفرحوا بما آتاكم

روي أنّ شخصاً فقيراً وصله مال كثير، فخشي ذووه أن يُصعق من الفرح إن أخبروه بالأمر دفعة، فانتدبوا طبيباً نفسياً للقيام بهذه المهمة، ففكر الطبيب أن يقسط عليه الخبر، وقال له: يا فلان هب أنّك حصلت على عشرة دراهم مثلاً، فماذا أنت فاعل بها؟ قال: كذا. قال: هب عشرين درهماً قال: كذا. قال فثلاثين: قال: كذا ... فما زال يصعد به حتى وصل إلى مئة ألف مثلاً. فقال: هذا لا يحصل، قال الطبيب: وما عليك أن تتصور ذلك؟ قال: هذا مبلغ كبير! قال: فكيف بك إن كان أكبر؟ قال: كم مثلاً؟ قال مئتي ألف قال: لا تمزح ودعني وشأني. فقال له الطبيب المخبر: لست مازحاً. فقال الفقير: ومن أين يأتيني هذا المبلغ؟ وهنا استعدّ الطبيب لإخباره بحقيقة الأمر، فقال ماذا تعطيني لو بشرّتُك بحصولك على مليون دينار مثلاً؟ قال الفقير الذي لم

---

(١) نفحات الهداية: ص٢١١.

يـصدق بعـد: أعطيك نـصفه قال له الطبيب: أختم لي هذه الورقة إذاً وما أن ختـم الفقيـر الورقة حتى سقط الطبيب ومات؛ لأنّه لم يتحمل صدمة الفرحة المفاجئة بحصوله على نصف مليون دينار دفعة واحدة![1].

[١١]

خدمة الناس

أعـرف اثنين مـن أهـل العلـم، كلاهمـا توفـيا (رحمهمـا الله) وكـان أحـدهما متقدماً على زمـيله فـي كثيـر مـن المجـالات والمـستوى العلمـي والـذكاء والأسـاتذة و... إلاّ إنّ زمـيله كـان أكثر تأثيراً في المجتمع بمراتب كثيـرة. أذكـر نموذجين من عملهما كان الأول أي المتفوّق علمياً، في أحد الأيـام جالـساً فـي إحدى المشاهد المقدسة منشغلاً بقراءة الزيارة أو الدعاء، وكـان المكـان مـزدحماً بالـزوار، فجـاءه شـخص مـن عامّـة الـناس وبـيده مـصحف وطلـب منه أن يستخير الله تعالى له، ولم يكن يحب أن يقطع أحد علـيه خلـوته ودعائـه، فأشـار إلـى الـشخص أن يـذهب إلـى غيـره، ولكـن الـشخص لـم ينـته فتـصور أن العـالم لـم يلـتفت إلـيه فـتقدم إليه بالمصحف مقتـرباً مـنه قلـيلاً وأعـاد طلبه، ومرة أخرى أشار له العالم بالذهاب إلى غيره ولـم يلـتفت الـرجل أيـضاً، لأنّ من عنده مشكلة لا يلتفت بالإشارة وما أشبه عـادة فاقتـرب أكثـر وكـرر طلبه، فغضب العالم ولكنه لم يكلّم الرجل، لأنه رأى أن الـوقت الذي ستستغرقه الاستخارة ربما يكون أقل، وعندما أخذ منه المـصحف رآه مقلـوباً، هـنا لـم يـتمالك نفـسه فشرع يصرخ في وجه الرجل

---

(١) نفحات الهداية: ص٢٣٥.

قـائلاً: لقـد شـغلتني عـن قراءتـي وقطعتنـي عـن توجهـي، ومـا أشبه من هذه الكلمـات، ولكـن ذلـك الـرجل كـان غارقـاً فـي همـومه غيـر ملـتفت إلـى الموضـوع أصلاً، فعجب منه وانصرف، أما ذلك العالم الآخر، أي زميل هذا العـالم- فطالمـا رأيـته فـي حـرِّ الظهيرة، والعرق يتحدر على وجهه، إذ يقبل عليه شـخص، فـيطلب مـنه سؤالاً أو استخارة، وأحياناً يكون السائل صبياً أو طفـلاً صغيراً فكانرَحِمَهُ الله يجيبه وهو في مكانه ولا يطلب منه التحول إلى الظل رغم أنه لم يكن يبعد منه أكثر من مترين![1].

[١٢]

أقام الفاتحة على روحه وهو حي؟

حكـى المرحوم والدي عن تاجر مؤمن ومسن في كربلاء المقدسة أو الـنجف الأشرف سمع قصة إنفاق الرجل لبيت التمر بيد رسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد وفاتـه وأنّـه كان خيراً له لو أنفقها في حياته.. فقرّر أن يعمل بها.. فأقام لنفسه مجلـس فاتحـة وهو حي، أطعم خلالها الطعام، و وزع المصاحف لتقرأ على روحـه.. و.. و.. وهكـذا الحـال في الأربعين والسنة، ثم توفي بعد رأس السنة بأيام!!

إنّ عملـه جميل حقاً وإن استُهجن من قبل بعض الناس. كما أنّ بعض أهل الخير ممّن وافاهم الأجل كان من المشتركين في بناء حسينية مكتبتها العامة.

رئي في عالم الرؤيا من قبل بعض المؤمنين فسأله عن حاله، فقال: لقد

(١) نفحات الهداية: ص٢٦٧، ونحو بناء النفس والمجتمع : ص٢٢.

أحسنوا إليّ كما أحسنت في بناء الحسينية ، وها أنا الآن في مكان كبير وجميل وسط بساتين وأشجار فرحاً مسروراً[1].

[١٣]

العابد والطاغي

قصة العبد الصالح الذي سأل الملك

روي عن الإمام الصادقعليه السلام إنّه قال: كان في زمن النبي موسىعليه السلام ملك جبار قضى حاجة مؤمن بشفاعة عبد صالح أي أنّه كان يعيش في زمن واحد - أي في زمن النبي موسىعليه السلام وفي عهد ذلك الملك الطاغي- عبد صالح منشغل عن الناس بالعبادة يُريد التقرّب بها إلى الله سبحانه، فيما الملك مشغول بشهواته ولذاته وظلمه وطغيانه. فاتّفق أن مات الملك وذاك العبد الصالح كلاهما في يوم واحد. ولا شك أنّ ذلك لم يقع مصادفة؛ لأن لكل شيءٍ سبباً عند الله تعالى وإن كنا نجهله، وهذه الحقيقة تثبتها هذه القصة نفسها.

يقول نص الحديث: توفّي في يوم أي في يوم واحد الملك الطاغي والعبد الصالح، فقال على الملك الناس أي اهتموا بموت الملك وقاموا بتشييعه ودفنه وتركوا أعمالهم وأغلقوا دكاكينهم ومحلاتهم احتراماً له وحداداً عليه، وكما ورد في نص الحديث وأغلقوا أبواب السوق لمدة ثلاثة أيام. أما ذلك العابد فقد بقي مطروحاً كل هذه المدّة في بيته دون أن يعلم أو يكترث به أحد، حتّى تفسخ بدنه وعلته الرائحة الكريهة وبدأت الديدان تأكل من لحمه

---

(١) نفحات الهداية :ص٢٨٢.

تقول الرواية: وبقي ذلك العبد الصالح في بيته، وتناولت دواب الأرض من وجهه، فرآه موسى بعد ثلاث، فقال: يا رب هو- أي الملك- عدوك- وهذا العبد الصالح، وليّك! فما هي العلّة؟ ولماذا جعلت موته في هذا الوقت بالذات فيغفل عنه؟ ولماذا كان موت الطاغي وهو عدوك في عزّ واحترام، وموت هذا العبد الصالح وهو وليّك في ذلّ وهوان؟!

فأوحى الله إليه: يا موسى إنّ وليي سأل هذا الملك حاجة فقضاها له فكافأته عن المؤمن أي أن هذا الملك كانت له عندي يد وأردت أن أجازيه عليها، وهي أنه يوم سأله هذا العابد –وهو وليي لم يرده بل قضى حاجته فأصبحت له يد غيري: لأنه احسن إلى عبدي و وليي فكافأته بهذا التشيع والتجليل- في الدنيا يأتني ولا يد له عندي وهو عدوي فأدخله النار. وأما عبدي و وليي فقد سلطت دواب الأرض على محاسن وجهه لسؤاله ذلك الطاغي...[1].

[١٤]

الاعتبار بقصة شريك النخعي

شريك بن عبد الله بن سنان النخعي أحد علماء البلاط في العصر العباسي، كان يتصور نفسه عالماً في قبال الإمام الصادق عليه السلام وكان يتظاهر بالعبادة والزهد والابتعاد عن الحكام، وكان العباسيون يصرّون عليه أن يقترب منهم ولكنّه كان يرفض وفي إحدى الأيام طلب المهدي العباسي قائلاً: عليَّ بشريك النخعي. ولما جاءوا به قالوا له: أعرض عليك ثلاثة أمور

---

(١) نفحات الهداية: ص٢٨٨.

فأما أن تقبل بأحدّها وإلاّ فمصيرك السجن! وكانت هذه الأمور الثلاثة تصب كلها ... بالنظام الحاكم إن لم ترتبط بنا فسيقول الناس: لاشك أن الحاكم غير جيد، ... واحداً من ثلاثة أشياء: إمّا أن تقبل القضاء، أي تكون قاضياً لنا، أو تكون محدّثنا ومعلّم أولادنا، أو تأكل عندنا وتكون ضيفاً علينا. فكّر شريك قليلاً ثم قال: إذا كان ولابد فأختار الثالث، وإنما اختار الثالث؛ لأنه رأى أنّه أسهل من الأمرين الآخرين ولا يلزم منه أن يبقى كل حياته قاضياً للظالم، أو محدثاً له ومعلّماً لأولاده، فإن الأمر ينتهي بأكلة واحدة لا تترك انطباعاً كبيراً لدى الجمهور عن علاقة النخعي بالنظام.

ولكن المهدي العباسي كان أذكى من النخعي فأمر طباخه بأن يعد أطيب الأطعمة وألذّها، ولما قدم النخعي عليه ألهاه في الحديث لعدّة ساعات لكي يشتد جوعه ثم دعاه إلى المائدة، فأكل منها حتى التخمة. وتكمن المشكلة في أنّ النخعي لم يكن عابداً زاهداً حقيقياً، بل كان متظاهراً بهما، وإلاّ لأكل قليلاً من الطعام، ثم اعتذر بالشبع ولكنه وجدها فرصة لا تُعوّض، فلم يقتصر على الضروري في تناول الأكل المحرّم الذي لا يعلم مصدره ولم يدر ما الذي فيه! يقول المسعودي؛ إنّ الطباخ قال للربيع (صاحب الخليفة) بعدما خرج النخعي لقد عملت له أكلة لا أراه ينجو منها بعد ذلك! وهكذا كانت بالفعل والله وحده يعلم ماذا كان قد وضع الطباخ في تلك الوجبة ممّا حرم الله من الخبائث فضلاً عن كونها مغصوبة من يد الظالم! بعد بضعة أيام بعث المهدي يطلب النخعي مرة أخرى، ولكن الأخير لبّى مسرعاً في هذه المرّة، ثم بعث خلفه ثانياً وثالثاً ورابعاً - ومن يهن يسهل الهوان عليه- حتى بلغ به الحال ان أصبح قاضياً للمهدي ومحدثاً، أي من

علماء البلاط ومؤدّباً لأولاده، بل بلغ الحال بهذا الرجل الذي كان يبتعد عن المهدي العباسي وحكومته أن يتقاضى منه مرتباً شهرياً.

وفي إحدى المرّات التي كان يحمل فيها صك المرّتب للصراف، أعتذر منه قائلاً: لقد أتيتك بنفسي وأنا من تعلم، أفتردّني وتوكلني إلى وقت آخر؟ وتشاجرا وارتفعت أصواتهما وقال له الصراف: هل بعتني براً لتستعجلني بالثمن؟ فقال في جوابه: بل بعتك ما هو أغلى! تعجّب الصراف وقال: وما بعتني؟ قال: بعتك ديني!!![1].

[١٥]

آية صالح عليه السلام وعقر الناقة

أعظم آية ومعجزة للنبي صالح عليه السلام هي الناقة فقد طالبه جماعة من قومه أن يخرج لهم ناقة من بطن الجبل ليتبين لهم صدق دعواه، إن كان نبيّاً استجاب الله دعوته ولم يرد صالح عليه السلام طلبهم فتوّجه إلى الله تعالى وسأله ذلك، فخرج صوت رهيب من الجبل وانشقّ إلى نصفين ثم خرجت ناقة عظيمة قيل: إنّها كانت تعادل في ضخامتها عشرات النوق؛ يتبعها فصيلها.

وهذا ليس بعزيز على الله فلقد خلق آدم وحواء من قبل من دون أبوين، وخلق عيسى من أم فقط. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

---

(١) نفحات الهداية: ص٢٩١.

(٢) سورة النحل: ٤٠.

وكانت الناقة وبراء جميلة تسير كالإنسان المؤمن الحكيم، وكانت تأكل من حشائش الأرض حتى إذا وصلت زرع الناس لم تنل منه حتى بمقدار حبة، وكانت لا تطأ في سيرها زرع أحد أو أنساناً أو حيواناً أو حشرة رغم ضخامتها؛ بل كانت تتحاشى ذلك في مشيها وسيرها وكانت الحيوانات الأخرى تخشاها بقدرة الله تعالى. وهكذا كانت إعجازية في كل شيء وليس في وجودها وخلقتها فقط فلقد كانت تشرب في اليوم الواحد ماء القرية بأكمله أي تشرب الماء الذي يشرب منه مئة ألف إنساناً مثلاً، وتدع اليوم الذي يليه لأهل القرية يشربون منه، فكان لها شرب ولهم شرب يوم معلوم كما ورد في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[1].

وكانت تعطي الحليب كل يوم بمقدار الماء الذي تشربه وتلك معجزة أخرى، فإن الحيوانات التي تعطي الحليب لا تعطي بمقدار ما شربته من ماء بل اقل منه بكثير، لكن هذه الناقة كانت معجزة في كل شؤونها! عرض أصحاب الحجر عن الآيات كلها وقرروا قتل الناقة بزعم أنها نحرمهم من الماء يوماً كاملاً، مع أنّهم كانوا يستفيدون من حليبها! ولكنه الطغيان والعياذ بالله! و وعظهم نبيهم قائلاً: إن عقرتم الناقة فإنّ الله تعالى سينزل عليكم عذاباً من عنده؟

فقالوا: فلينزل علينا العذاب فلا نبالي: ولم يبالوا بتحذيرات النبي

(١) سورة الشعراء: ١٥٥.

صالح عليه السلام وعقروا الناقة، عقرها شخص يسمّى (قيدار) كان أشقاهم. وقتلوا فصيلها أيضاً وقيل: إنه عاد إلى الجبل مفجوعاً! ثم تقاسموا لحم الناقة بينهم!

هنا أخبرهم نبيّهم عليه السلام إنّ الله سينزل عليهم العذاب بعد ثلاثة أيام، تصفر وجوههم في اليوم الأول. وتحمر في اليوم الثاني وتسود في اليوم الثالث! ثم ينزل عليهم العذاب إن لم يرجعوا حتى ذلك الحين!

سبحان الله ما اعظم رحمته فمع أنّ هؤلاء القوم كذبوا المرسلين واستمروا في تكذيبهم حتى بعد نزول الآيات يمهلهم الله تعالى ثلاثة أيام عسى أن يتوّبوا فيعفوا عنهم ويقبلهم ولكنهم مع ذلك لم يرجعوا واستمروا في غيّهم، حتى كان اليوم الثاني فاصفرت وجوه الذين لم يؤمنوا بصالح عليه السلام فآل ضعفاؤهم لكبرائهم: لقد اصفرت وجوهنا وأن صالحاً صدق فيما قال.

فأجابوهم: دعوها تصفر! وفي اليوم الثاني احمّرت وجوه القوم لكن الأشقياء أجابوا المعترضين: لعل صالحاً سحركم، دعوها تحمر. حتى كان اليوم الأخير فاسودت وجوههم فقالوا: لن نؤمن له ولو هلكنا! فانزل الله عليهم جبرئيل فصاح فيهم صحية قطعت نياط قلوبهم وأصبحوا في ديارهم جاثمين!!![1].

[١٦]

حوار بين أمير المؤمنين علي عليه السلام والحسن البصري

مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بالحسن البصري وهو يتوضأ فقال: يا حسن

---

(١) نفحات الهداية: ص٢٩٩.

اسبغ الوضوء فقال: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، يصلّون الخمس ويسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟ فقال: والله لأصدقنّك يا أمير المؤمنين، لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت وتحنطت وصببت عليّ سلاحي، وأنا لا أشك في أن التخلف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر، فلّما انتهيت إلى موضع من الخريبة ناداني منادٍ «يا حسن إلى أين؟ أرجع فان القاتل والمقتول في النار! فرجعت ذعراً وجلست في بيتي فلما كان في اليوم الثاني لم أشك أن التخلف عن أُمّ المؤمنين عائشة هو الكفر، فتحنطت وصببت عليّ سلاحي وخرجت إلى القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة، فناداني منادٍ من خلفي يا حسن إلى أين؟ مرّة بعد أخرى، فأنّ القاتل والمقتول في النار! قال علي عليه السلام: صدقك أفتدري من ذلك المنادي؟ قال: لا قال عليه السلام: ذلك أخوك إبليس وصدقك أنّ القاتل والمقتول منهم في النار. فقال الحسن البصري: الآن عرفت يا أمير المؤمنين أن القوم هلكى[1].

[١٧]

يؤثرون على أنفسهم ولو بهم خصاصة

فمن شفقة أمير المؤمنين عليه السلام على الخلق أنّه بذل طعامه للأسير

---

(١) نفحات الهداية: ص٣٢٥.

واليتيم والمسكين وبات جائعاً وزوجته الزهراء وولداه الحسن والحسين عليهما السلام ثلاثة أيام متواليات فقد أورد السيوطي والفخر الرازي والقرطبي، والآلوسي والواحدي، والخوارزمي، والحسكاني، والزمخشري، وغيرهم عن ابن عباس: إن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك.

فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما أن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام. فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمس أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء واصبحوا صياماً فلّما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، و وقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم؟ فقام وانطلق معهم فرأى فاطمة عليها السلام في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها، فساءه ذلك في أهل بيته فأقرأه السورة أي سورة هل أتى؟ وفيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ

مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾[1].

فقد أجمع أهل التفسير والحديث من الخاصة وتواترت من غيرهم ان هذه الآيات الشريفة نزلت في حقّ علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بمناسبة صيامهم ثلاثة أيام وتصدقهم في تلك الليالي على المسكين واليتيم والأسير[2].

[١٨]

بيت فاطمة الزهراء عليها السلام

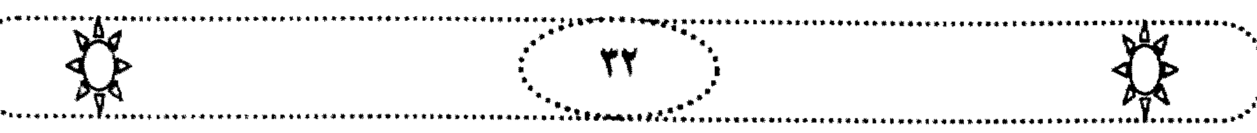
روى أصحاب السير: كان رسول صلى الله عليه وآله إذا رأى فاطمة عليها السلام فرح بها فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحن فيه وتقول: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[3].

فسلّم عليها وأخبرها بخبر النبي صلى الله عليه وآله وبكائه: فنهضت والتفّت بشملة لها خلقة قد خيطت في اثني عشر مكانا بسعف النخل. فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى وقال: وأحزناه إنّ بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير وابنة محمد صلى الله عليه وآله عليها شملة خلقه قد خيطت في اثني عشر مكاناً، فلما دخلت فاطمة على النبي صلى الله عليه وآله قالت: يا رسول الله إنّ سلمان تعجّب

(١) سورة الإنسان: ٩.

(٢) مواهب الغدير: ٥٧.

(٣) سورة القصص: ٦٠.



من لباسي فوالذي بعثك بالحق مالي ولعلي منذ خمس سنين إلاّ مسك كبش نعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه وان مرفقتنا لمن آدم حشوها ليف: فقال النبي ﷺ: يا سلمان ان ابنتي لفي الخيل السوابق[1].

[١٩]

آثار وثمار الخدمة الحسينية

كان هناك عالمان جليلان رهن أحدهما عمره في خدمة مجالس عزاء سيد الشهداء لم يتوان عن بذل أي خدمة بماله أو بلسانه...في هذا السبيل أما الآخر فلم يكن يعر أهمية تذكر لهذه القضية والآن وبعد مضي سنوات على وفاتهما، كان من الثواب الذي ناله الأول هو أنّ الله قد وفق أبناءه وأحفاده فجعل منهم المؤلّف والعالم والمدرس والمرجع الديني، منتشرين في أصقاع الأرض يحيون ذكرى أبيهم في حين لم يبق من الثاني أي أثر يخلده، وهذا بالتأكيد نتيجة لتعظيم الأوّل مسألة التفاني والإخلاص لسيد الشهداء عليه السلام وعدم اكتراث الثاني لهذه المسألة، ومن هنا يتبّين بأن أي خدمة تقم لمواكب العزاء الحسينية لن تذهب سدى أبداً[2].

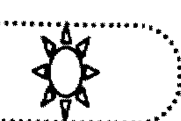
[٢٠]

حسينية الكاسب

يروى هناك شخصان أحدهما بائع بسيط بدخل متواضع. والأخر من

(١) مواهب الغدير: ص٦٣.

(٢) إحياء عاشوراء، ص٢٣.



أغنياء المدينة وأعيانها. كان البائع البسيط يكد ويشقى من الصباح حتى المساء لتأمين رزقه، وعندما كان يعود إلى بيته يجلس فيقسم حاصله اليومي إلى ثلاثة أثلاث، ليخصص ثلثاً منها ويدخره باسم الإمام الحسين عليه السلام وبمرور الليالي والأيام وبعد البركة التي أفاضها الله تعالى على رزقه وما أدخره، اشترى قطعة أرض خارج مدينته وبعد سنوات قليلة شاء الله تعالى أن تتوسع المدينة فادخل التوسع قطعته تلك إلى داخل المدينة، فبنى فوقها حسينية لإقامة العزاء على سيد الشهداء بالإضافة إلى إقامة الفرائض والمراسيم الدينية الأخرى. وقد ذكر ابن ذلك الكاسب! بأنّ أهل البلد عرضوا عليه شراء تلك الحسينية مقابل ٥ مليارات تومان لغرض تحويلها إلى مبنى عام، لكنه رفض وقال : هذا المكان وقف للإمام الحسين عليه السلام ولم يعد ملكاً لنا.

إن خدمات ذلك الكاسب في الدنيا محفوظة له، من خلال المراسيم التي تقام في تلك الحسينية والتي أحيت ذكره، هذا بالإضافة إلى الثواب الأخروي الذي ينتظره بينما لم أسمع عن ذلك الثري أنّه أوقف ولو شبراً واحداً من أملاكه للإمام الحسين عليه السلام حتى آل الأمر أن اقتسم ثروته من بعده كل أمواله ولم يبق له أي شيء يحيي اسمه من بعده[1].

[٢١]

زائر الحسين في ظل عرش الله

أنّ مدى عظمة الأجر لزائر الإمام الحسين عليه السلام ومحيي مجالسه

---

(١) إحياء عاشوراء: ص٢٤.

ومعظّم شعائره. سابقاً كان قبر الإمام الحسين في عرض الصحراء حيث لا أثر ولا علامة تميزّه، ولم يكن باستطاعة أحد الاهتداء إليه وزيارته من غير دليل مرشد، ومن ناحية ثانية كان الجواسيس منتشرين في تلك الناحية ومأمورين بالقبض على كل زائر يتجه صوب القبر المشرف لتسليمه إلى السلطات آنذاك وقد أدخل هذا الأمر الرعب في قلوب الوالهين لزيارة الإمام عليه السلام ولم يكن أحد ليجرؤ على الزيارة في هذا الصدد يقول عبد الله ابن بكير قلت له: للإمام الصادق عليه السلام: أني انزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المصالح؟ فقال الإمام عليه السلام: «يا بن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائف، أما تعلم أنّه مَن خاف لخوفنا أظّله الله في ظل عرشه وكان محدثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وأمنه الله من أفزاع يوم القيامة. يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقّرته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة». ففي ذلك اليوم العصيب الذي ينشغل كل بنفسه ومصيره، الذين تحمّلوا المشاق والهوان في سبيله عليه السلام سيحظون بالأمن ويشرف التحدث معه أما الذين لم يسيروا في ذلك الطريق ولم يتحمّلوا الصعاب فيه فسيحرمون هذه النعمة العظيمة(١).

[٢٢]

النبي إبراهيم عليه السلام وأرض كربلاء

روي إنّ إبراهيم الخليل لما مرّ من أرض كربلاء وهو راكب عثر

---

(١) إحياء عاشوراء: ص٢٥.

بـه مركبه فشجّ رأسه وسال دمه فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي أي شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: «يا إبراهيم ما حدث منك ذنب ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسال دمك موافقة لدمه»(١).

[٢٣]

مقام الإمام الحسين عليه السلام في السماء

وهناك رواية أخرى أنه صلى الله عليه وآله قال: فلّما انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمد أن انتهاء حدّي الذي وضعني الله عزّ وجل فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزته احترقت اجنحتي بتعدي حدود ربي جلّ جلاله فُزِجَ بي في النور زجةً حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علو ملكه.

وهنا عندما بلغ الله تعالى بحبيبه هذه المرتبة جعل يُريه آياته الكبرى، وتحقق قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾(٢).

وكان مما رآه صلى الله عليه وآله من الآيات الكبرى مكانة حفيده الإمام الحسين عليه السلام وعظمته في السماوات.

عن الإمام الحسين قال: أتيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيت أُبي بن كعب جالساً عنده، فقال جدي صلى الله عليه وآله: مرحباً بك يا زين السماوات والأرض

---

(١) إحياء عاشوراء: ص٩٢.

(٢) سورة النجم: ١٨.

فقال أُبي: يا رسول الله وهل أحد سواك زين السماوات والأرض؟ فقال النبيﷺ: يا أُبي بن كعب والذي بعثني بالحق نبيّاً أنّ الحسين بن علي في السموات أعظم ممّا هو في الأرض واسمه مكتوب عن يمين العرش: إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة[1].

[٢٤]

إعانة الظالمين

ويروى أيضاً: أن أحد أصحاب الإمام الصادقعليه السلام كان بنّاءً بنى عمارات كثيرة من جملتها قصور فخمة لحكّام بني العباس وبيوت فارهة ومساجد وجاء هذا الشخص يوماً إلى الإمام الصادقعليه السلام وقال له: يا ابن رسول الله سأمتنع من الآن فما بعد عن بناء القصور لبني العباس وسأكتفي ببناء المساجد لهم، فقال له الإمامعليه السلام: لا تعنهم حتى في بناء مسجد[2].

[٢٥]

رسول اللهﷺ يعاقبه بالعمى؟

سأل عبد الله بن رباح القاضي أعمى عن عمائه، فقال: كنت حضرت كربلاء وما قاتلت فنمت ورأيت شخصاً هائلاً: قال لي: أجب رسول اللهﷺ فقلت: لا أطيق! فجرّني إلى رسول الله: فوجدته حزيناً وفي يده

---

(١) إحياء عاشوراء: ص١٠٧.

(٢) إحياء عاشوراء: ص١٤٦.

حربة، وبسط قدّامه نطع. وملك قبله قائم في يده سيف من النار يضرب أعناق القوم وتقع النار فيهم فتحرقهم ثم يحيون ويقتلهم أيضاً هكذا، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت سهماً فقال النبي: ألست كثّرت السواد؟ فسلّمني وأخذ من طست فيه دم فكحلني من ذلك الدم. فاحترقت عيناي فلما انتبهت كنت أعمى[1].

[٢٦]

الإمام الحسين لا يسمح لهما بالدخول؟!

نُقل لي أنّه كان أيام المرجع الديني الكبير السيد البروجردي قدس سره شخصان قد صدر من كل منهما سبيله قد تبدو هناة في نظر بعضنا إلاّ إنّها عند الله عظيمة، حيث كان أحدهما لديه صهر مواظب وبإيمان على الحضور في مجالس العزاء التي تقام لأبي عبد الله عليه السلام وكان هذا الشخص بدل أن يثني على صهره ويكبر فيه روح الإيمان على مواصلة المشاركة كان يثبطه ويقلل من عزيمته قائلاً له: لا داعي لكل هذا الاهتمام في المشاركة ويكفيك القليل من الحضور أما الشخص الآخر فكان يستهزئ ببعض الشعائر ويستخف بالقائمين عليها، ففي ليلة العاشر من المحرّم لإحدى السنين رأى أحدّهما في منامه - ونقل الحادثة بعد ذلك للسيد البروجردي- كأنّ يوم القيامة قد قام، وهو وزميله الذي يستخف ببعض الشعائر في ساحة المحشر حائرين لا يدريان ما يصنعان ولا يعرفان

---

(١) التضحية الحسينية: ص٢٦.

مصيرهما، وإذا بهما يشاهدان مكاناً فيه جنّة فسألا عنه. فقيل لهما: هناك يجلس الإمام الحسين عليه السلام ومحبوه يدخلون عليه يحدثهم ويحدثونه، فانبريا قائلين: نحن كذلك من محبي الإمام الحسين وممّن يشترك في إحياء مجالس عزائه وإقامة شعائره فلنذهب لزيارته ورؤيته. وعندما همّا بالدخول مع المؤمنين إلى حضرة الإمام الحسين عليه السلام حال الملائكة الموكّلون بحراسة مجلسه دونهما، فتعجبا قائلين: لِمَ لا تسمحون لنا بالدخول؟ فقالت الملائكة لهما: كذلك أُمرنا، ألستما فلاناً وفلاناً؟ فقالا: نعم، ولكن هلاّ أخبرتمانا عن السبب؟ وبعد إصرارهما دخل أحد الملائكة ثم خرج، وقال لهما: لقد منعتما بما كان منكما في تثبيط أحدكما لصهره، واستهزاء الأخر ببعض شعائر الإمام عليه السلام حينها فزع الشخص من نومه وكان الوقت قبيل الفجر مرعوباً خائفاً، لم يقوَ على معاودة نومه حتى الصباح. شريكه في الرؤيا. طالباً منه التهيؤ للذهاب معاً إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام وبعد أن استقرَ بهما المكان، قصّ لصاحبه المنام بحذافيره، وأخذا يبكيان طالبين من الإمام الصفح عن خطيئتهما معاهدين على الإقلاع عنها وعن أمثالها[1].

[٢٧]

تأثير وضوء السيد البروجردي؟!

لقد أسس آية الله البروجردي رحمه الله مركزاً إسلامياً في مدينة هامبورغ في ألمانيا وبعث مبلّغاً دينياً هنالك.

قيل: فطُلِبَ من هذا المبلّغ في هامبورغ أن يعطيهم صورة للسيد

---

(١) التضحية الحسينية وعطائها: ص٢٩.

البروجردي لعرضها في التلفزيون، ففكر المبلّغ أي صورة ستكون مؤثرة جداً لو عُرضت وانتهى تفكيره إلى أن يعطيهم صورة السيد وهو يتوضأ؛ لأنها ستكون مؤثرة جداً في نفوس مشاهديها، لما تعكس من خشوع السيد حال تهيئه للقاء الله تعالى في الصلاة لاشك أن أفعال الوضوء التي يأتي بها السيد البروجردي لا تختلف عن الأفعال التي يؤدّيها سائر المتوضئين من المسلمين ممّن هم على مذهب أهل البيت عليهم السلام على الأقل يقول هذا المبلّغ: ما أن عرض هذا الفيلم الذي يصور وضوء السيّد البروجردي حتى آثار في نفوس المشاهدين روح الحب والولاء وأسلم في اليوم نفسه عشرة من النصارى ممّن شاهدوا الفيلم.

فإذا كان هذا تأثير مشاهدة صورة وضوء السيد البروجردي وهو بمثابة تلميذ تلميذ تلميذ الإمام زين العابدين عليه السلام فكيف بالتأثير الذي يتركه سلوك الإمام عليه السلام نفسه على من يشاهده؟![1].

[٢٨]

بكاء الشيخ المسن؟

لقد رأيتُ بنفسي في مدينة كربلاء المقدسة قديماً أحد المراجع قدس سره وكان شيخاً مسّناً ذا لحية بيضاء إذ حضر مجالس العزاء في أيام محرّم الحرام يبكي بصوت عال، فكان يبدأ البكاء عادة والخطيب بعد في أول ذكر المصيبة فكان يبكي بصوت خافت ولكن وجهه كان يحمر وأكتافه

---

(١) سيرة الإمام زين العابدين: ص٢٨.

تتحرك وجسمه كلّه يهتز، وعيناه يهملان بالدموع فكان كلّ مَن يراه، وأنا من جملتهم يتأثر لبكائه فيبكي فكان الناس يبكون لهذه الصورة أكثر ممّا يبكيهم ما يذكره الخطيب! فإذا كان لهذا العالم المسن كل هذا التأثير في مَن يراه، فكيف بالإمام زين العابدين عليه السلام وهو جبل العلم والتقوى فلا عجب أن تكون نظرته مؤثرة، وتكبيره مؤثراً، بل لابدّ أن يكون مؤثراً في كلّ حركةٍ من حركاته، بل حتى في سكونه[1].

[٢٩]

يحرق أصابعه من شدة الورع

يُنقل أن بنت الأمير في إحدى مدن إيران كانت عائدة إلى بيتها في وقت متأخر من ليلةٍ شاتية، إذ صادفت في طريقها مدرسة دينية، ففكرت أنْ تلجأ إليها حتى الصباح طلباً للأمان، ولم يكن في المدرسة في تلك الليّلة إلاّ طالب علم أعزب ينام في إحدى الغرف وحيداً فريداً، فلما طرقت الباب فوجئ الطالب بشابةٍ تطلب اللجوء في المبيت عنده حتى الصباح، فأدخلها الطالب حينئذ حجرته على وجل! ونامت آمنة مطمئنة حتى الصباح، ثم غادرت إلى بيت أبيها الأمير، عندما سألها أبوها الأمير عن مكان مبيتها ليلة أمس حكت له القصّة فسأل الأمير وأرسل خلف طالب العلم ليستوضح الأمر، فتبيّن له بعد ذلك أنّ هذا الطالب منعه تقواه من أن يتكلم معها فضلا

---

(١) سيرة الإمام زين العابدين: ص٢٩.

عـن أن يدنو منها أو غير ذلك! وعندما أراد الأمير أن يشكر الطالب اكتشف أنّ إحـدى أصابعه قد أُحرقت حديثاً فسأله عن السبب؟ فقال تعلم إني شاب وأعـزب، واتّفـق أن نامـت فـي غرفتـي ابنتك وهي امرأة شابة ولم يكن معنا أحـد غيـرنا فأخـذ الشيطان يوسوس لي فخفت أن أفشل في مقاومته فكانت فـي غرفتـي شـعلة نفطـية فـبدأت أقـرّب إصـبعي مـن النار كلّما وسوس لي الـشيطان وقـديماً قـيل: والجـرح يـسكنه الـذي هـو ألـم فـصرت أسّكن ألم الـشهوة بألم الاحتراق، وبقيت هكذا إلى الصباح حتى نجّاني الله من الوقوع فـي فخّ الشيطان، وما توسوس به النفس الأمارة بالسوء وعندما سمعت الفتاة ذلـك قالـت: هو كذلك؛ لأني كنت أشمُّ رائحة شواء ولم أكن أعلم أنّ هذا المـسكين إنمـا كـان يشوي إصبعه! وقيل: إنّ الأمير زوجها إياه بعد ذلك لما رأى مـن جلـده وتقـواه، وهـذا الـشاب هـو أحد علمائنا الأعلام الذي عرف فيما بعد بـ «مير داماد» أي صهر الأمير(١).

[٣٠]

من زهد الشيخ الأنصاري والشيخ محسن خنفر (قدس سرهما)

كـان الـشيخ الأنصاري رحمه الله طالب علم، ثم أصبح مدرّساً فمرجعاً عامّاً للتقلـيد يـرجع إلـيه الملايـين مـن المـسلمين وتُجبـى إلـيه الأمـوال الكثيـرة، وعـندما مـات لـم تـزد تـركته على سبعة عشر توماناً مع أنّه كان يعيل زوجة

---
(١) حلية الصالحين: ص٢٧.

وأطفالاً وكذلك أمّه التي كانت تعيش معه، كما كان يأتيه الضيوف من كل مكان وكان يعاصر الشيخ الأنصاري عالم جليل القدر يدعى الشيخ محسن خنفر وكان أكبر سنّاً منه وإن كان دونه في المنزلة العلميّة مرض (الشيخ خنفر) أخريات أيام حياته مرضاً ألزمه داره فأخبر الشيخ الأنصاري بذلك ، فتألم ودعا له، ولما أعوز الشيخ محسن خنفر بعض المال أرسل له الشيخ الأنصاري كيساً من الذهب، وكانت عمدة الأموال يومئذ الذهب والفضة، وكانت تُجبى في أكياس لكي يأخذ حاجته منه. وفعلاً فأنّ الشيخ خنفر لم يكن ليأخذ أكثر من دينار وثلاثة أرباع الدينار، أي مثقالاً من الذهب وثلاثة أرباع المثقال، ثم أرجع الباقي وقال: بلغوا شكري للشيخ مرتضى واخبروه أنني أخذت كفايتي! وعندما توفي الشيخ خنفر بعد مدة وجيزة تبيّن أنّ ما أخذه كان فعلاً بمقدار حاجته لما تبقّى من حياته، فإذا كانت كل تلك الأموال الضخمة ترد على الشيخ الأنصاري ولكنه لم يترك أكثر من سبعة عشر توماناً وأن الشيخ خنفر قد اكتفى بما يسد عوزه أفلا يعني هذا إنهما قد ارتقيا درجات رفيعة في سلّم أكمل الإيمان؟[1].

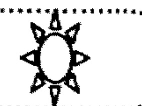
[٣١]

إياك وذل المؤمنين

روى الحسين بن أبي العلا قال: خرجنا إلى مكّة نيف وعشرون رجلاً فكنت أذبح لهم في كلّ منزل شاة فلّما أردت أن أدخل على أبي عبد

---

(١) حلية الصالحين: ص٢٨.



الله عليه السلام قال لي: يا حسين وتذلّ المؤمنين قلت: أعوذ بالله من ذلك.

فقال عليه السلام بلغني أنّك كنت تذبح لهم في كلّ منزل شاة؟! قلت: ما أردت إلاّ الله. فقال: أما كنت ترى أنّ فيهم من يحب أنّ يفعل فعالك فلا يبلغ مقدرته ذلك فتتقاصر إليه نفسه. قلت: استغفر الله ولا أعود[1].

[٣٢]

يتصدق حتى بثيابه

عن عبد الله بن حمّاد، عن علي بن أبي حمزة قال: كان لي صديق من كتّاب بني أمية فقال لي: استأذن لي على أبي عبد الله عليه السلام فاستأذنت له عليه، فأذن له فلّما أن دخل سلّم وجلس ثم قال: جُعلت فداك أنّي كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت في مطالبه، فقال أبو عبد الله عليه السلام لولا أنّ بني أمية وجدوا في ما يكتب لهم، ويجبي لهم الفيء، ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقّنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلاّ ما وقع في أيديهم. قال: فقال الفتى جُعلت فداك فهل لي مخرج منه؟ قال: إن قلتُ لك تفعل؟ قال: أفعل، قال له: فاخرج من جميع ما اكتسبت في ديوانهم فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومَن لم تعرف تصدّقت به وأنا أضمن لك على الله عزّ وجل الجنّة، قال: فاطرق الفتى رأسه طويلاً ثم قال له: قد فعلت جُعلت فداك قال ابن أبي

---

(١) حلية الصالحين: ص٣٣.

حمزة: فرجع الفتى معنا إلى الكوفة فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلاّ خرج منه حتى ثيابه التي كانت على بدنه، قال: فقسّمت له قسمة واشترينا له ثياباً وبعثنا إليه بنفقة قال: فما أتى عليه إلا أشهر قلائل حتى مرض، فكنّا نعوده..[1].

[٣٣]

أفضل الأعمال

نقل أحد تلاميذ السيّد الوالد رحمه الله[2] قال: ذهبت يوماً إلى السيّد قبل الدرس، وقلت له: عندي سؤال مهم، وأرجو منكم أن تجيبوا عليه. قال السيد: تفضل اسأل، قلت: سيدي إذا علمت أنك ستفارق الدنيا بعد ساعة أو يوم، فماذا أنت فاعل خلال هذه المدة القصيرة الباقية من عمرك؟ فأجابني السيد على الفور ودون أدنى تأمّل- أي على خلاف عادته التي عرف بها في أوساط المحيطين به، وهي أنّه لا يجيب على أي سؤال بسرعة، بل كان يتأمل ولو قليلاً ثم يُجيب: الأمر الذي يكشف عن أنّه كان قد فكر سابقاً في هذا الأمر، ولذلك كان جوابه حاضراً عنده- قائلاً: أعمل هذا الذي أنا مشغول به الآن، وكان جالساً يطالع كتاب «الجواهر» متهيئاً لإلقاء الدرس وكان الوقت قبيل وقت إلقاء درسه كما قلنا[3].

---

(١) حلية الصالحين: ص٣٦.

(٢) آية الله العظمى السيّد الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي قدس سره.

(٣) حلية الصالحين: ص٤٤.

[٣٤]

السيد البروجردي يعتذر لأحد طلبته

كان المرحوم السيّد البروجردي رحمه الله يُدرس الأصول في مسجد «عشق علي» عصراً وفي أحد الأيام وبينما السيّد يلقي الدرس من على المنبر وجّه أحد التلاميذ الحاضرين إشكالاً على الموضوع الذي كان يطرحه السيد، فأجاب السيّد على الإشكال، ولكن التلميذ استشكل مرةً أخرى، وأجاب السيد أيضاً، ولكنه احتدَّ هذه المرة في كلامه بعض الشيء فسكت التلميذ.

يقول السيد الخوانساري: كنت قد أقمت صلاة المغرب في اليوم نفسه ولم أصلِّ العشاء بعد عندما جاءني خادم السيد البروجردي وقال لي: «يطلب منك السيد أن تحضر عنده الآن» أسرعت إلى السيد فرأيت التأثر بادياً عليه وكان واقفاً عند باب مكتبته متعجلاً قدومي؛ فقال لي: لقد صدرت حدّة في كلامي مع التلميذ الذي استشكل عليَّ اليوم وأريد منك أن تأخذني إليه قبل أن اصلّي المغرب والعشاء لأعتذر منه فلم يكن ما قد صدر مني تجاهه صحيحاً.

يقول السيد الخوانساري: قلت للسيد أن الشيخ (التلميذ) يؤم جماعة المصلين في المسجد الفلاني، ثم يذكر بعد ذلك بعض المسائل الشرعية للناس ويُجيب على أسئلتهم، فهناك أمامنا زهاء ساعتين ريثما يذهب الشيخ إلى بيته فلأذهب الليلة وحدي إلى بيته وأخبره بالأمر وأرتب معه موعداً لزيارته غداً لكي نذهب سوية إلى منزله وهكذا حدث، فلقد أخبرت الشيخ

بالأمر ليلاً، وفي الصباح الباكر ذهبت إلى حرم السيدة المعصومة، كما جرت عادتي على ذلك ثم رجعت إلى البيت وإذا بي أرى السيد البروجردي، مستقلاً عربته، مستعداً أمام بيتي ينتظرني وكان رحمه الله كبير السن لا يستطيع المشي بسهولة. فركبت معه العربة وانطلقنا إلى بيت الشيخ الذي ما أن سمع طرق الباب حتى أسرع إلى فتحه ورحّب بالسيد كثيراً، كيف لا وقد كان طالباً بين يديه والسيد يومذاك كان مرجعاً عاماً للشيعة. وكان الشيخ من مقلديه.

يقول السيد الخوانساري: عندما دخل السيد أمسك بيد الشيخ وهمَّ بتقبيلها لولا أن الشيخ سحب يده بقوة ممتنعاً !! قال السيد البروجردي: أعذرني على شدتي في الكلام معك أمس، فما كان ينبغي لي أن أفعل ذلك! فقال له الشيخ: أنت سيدنا ومولانا ومرجع المسلمين وأنا واحدهم، وتوجهك هذا إليّ فضلاً منك عليَّ. ولكن السيد البروجردي كرر قوله بطلب العفو والصفح.

وهنا نسأل: إذا صدر من الإنسان شيء لم يكن، أو شعر أنّه لم يكن في محله ألا يجدر به العمل بما وافق السنة؟ فإن عمل به فهو أحسن الأعمال وإلاّ لو لم يكن السيد البروجردي رحمه الله ممتلئاً بعلوم أهل البيت عليهم السلام لما وفق لهذا التوفيق ببلوغ أحسن الأعمال الأمر الذي يجعلنا ندرك مدى أهمية الحديث المتقدّم المروي عن الإمام الرضا عليه السلام والذي يقول فيه: (يتعلم علومنا ويعلّمها الناس)[1].

---

(١) حلية الصالحين: ص٤٦.

[٣٥]

يحفر حفرة لكتبه

نقل لي أحد العلماء رحمه الله قال: لقد ألفت مجموعة من الكتب خلال عشرين سنة ثم بدا لي بعد ذلك أنّي غير راغب فيها- من الناحية الدينية طبعاً وليس السياسية- ولا أريد بقاءها عندي، ففكرّت بطريقة للتخلّص منها، لأنني لا أستطيع إحراقها بسبب وجود أسماء الله تعالى وآيات قرآنية وروايات للمعصومين فيها، يقول: ففكرّت أنْ أعطيها لشخص لكي يرميها في النهر ولكني خشيت أن لا يرميها في الماء أو أن يبقى منها ما قد يدركه أحد ويستخرجه، فرأيت أن أفضل طريقة هي أن أدفنها في حفرة احفرها في داخل بيتي فاستأجرت حفاراً ليحفر لي بئراً في موضع من البيت، وبعد أن حفر مقداراً أعطيته أجرته وطلبت من أن ينصرف، وعندما خرج من البيت أسرعت بوضع الكتب في الحفرة وفتحت عليها الماء ثم أهلت التراب حتى اختفت ثم سوّيت ما عليها![1].

[٣٦]

نكران الذات عند الشيخ عباس القمي

للشيخ عباس القمي رحمه الله كتب عديدة منها «مفاتيح الجنان» وله كتاب عميق المحتوى كتبه باللغة الفارسية وتمت ترجمته مؤخراً إلى اللغة العربية،

---

(١) حلية الصالحين: ص٥٩.

أسماه «منازل الآخرة» وهو حقاً يعبّر عن محتواه.

كان أبوه (محمد رضا) رجلاً عادياً ومن الكسبة الأخيار، فكان في مدينة قم المقدّسة، حيث كان هناك خطيب قد تأثر بخطابه وبوعظه وإرشاده، فقد كان خطيباً جيداً في نفس الوقت كان من الذين يخدمون أهل البيت عليهم السلام عن هذا الطريق أما الشيخ عباس القمي فلم تكن حرفته الأصلية الخطابة، بل كان مؤلفاً محققاً، ولكنه مع ذلك كان يصعد المنبر أحياناً. وكان المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري (زعيم الحوزة العلمية) يدعوه أحياناً ليصعد المنبر في بيته في مشهد المقدسة. وكان غالباً ما يأخذ معه كتاباً بيده ويقرأ منه؛ لأنّه كان يخشى الزيادة والنقيصة ويتورّع في ذلك كان محمد رضا يسأل أبنه «الشيخ عباس» مراراً: لماذا لا تزيد من معلوماتك وتصعد المنبر مثل الخطيب الفلاني الذي احضر مجلسه في مسجد الإمام العسكري عليه السلام فهو خطيب جيد يحضر منبره جمهور كثير وهو يقرأ من كتاب معه يحوي مواعظ وحكماً وحكايات مؤثرة؟ وكان الكتاب الذي يطالع فيه ذلك الخطيب هو كتاب «منازل الآخرة» للشيخ عباس القمي، ولكن الشيخ مع ذلك لم يخبر أباه أبداً بأنّ هذا الخطيب إنما يقرأ من كتاب «منازل الآخرة» وأنه من تأليفي[1].

[٣٧]

الذي يكرم الزوار؟!

كان هناك رجل حاج أعرفه جيّداً يعيش في إحدى المدن المقدسة،

---

(١) حلية الصالحين: ص٦١.



فقد صادف أن نزل في مدينته رجل زائر من بلد آخر جاء هو وعائلته، وكانوا قد نزلوا فيها لأوّل مرّة لأداء الزيارة ولا يعرفون فيها أحداً، فذهبوا يبحثون عن مكان في الفنادق والمنازل التي يؤجرّها أصحابها، فلم يحصلوا على مكان بسبب كثرة الزوار، فاضطروا للجلوس في مكان ما فلما رآهم ذلك الرجل الحاج- وهو كما اعرفه كان يعمل الخير ما وسعه لأي شخص سواء كان يعرفه أم لا على هذه الصورة جالسين على الأرض سألهم: لماذا أنتم جالسون هنا؟ قالوا له: نحن مسافرون جئنا للزيارة، ولكنا لم نعثر على مكان ننزل فيه فاضطررنا للجلوس هنا عسى أن يمر بنا شخص فيرشدنا إلى مكان ما نأوي إليه. عندها قال لهم الحاج: تعالوا معي إلى بيتي، ففرحوا بذلك وأضمروا أن يعطوه الأجرة المناسبة آخر الأمر- لأنّهم كانوا أناساً متمكنين مادياً- فأنزلهم الحاج في بيته منزلاً كريماً حتى أقاموا عنده عشرة أيام كان يقدم لهم خلالها كل متطلبات كرم الضيافة بما فيها الطعام، ولما شارفوا على الرحيل بعد انتهاء مدة زيارتهم، عرضوا عليه مبلغاً من المال لخدماته لهم، ففوجئوا أنّه لا يتقبل على عمله هذا أجوراً أو شيئاً من هذا القبيل قائلاً: أنكم لم تكونوا ضيوفي بل ضيوف الإمامعليه السلام وأنّ الأجر الذي سأحصل عليه منه يفوق ما تعطونه لي مهما بلغ. وعندما لاحظوا إصراره على رفض أخذ المال ودعوه شاكرين وانصرفوا. وبعد مرور بضع سنوات حدثت للحاج (المضيِّف) مشكلة سياسية في نفس البلد الذي قدم منه ذلك الزائر (الضيف) ليزج بالحاج السجن، وكان من المحتمل أن يصدر بحقّه حكم الإعدام، وحينما كان يتعرض للاستجواب لعدة أيام، جاءه في آخر

استجواب يمارس معه شخص يظهر من الرتبة العسكرية التي يحملها على كتفه أنّه رجل رفيع المنصب في الدولة بصفة محقق قضائي. فلما رآه سأله: ألستَ فلاناً؟ قال بلى. ثم شرع بتوجيه الأسئلة عليه؛ من قبيل: ألستَ تسكن البلد الفلاني؟ وكان الحاج يجيب: لقد سألتموني من قبل والمعلومات مدوّنة عندكم فقد أدليت بكل أفادتي.

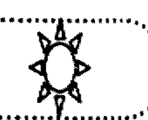
وأخيراً سأله المحقق: أليس بيتك في المكان الفلاني؟ فقال: نعم، ثم نظر المحقق إليه نظرة خاصة وقال: ألم تعرفني؟ قال: لا قال: دقق فيَّ جيداً وثم رفع قبعته من على رأسه. فقال الحاج: كأني رأيتك ولكن لا أتذكر أين فقال الرجل لقد كنت وعائلتي عشرة أيام ضيوفاً في بيتك أكرمتنا كثيراً دون مقابل. قال الحاج بعد تذكره ما كان قد نسيه إنما فعلته لله. وهنا قال له: ها هو حكمك بيدي وعقوبتك تصل حتى الإعدام، ولكني أمزق الورقة أمامك وأقول لك تفضل واخرج فليس عليك شيء![1].

[٣٨]

لقد كنت حمالا فلا تنسى

قبل سنوات دُعيت للصلاة على جنازة أحد التّجار المؤمنين كنت قد شاهدته وعايشته كان شخصاً عادياً وكان يحضى باحترام جميع الطبقات بدءاً بالعلماء ورئيس الحكومة وانتهاء بعامة الناس، حتى أنني أحببت أن

(١) حلية الصالحين: ص١٣٨.



أسأله مرّة وكنت في داره- عما إذا كان هناك سر ينطوي عليه فرزقه الله هذه المحبة والاحترام في قلوب الناس، فامتنعت وصرفت النظر، غير أنّ المعروف عنه أنه كان رجلاً متديناً، مؤدّباً، يشهد صلاة الجماعة ويتحلى بكثير من الفضائل.

نقل لي بعض من يعرف تاريخه قائلاً: إنه كان في شبابه حمالاً ولكنه كان يتحلّى بالأخلاق والذكاء والجد، فترقى وضعه المالي تدريجياً حتى أصبح تاجراً وصاحب نعمة، وأستمرّ على أخلاقه وتواضعه حتى بعد أن تغير وضعه وتحسن فجمع إلى جانب المال حسن الخلق والدين فكسب بذلك احترام الناس لدرجة كبيرة، حتى أني عندما حضرت مجلس الفاتحة الذي أقيم على روحه شاهدت حضوراً كثيفاً من مختلف الطبقات علماء وموظفين وكسبة وتجاراً وشيوخاً وشباباً. ما يلفت النظر أنّ الرجل لم يكن من العلماء ولا من الزهاد ولا من المتميزين في شيء سوى أنّه كان تاجراً متدّيناً عادياً.

نقل لي بعض أصدقائه القدامى عن أحواله فقال: كان هذا الرجل يحتفظ حتى آخر حياته بالوسيلة التي كان يحمل بها البضائع على ظهره أيام كان حمّالاً، ليس هذا فحسب بل كان ينظر إليها كل يوم قبل مغادرة البيت ويخاطب نفسه قائلاً: لقد كنت حمالا فلا تنسى!![1].

---

(١) حلية الصالحين: ص١٥٩.

[٣٩]

السيد إسماعيل الصدر قدس سره يرى نورا في سرداب العسكريين عليهما السلام

كان الميرزا حسين الخليلي والسيد إسماعيل الصدر (رحمهما الله) من تلاميذ المجدد الشيرازي رحمه الله وكلاهما بلغا مقام المرجعية الدينية وكان أيام درسهما على السيد المجدّد زميلين يتباحثان معاً. واتفق في إحدى الليالي أن بات السيد الصدر عند الشيخ الخليلي، فأيقظه الشيخ ساعتين قبل الفجر ودعاه للذهاب إلى حرم الإمامين العسكريين عليهما السلام قال السيد الصدر: ولكن باب الصحن مسدود في مثل هذا الوقت؛ فقال الشيخ: لا عليك سيفتحونها عندما نصل وبعد أن أديا نوافل الليل في الروضة المقدسة، قال الشيخ: لنذهب إلى السرداب المقدس لزيارة الإمام الحجة عجل الله فرجه ثم نعود بعد الأذان إلى الروضة المقدسة لأداء فريضة الصبح. قال: السيد في جوابه: لكن السرداب مغلق الآن. فأجابه الشيخ: لا بأس نزور الإمام من عند الشباك المطل على السرداب، والموجود في صحن الإمام الهادي عليه السلام بالفعل ذهبا عند الشباك وشرعا بزيارة الإمام المنتظر عجل الله فرجه وكانت أضوية السرداب مطفأة، ولم تكن المصابيح الكهربائية موجودة في ذلك الزمان، بل كانت المصابيح النفطية أو الشموع.

يقول السيد الصدر: لقد لاحظت أثناء زيارتي نوراً لا يشبه نور المصابيح متنقلاً في السرداب، ففركت عيني لاحتمال أن يكون قد غشيني نعاس أو خيال وما أشبه، إلاّ أني كنت متأكداً من رؤيتي للنور وهو يتحرّك

داخل السرداب وكان ضوءه أنور من ضوء المصابيح.

يقول السيد: أخبرت الشيخ بذلك فقال: هذا النور هو الذي أيقضني وهو الذي يأتي بي كل ليلة إلى هذا المكان[١].

[٤٠]

على فراش الموت ويطلب براءة الذمة

يُنقل إنّ شخصاً مرض وأوشك على الموت؛ فقال لأبنه: اذهب وادع لي فلاناً وفلاناً- وسمّى له بعض الأشخاص- وعندما أحضروه التفت إليهم وهو مسجّى على فراش الموت قائلاً: إن لكم جميعاً عليَّ حقوقاً وأرجو أن تحللوني منها، فأني قد أفارقكم الساعة. تعجب القوم وسألوه مستغربين: لا نعرف لنا عليكم حقوقاً فهلاّ عرفتنا بها؟ قال: دعوكم من هذا وتفضّلوا عليَّ بالعفو؛ لأني أوشك على الموت. ولكنهم أصرّوا على معرفة حقوقهم. ولما رأى إصرارهم التفت إلى الأول وقال: أتذكر حينما احترق بستانك واتهمت فلاناً من الناس وحكم عليه القاضي، أنا الذي حرقتها وليس ذلك المسكين، وزاد فضول الشخص لمعرفة تفاصيل القضية، فالتمسه أن لا يبخل بسردها عليه. فقال له: لقد دار نقاش محتدم في أحد الأيام بينك وبين زيد فهددك بحرق نخيلك، وكنت اسمع كلامكما فجئت في منتصف الليل وقمت أنا بإحراقها، وحيث إنّ زيداً كان قد هددك أُلبست في حقه التهمة وأُودع

---

(١) حلية الصالحين: ص١٨٩.

السجن. ثم التفت إلى الثاني وقال له: أن المشكلة التي نزلت بك في يوم كذا أنا افتعلتها وهكذا أخذ يعدد لهم مكايده واحدة بعد الأخرى[1].

[٤١]

من خلق الأعلام

نقل لي أحد الأشخاص وكان هو الواسطة بين السيد أبي الحسن الاصفهاني قدس سره وشخص آخر لا أعرفه كان يكيل السباب والشتائم للسيد، - أي كان شانئاً له - قال: في أحد الأيام قلت للسيد أبي الحسن الأصفهاني - وكان قد بلغه أمر الرجل - ماذا نصنع معه؟ قال: أنت صديقه، فلا بأس أن تغتنم إحدى المناسبات لنذهب معاً إلى زيارته فقلت له: سيّدنا أتزوره؟ قال: نعم، فسررت كثيراً لذلك، لأني كنت أحب أن تحل المشكلة؛ لأنّ ذلك الشخص كان صديقاً لي وكان شخصية اجتماعية أيضاً فكنت استاء كثيراً من تصرفاته تلك، خصوصاً وأنّ السيد كان مرجعي في التقليد، فضلاً عن العلاقة به وامتثالاً لطلب السيد في زيارته كنت كلما ذكرت اسم السيد عنده لأقنعه بزيارته له، كان يرد ولا يدع مجالاً لذلك الحديث حتى مرض في أحد الأيام فأخبرت السيد الأصفهاني بالأمر، أو قلت له: إنها فرصة مناسبة وجئت للرجل وقلت له: أنت مريض والناس يعودونك فربما يعودك السيد أبو الحسن الأصفهاني.

فإذا به يلتفت إليّ قائلاً: بعد أن بلغه منّي ما بلغ، لا أظنّه يفعل! قلت:

---

(١) حلية الصالحين: ص٢٠٩.

أنت تعرف السيد فهو يزور الجميع ويعود المرضى، ثم التفت إليه أخرى وقلت: هب أنّ السيد جاء لعيادتك، ماذا أنت صانع؟ قال: أستقبله بما يكره، ولا أقوم له!! قلت له: افرض أنّه ليس من وصايا الإسلام الأكيدة احترام المؤمن ولنفرض أنك لا تلتفت إلى أنه عالم دين ومن سلالة البيت النبوي الطاهرة، ولكن هل يسوغ لك أن تخدش حرمة شخص جاء لزيارتك وحلّ ضيفاً عليك ،أنت رجل عربي؟! فتأمل هنيهة. ثم قال: إذا لا أكلمه ولا أقوم احتراماً له! فذهبت على السيد وأخبرته بالأمر، وجئنا سوية لعيادة الرجل، وحينما دخلنا تظاهر أنّه لا يستطيع القيام من شدة المرض مع أنّه كان يستطيع! وأخذ يتثاقل في جواب السيد ولا يُجيب إلّا بقدر الضرورة ولكن السيد ظل يلاطفه ويسأل أحواله وهو يجيب بكل برودة، واستمر السيد يلاطفه بأخلاقه الحسنة حتى انجلت الغبرة عن صدره، بحيث عندما همَّ السيد بالمغادرة قام الرجل لمشايعته إلى الباب وسألته بعد ذلك كيف وجدت السيد؟ قال: بعد إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف لا شخص أفضل منه على الإطلاق[1].

[٤٢]

الأئمة عليهم السلام مطلعون علينا

يُحكى أن أحد الأشخاص كان ذا التزام ديني ظاهري ذهب لزيارة الإمام الرضا عليه السلام لطلب الحوائج منه. وكانت حوائجه كثيرة إلاّ إنّ أياً منها

(١) حلية الصالحين: ص٢١٢.

لـم يتحقق. يقول الشخص نفسه: ولكني قبيل خروجي من الروضة المباركة طلبت مـن الإمام من أن يبيّن لي منزلتي عنده، وإذا بشخص يناديني باسمي الحقيقـي الـذي كـنت أخفـيه عـن سـائر الناس ولا يعرفه إلاّ الخواص جداً، فاستغربت من ذلك، ثم إنّه أنبأني بأنّ منزلتي ومقامي كذا وكذا- ويبدو أنّه كان مقاماً بائساً[١].

ويقـال: إنّ شخصاً كان في زيارة الإمام الرضاعليه السلام فبدر إلى ذهنه هذا السؤال إذا كـان ردّ السلام واجباً فهل الإمام يرد جواب كل زائر يسلّم عليه منفرداً أم يجيب بجواب واحد للجميع كأن يقول: وعليكم السلام جميعاً؟

فظهـر له الإمام في عالم المكاشفة وهو يرد سلام كل مسلم باستقلال، ومنهم الشخص الذي بدر إلى ذهنه هذا التساؤل.

وهـذا معـناه أنّ الأئمـة يـشهدوننا ويعـرفون عـنّا كـل شيء، فقد روي عنهمعليهم السلام قولهم (نحن صنائع الله)[٢].

[٤٣]

حاكم يحكم على رؤيته

ممـا يـنقل فـي هـذا المجـال أنّـه فـي إحـدى البلدان عزم رئيسها على إرسـال قاضي إلى إحدى المناطق، إلاّ أنّ حاكم تلك المنطقة سرعان ما قام بقـتله، وحتـى يتبين للرئيس السبب في ذلك، قام بإرسال قاضي آخر، ولكن

---

(١) حلية الصالحين: ص٢٢٧.

(٢) نفس المصدر.

الحاكم ألحقه بالقاضي الذي سبقه، وهذا الأمر أدّى ببعض القضاة إلى الامتناع عن التوجه إلى ممارسة القضاء في تلك المنطقة. غير أن أحدهم، بعد فترة تبّرع بقبول المنصب لقاء أجر باهض جداً مدّعياً أنّه سيعمل في سبيل الكشف عن أسباب مقتل القاضيين اللذين سبقاه، ومن ثم يعلم رئيسه ليقضي على الحاكم وفي الوقت نفسه يكسب ثقة الرئيس بعلمه وعمله لكي يضمن لنفسه بعد ذلك منصباً أرفع وأجراً أعلى. وحين توّجه على تلك المنطقة أخذ القاضي بمسامرة ومجالسة حاكمها في محاولة منه ليعرف أسباب قتله القاضيين السابقين ولما أطمأن له الحاكم بعدما أخذ بمجامع عقله وقلبه، قال له: إنه لم يقتل القاضي الأول إلاّ بعد أن رأى في منامه ذات مرّة أنه عدو لدود له، وحينما استيقظ مرعوباً. أمر بقتله فوراً أما القاضي الثاني فرأى فيه رؤيا وكأنه حلّ مكانه حاكماً، ففزع ولذا ألحقه بصاحبه.

فلما سمع القاضي الثالث هذا الكلام لم يجد بداً حينها إلاّ الهروب والعودة إلى رئيسه، فأخبره مؤكداً له بأنّه ربما يتمكن من ضبط كل شيء من ذلك الحاكم. سوى رؤياه فأنّه لا يقدر أن يتحكم فيها وقد يرى رؤيا لهذا الثالث ويلحقه بسلفيه(١).

[٤٤]

التسويف في الفرائض من الكبائر

جاءني شخص وسألني عن الحج، قال: كنت مستطيعاً منذ عشرة

---

(١) حلية الصالحين: ص٢٣٧.

أعوام ولم أحج، ولكني كتبت في وصيتي: أن يحج أولادي بالنيابة عني، فقلت له: إن التسويف في الفرائض يعد من الكبائر، إلى أن اقتنع بأن يحج بنفسه وأن استلزم أن يقترض في ذلك وإن كان هو مستطيعاً كما تبيّن لي وبعد أن أبدى استعداده- وكان في شهر ذي القعدة- انصرف وبعد أسبوع أتوا لأذهب إلى الصلاة على جنازته، وعندما وصلت المكان كان أبناؤه موجودين، وقالوا لي: لم يكن به شيء ولكن أصيب بسكتة قلبية، فأخبرت أكبر أولاده أن عليهم أن ينفذوا ما كتبه لهم في وصيته التي اخبرني عنها قبل موته بأسبوع، وذلك بأن يبعثوا شخصاً خلال هذه السنة أي في غضون أيام أو أسابيع لكي يحجَّ نيابة عنه، فهذا يعد من أوجب الواجبات[1].

[٤٥]

هذا الخاتم لك؟!

كان السيّد أحمد الروحاني القمي خطيباً واعظاً يرتقي المنبر، سمعت منه بعض القصص الغنّية بالمواعظ والعبر، وقد حكى مرة فقال: اتصل بي في أحد الأيام شخص أعرفه وطلب منّي حضور تشييع جنازة أحد المؤمنين، فاعتذرت منه وقلت له: إنني لا أعرف المتوفى- وربما كانت لديه التزامات أخرى كان يراها أهم، وإلاّ فإن تشييع المؤمن أمر قد حثت

---

(١) حلية الصالحين: ص٢٧٦.

عليه الروايات كثيراً، ولا يشترط فيه معرفة المتوفى - فقال لي: ولكنه إنسان مؤمن فأرجو أن تحاول حضور تشييعه وإن لم تعرفه.

يقول: فوافقت، ولما حضرت التشييع لفت انتباهي شخص من المشيعين يبكي بكاءً مرّاً دفعني لأن أسأله: هل أنت ابن المرحوم؟ فقال: لا قلت فمن أقربائه؟ قال لا. قلت: إذاً فلِمَ هذا البكاء عليه وما هو السبب؟ قال: لذلك قصة سأحدثك عنها بعد انتهاء التشييع وبعد انتهاء التشييع قال: كنت رجلاً فقيراً ومعيلاً وأخجل أن أمدّ يدي إلى أحد، ولم يكن المال الذي أكسبه يكفي لمعيشتي وعائلتي، فقد كنت استأجر لهم غرفة في مكان متواضع وبأجرة رخيصة وعندما يطالبني المؤجر بالزيادة احظر لنقل عائلتي إلى مكان آخر، وهكذا أغيّر مكاني كل مدة فمكثت على هذه الحال أعاني من صعوبة الحياة وضنك العيش حتى اتفق في أحد الأيام أن التقيت بهذا الرجل ولكن أيّ لقاء، صادف أن دخلت إحدى المساجد في أحد الأيام لأداء الصلاة، فوقفت وحدي خلف آخر صف وإذا بهذا الرجل الذي فرغنا من تشييع جنازته قد جاء- ولم أكن أعرفه قبل ذلك - فوقف بجانبي قبل أن يكبر تكبيرة الإحرام أفرغ بعض الأشياء من جيبه و وضعها أمامه- لعله كان يلتزم ببعض الأشياء من جيبه و وضعها أمامه- لعّله كان يلتزم ببعض الآداب من عدم حمل بعض الأشياء أثناء الصلاة- ثم التحق بالجماعة وفي أثناء الركوع لفت انتباهي أنّ في الأشياء التي وضعها أمامه خاتماً من ذهب.

وفجأة بدر إلى ذهني فكرة سرقته، مع أنّي لم اكن قد تجرأت يوماً للسرقة قبل ذلك- وكنت في ذلك اليوم أمر في أسوأ حالاتي المادية، حتى

أنّه لم يكف عندي ما ابتاع به طعاماً لعائلتي فبقيت متردداً لحظات أحدّث نفسي وتحدثني واجذبها وتجذبني أأسرقه أم لا؟

وأخيرا جذبتني نفسي فطاوعتها على السرقة وبدأت أخطط للأمر وأراقب الرجل؛ هل منتبه للأشياء التي وضعها أمامه، أم هو غارق في الصلاة ليس ملتفتاً إلى غيرها؟

فرأيته كأنه غارق في صلاته، فقررت أن اسرق الخاتم في حالة السجود؛ لأنّ المسافة بين موضعي سجودنا لم تكن بعيدة، فكان لا يتطلب مني الأمر سوى أن أضع يدي على الخاتم قبل أن يرفع هو رأسه، ثم اسحبه في خفةٍ واضعه في جيبي وأواصل صلاتي لئلاّ الفت انتباهه، ثم أغادر بمجرّد أن تنتهي الصلاة ولكني لم أجرؤ على القيام بذلك في سجود الركعات الأولى حتى بلغنا السجدة الأخيرة من الركعة الأخيرة وفي تلك اللحظة قررت أخيراً أن أقوم بالمجازفة مهما كلّف الأمر. وفعلا وضعت يدي على الخاتم وسحبته ثم وضعت يدي على رجلي، إلاّ أنني كنت متوجساً خيفة من احتمال أن يكون قد شعر بي، فصرت أرقبه باختلاس وريبة، فرأيته وكأنّه غير منتبه فضلاً عن عدم إبدائه لأي ردة فعل، خصوصاً وإننا لا زلنا في الصلاة، ولكن مع ذلك بدأت دقات قلبي تتسارع وبدأت أُفكر كيف أفر بالخاتم إذا انتهت الصلاة. وبينما الأفكار تصارعني نفذ سمعي صوت الإمام قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولما هممت بالقيام وضع الرجل يده على يدي وقال لي: الخاتم لك! ولكن قلي لي: لماذا فعلت هذا؟ وعندما سمعته يقول لي: الخاتم لك اطمأننت قليلاً وهدأ



قلبي قلت له: صدقني أنها المرة الأولى وأني لم أسرق قبلها في حياتي قط فقال: هذا باد عليك؛ لأنّ وجهك قد اصفر ويديك ترتعشان وبدنك يرتجف، فأخبرني عن شانك؟ فقلت له: أنا رجل معيل وقد اضرّ بي الفقر، حتى بلغ بي الحال أن لا اقدر على تأمين قوت أهلي. فقال لي: الخاتم لك خذه ولكن إياك أن تبيعه بثمن بخس. فأنا رجل غني وجدير عهد بالزواج. وقد اشتريت هذا الخاتم لأقدمه هدية لزوجتي ولكن لا بأس سأشتري لها غيره، ولكن أنصحك أولاً أن لا تفرط به وتعرف قدره لئلا يغشوك.

وثانياً: إذا أردت بيعه فحين تذهب على بائع الذهب ربما ينكر أن يكون هذا الخاتم لك وإذا ما حصل هذا ولكي تتخلّص من مساءلته قل له: إن فلاناً - وذكر أسمه يعرفني وكان الأمر كما أخبرني بالفعل- فعندما أعطيته بائع الذهب أخذ ينظر إليه وينظر عليَّ مستغرباً ثم قال: من أين أتيت بهذا الخاتم، قلت: هو خاتمي: قال ليس خاتمك: قلت: إن كنت تشتريه فادفع لي ثمنه وإلا فادفعه لي لكي انصرف: قال لا أدفع ثمنه ولا أسلمه لك إلاّ في مركز الشرطة: فقلت له: أن فلاناً يعرفني ويعرف أنّ هذا الخاتم لي ولكنه لم يقتنع وطلب مني أن أحضره لكي يستبين الأمر- وبالفعل حضر الرجل وشهد لي عنده بأنّه يعرفني وأنّ الخاتم خاتمي فأعطاني بائع الذهب حينها ثمنه وكان كثيراً وخلي سبيلي. ولكن هذا الرجل، صاحب الخاتم- لحقني وقال: ماذا ستصنع إذا نفذ ثمن الخاتم؟ فلم أحر جواباً فاقترح عليّ أن اشتري به بيتاً صغيراً في منطقة مناسبة لكي أسكن في قسم منه وأوجر القسم الآخر لكي يكون لي عائد مستمر ولو قليل من إجارته فوافقت وظل

هو يبحث معي حتى وجد لي منزلاً بنفسه، فاشتريناه وكان كما اقترح ومرت علي السنوات بعد ذلك وقد خفّ ثقل الماضي ولم يعد يقلقني ضنك العيش بتلك الصورة، فهل يحق لي إذا أن أبكيه من كل قلبي؟ كيف لا وهو الذي ستر عليّ ولم يحدّث أحداً بصنيعه هذا(١).

[٤٦]

أمير المؤمنين عليه السلام يبعث له بالكتاب إلى منزله؟!

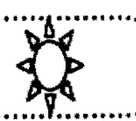
نقل لي مَن أثق به عمّن اعرفه- وقد توفاه الله سبحانه- أنّه كان بصدد تأليف كتاب في الدفاع عن مقام أهل البيت عليهم السلام وإثبات حقّهم فأنشغل بجمع المصادر، حتى أوقفته الحاجة إلى أحد الكتب المهمة فبحث عنه بحثاً كثيراً، لكن دون أن يوفق للعثور عليه، فرأى أن يذهب إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وأن يتوسل به ليهيئ له وسيلة العثور عليه وطال توسله أشهراً وهو خلال ذلك لم يكلّ عن البحث عنه في المكتبات يقول: وذات يوم كنت قرب ضريح أمير المؤمنين عليه السلام واضعاً عباءتي على رأسي- كانت هذه الهيئة منه لئلا يشغله شيء عن توجهه منشغلاً بالدعاء إلى الله تعالى والتوسل بالإمام ليرشدني إلى ضالتي، سمعت صوت رجل قروي قريب مني يكثر الإلحاح على الإمام في أن يجيبه لما يريد وقد ضمن كلامه كلمات حادة وفيها تهديده بعزمه على عدم زيارة الإمام أبداً إذا لم يجبه.

---

(١) حلية الصالحين: ص ٢٨١.

قال: فتأثرت لذلك كثيراً، وهالني هذا الأسلوب الفض في التحدث مع سيد الأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام وأردت أن أعاتب الرجل وأنّبهه عمّا بدر منه، ولكني أحجمت عن ذلك وقلت في نفسي: إنّ الإمام أعرف بلسان الرجل. قال: بعد أيام قلائل وبينما كنت عند الضريح مستمراً في توسلي بالإمام إذ سمعت الرجل نفسه وقد بدت على كلامه أمارات السرور وهو يضفي للإمام عبارات المدح والثناء بأسلوب خاص وكأن الإمام قد قضى له بإذن الله حاجته فتأثرت في نفسي من سرعة الإجابة لهذا الرجل القروي في شأن من شؤون الدنيا، بينما أتعرّض للإهمال في ما نويت فيه الدفاع عن حقّ أهل البيت عليهم السلام فقلت ذلك لأمير المؤمنين، لكن ندمت بعده، وعدت إلى البيت غارقاً في التفكير ولم اعد اشتهي تناول الطعام وقد هجرني النوم. وحين الصباح جلست على أوراقي لكي اكتب شيئاً، والضجر يملأني، جاءني ابني ليقول لي: بأن رجلاً كان جاراً لنا قديماً - حيث كنا نسكن في منطقة أخرى- يريد رؤيتي. فقلت له: بأن يسمح له بالصعود إلى غرفتي وحينما استقرَّ به المكان قال لي: إن سبب زيارتي لكم هو أننا انتقلنا من المحل الذي كنا وإياكم فيه إلى بيت آخر، وحين انشغالنا بتنظيف البيت رفعت ولدي إلى أحد الرفوف لينظفه فوجد فيه كتاباً قديماً. فنزل به وأنا لا أعرف القراءة والكتابة فرأيت أن أمره بوضعه في مسجد المنطقة ليستفيد منه الآخرون، ولكنني غيرت رأيي حينما تذكرتك وقرّرت أن آتيك به فبحثت عنك، إلى أن وجدت دارك وها هو الكتاب.

قال: فتناولت منه الكتاب فتحته فإذا نفس الكتاب الذي استغرقت في



البحث عنه أشهراً، فاسقط في يدي، وتأكدت من أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام استجاب لطلبي ولكن بعد مدة[١].

[٤٧]

القوة مع الجماعة

يقال: إن أحد الحكماء دنت منه الوفاة وكان له اثنى عشر ولداً فأمر كل واحد منهم أن يحضر معه قصبة، جاء الأولاد كلّهم ومع كل واحد منهم قصبة عود. فأمر الأب بحبل فجعل يشدّ هذه القصاب الأثنتي عشر بعضها إلى بعض، ثم ناولها (كمجموعة مشدودة) إلى أولاده وأمرهم أن يحاولوا كسرها، فما استطاع الأولاد بمجموعهم أن يكسروا (لفة القصب). ثم أخذ الأب (مجموعة القصب) ونزع الحبل عنها وفلها ودفعها وهي اثنتي عشرة عودة قصبة مفلولة إلى احد أولاده فكسرها بأجمعها بلا تعب.

ثم قال الحكيم لأولاده: أنني سأموت عنكم، وأنتم اثنى عشر أخا كهذه القصبات فإن تعاونتم وتعاضدتم وشد بعضكم بعضاً كنتم قوة كبيرة، لا يستطيع الناس بأجمعهم أن يصيبوكم بأذى.. وإن تفاككتم وتدابرتم وتباغضتم استطاع فرد واحد أن يرديكم ويحطّمكم[٢].

---

(١) حلية الصالحين: ص٣٤٠.

(٢) صلاة الجماعة ومنزلتها في الإسلام: ص٥٤.

[٤٨]

الله تعالى يثأر لخادم الإمام الحسين عليه السلام

وقد نقل لي أحد الأخوة العراقيين من الذين زارونا بعد سقوط النظام البعثي: عن النظام كان قد شدّ في السنوات الأخيرة على مواكب المشاة إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام وكانت عقوبة الزائرين تصل إلى السجن والتعذيب، وحتى الإعدام.

وفي إحدى السنوات لمحت مجموعة من شرطة أمن النظام الذين كانوا على الطرق الخارجية صبّياً «بين العاشرة والثانية عشر» فشكوا فيه أنه يعمل مخبراً للزوار أو مرشداً لهم على الطريق، وكان الأمر بالفعل كذلك فكان هذا الصبي يرشد الزوار المشاة إلى مواقع للضيافة والاستراحة عند القبائل المحيطة ثم يواصلون سيرهم مرة أخرى، فسأله أحد أولئك الشرطة: لماذا أنت هنا؟ فأجابه الصبي بجواب وما كان خائفاً مرتبكاً فزاد شكه به، فصفعه بقوةٍ على وجهه. فانتقم الله منه فوراً ولم يطل الأمر به، إذا لمّا همَّ اللعين بركوب سيارته عثر فعلق سلاحه بطرف السيارة ففرغت رصاصاته في رأسه وهلك على الفور(١).

[٤٩]

الإمام المهدي عليه السلام يشارك في عزاء طويريج

يُنقل إنّ المرحوم السيد الجليل بحر العلوم الكبير المتوفى (١٢١٢

---

(١) الإمام الحسين استثناء في عالم الوجود: ص١٨.

هـ) شارك في عزاء طويريج الجماهيري الذي ينطلق بعد صلاتي الظهرين في العاشر من محرم كل عام في كربلاء المقدسة صوب الحرم الحسيني الطاهر، ولقد توسع هذا العزاء حتى نقلوا إنه كان متواصلاً هذا العام لمدة أكثر من ساعتين ونصف ولم يقتصر على كربلاء بل خرج في العديد من مدن العالم. قالوا: رئي السيد بحر العلوم مشاركاً في هذا العزاء، يلطم على صدره و وجهه وإذا به يرمي بعمامته ويهرول مع الجموع حافياً؟ فقال له بعض ذويه بعد انتهاء العزاء: ما كان يليق بك أن تفعل ذلك وأنت مرجع؟ فقال: كيف لا أفعل وقد رأيت الإمام الحجة عليه السلام مشاركاً في هذا العزاء..؟![1].

[٥٠]

المرأة التي لعنت أعداء فاطمة

عن بشار المكاري قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام بالكوفة وقد قُدِّم له طبق رطب طبرزد وهو يأكل فقال: يا بشار ادن فكل: فقلت: هنّاك الله، وجعلني فداك، قد أخذتني الغيرة من شيء رأيته في طريقي أوجع قلبي، وبلغ مني، فقال لي: بحقي لما دنوت فأكلت ، قال: فدنوت فأكلتُ، فقال لي حديثك (وسؤال الإمام هنا هو سؤال العارف) قلت: رأيت جلوازاً يضرب رأس امرأة ويسوقها إلى الحبس وهي تنادي بأعلى صوتها:

(١) لا يوم كيوم الحسين عليه السلام: ص٣٤.



المستغاث بالله ورسوله، ولا يغيثها أحد.

قال: ولِمَ فعل بها ذلك؟ قال سمعت الناس يقولون: إنها عثرت فقالتْ: لعن الله ظالميك يا فاطمة، فارتكب منها ما ارتكب قال: فقطع الإمام الأكل ولم يزل يبكي حتى ابتلّ منديله، ولحيته، وصدره بالدموع، ثم قال: يا بشار قم بنا إلى مسجد السهلة فندعو الله عزّ وجلّ ونسأله خلاص هذه المرأة قال: و وجه بعض الشيعة إلى باب السلطان، وتقوم إليه بأن لا يبرح إلى أن يأتيه رسوله فإن حدث بالمرأة حدث صار إلينا حيث كنا قال: فصرنا إلى مسجد السهلة، وصلّى كلّ واحد منّا ركعتين، وثم رفع الصادقعليه السلام يده إلى السماء وقال: أنت الله- إلى آخر الدعاء- قال: فخرّ ساجداً لا أسمع منه إلاّ النفس، ثم رفع رأسه فقال: قم فقد أطلقت المرأة: قال: فخرجنا جميعاً، فبينما نحن في بعض الطريق إذ لحق بنا الرجل الذي وجهناه إلى باب السلطان، فقال لهعليه السلام: ما الخبر؟ قال: قد أُطلِق عنها قال: كيف كان إخراجها؟ قال: لا أدري ولكنني كنت واقفاً على باب السلطان إذ خرج حاجب فدعاها وقال لها: ما الذي تكلّمت؟ قالت: عثرت فقلت: لعن الله ظالميك يا فاطمة ففعل بي ما فعل. قال: فأخرج مئتي درهم، وقال خذي هذه واجعلي الأمير في حلٍ فأبت أن تأخذها فلما رأى ذلك منها دخل، واعلم صاحبه بذلك ثم خرج فقال: انصرفي إلى بيتك فذهبت إلى منزلها فقال أبو عبد اللهعليه السلام: أبت أن تأخذ المئتي درهم؟

قال: نعم وهي والله محتاجة إليها. قال: فأخرج من جيبه صرّة فيها

سبعة دنانير وقال: اذهب أنت بهذه إلى منزلها فأقرئها مني السلام وادفع إليها هـذه الدنانيـر. قـال: فذهبـنا جمـيعاً فأقـرأناها منه السلام؟! فقلت: بالله أقرأني جعفـر بـن محمـد الـسلام؟! فقلـت: لهـا رحمك الله والله إن جعفر بن محمد أقـراك الـسلام. فـشقت جيبها و وقعت مغشية عليها قال فصبرنا حتى أفاقت، وقالـت: أعـدها عليّ فأعدناها عليها حتى فعلت ذلك ثلاثاً ثم قلنا لها: خذي! هـذا ما أرسل به إليك وابشري بذلك، فأخذته منا، وقالت: سلوه أن يستوهب أمـته مـن الله فمـا اعـرف أحـداً توسـل بـه إلـى الله أكثـر مـنه ومـن آبائـه وأجداده عليهم السلام[1].

[٥١]

يسجل في قائمة الإمام الحسين عليه السلام

كـان لمـرجع الشيعة الكبير المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي زمـيل فـي المباحـثات العلمـية وهـو الـسيد جعفـر الشيرازي. وبعد وفاة الأخيـر نقـل المـرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي قصة عنه وهي ذات عبـرة حيث قال: ذات ليلة رأيت مولانا الإمام سيد الشهداء ومولانا قمر بنـي هاشـم عليه السلام فـي عـالم الـرؤيا في الغرفة التي كنت أتباحث فيها مع الـسيد جعفـر الـشيرازي، فقـال مـولانا الإمام الحسين لأخيه العباس عليه السلام احذف اسم القارئ الفلاني من قائمة قرّاء المجالس واكتب مكانه اسم الـسيد جعفر الشيرازي فاستيقظت متعجّباً ومندهشاً، وفي الصباح سألت

---

(١) تعظيم الشعائر الفاطمية: ص١١.

من السيد جعفر الشيرازي: هل أصبحت قارئاً في المجالس الحسينية؟ قال: لا قال: فذكرت له ما رأيت في عالم الرؤيا، فبكينا وقال السيد جعفر: ذهبت ليلة أمس وكانت ليلة الأول من محرّم إلى المرقد الطاهر لمولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأقدّم تعازي له عليه السلام وخلال رجوعي كنت أفكر في الحديث الشريف عن الأئمة الصادقين: «من بكى على الحسين أو أبكى غيره ولو واحداً ضمن له على الله الجنة، ومن لم يتأت له البكاء فتباكى فله الجنة» فقلت في نفسي: الحمد لله حيث أني بكيت كثيرا على الإمام الحسين، ولكن ومع الأسف لم أوفق لحد الآن لإبكاء أحد عليه، لأني لا أجيد قراءة التعزية في المجالس الحسينية فصمّمت على أن اقرأ مجلس العزاء لعائلتي من أحد كتب المقاتل فذهبت إلى الأصدقاء وسألتهم عن كتاب يروي قصة مقتل سيد الشهداء عليه السلام فناولني أحدهم كتاب (جلاء العيون) للعلامة المجلسي فأخذته وقرأت منه مجلس العزاء لعائلتي[1](*).

---

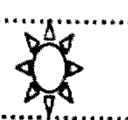
(١) قدم صدق مع الحسين: ص٢٦.

(*) وذكر السيد عبد الهادي أنّه أصر الكثير ممن كانوا حوله أن يعرفوا من هو ذلك القارئ الذي أمر الإمام الحسين عليه السلام بحذف اسمه من قائمة (قرّاء المجالس الحسينية) لكنه رحمه الله امتنع ولم يفش اسمه وكان محقّاً في ذلك. يقول والدي المرحوم الميرزا مهدي الشيرازي بأنّه قد عاشر السيد عبد الهادي الشيرازي سنين عديدة ولم يره قد عمل حتى مكروهاً واحداً.

[٥٢]

لماذا تراجع عن إمامة الجماعة؟!

يُحكى أنّ أحد العلماء الزهاد سافر إلى بلد ما، وكان معروفاً فطلب منه أهل ذلك البلد أن يؤمهم في الجماعة طيلة المدة التي يقيمها عندهم، فلبّى طلبهم وذهب ليصلّي في المكان المقرر، وكان المصلى بعيداً عن البيت فاستقلّ دابته واتجه لأداء الصلاة ولكن الدابة عثرت به وسط الطريق فسقط وشجّ رأسه، فعادوا به إلى البيت، وضمدوا جرحه، ومكث في البيت مدة لا يستطيع الخروج ليؤم المصلين، وبلغه خلال هذه المدة أنّ الحساد الذين، كانوا منزعجين ومتضايقين لموافقته أن يكون هو الإمام قد أشاعوا بين الناس أن الشيخ قد جُنّ على اثر الضربة التي أصابت رأسه عندما عثرت به الدابة! وخبر كهذا عادة ما يكون ثقيلاً على شخص كهذا؛ فبعد خمسين سنة من التعب والدراسة وعناء الاستقامة ثم يقال عنه: مجنون. كما أنّ انطلاء مثل هذه الإشاعة على كثير من الناس يكون أسرع من النار في الهشيم؛ لأنّ بعض صور الحدث كالسقوط وشبح الرأس إضافة إلى عدم حضوره للصلاة، يقوّي ميل كثير من الناس للتصديق بمثل هذه الإشاعات ولكن بعد أن تماثل الشيخ للشفاء وعاده بعض أصدقائه وعرضوا عليه أن يعود ويلبّي طلبهم في إمامة الجماعة وطمأنوه أنّ الإشاعة لم تؤثر في الناس واستجاب الشيخ لرغبتهم وركب دابته متجهاً إلى المسجد، فهاله حشود الناس مجتمعين بأعداد غفيرة على جانبي الطريق لاستقباله، فتوقف قليلاً ثم



طلب من مرافقيه أن يسمحوا له بالعودة إلى بيته لتراجعه عن عزمه في إمامة المصلين. ولم تنفع معه توسلات المتوسلين وقولهم له: إنّ الناس ينتظرونه ولا يصح منه التراجع. مكتفياً بالقول: إنّ حاله ليس على ما يرام. وأنّه لا يستطيع الاستجابة.

وبعد أن عاد إلى البيت جاءه بعض أصدقائه المقربين وسألوه عن السبب الذي دعاه للانصراف، وأصروّا عليه في ذلك؛ فقال في جوابهم: عندما خرجت من البيت متجّهاً لأداء الصلاة ورأيت الألوف من ا لناس بانتظاري قلت مع نفسي: أين أولئك الذين أشاعوا أنني صرت مجنوناً؟ فيأتوا ويروا بأمِّ أعينهم كيف أن الجماهير لم تصدّق أكاذيبهم ولم تؤثر فيهم إشاعتهم وها هي يستقبلني بألوف يقول: ثم انتبهت فجأة وخاطبت نفسي قائلاً : يا شيخ أتصلي لله أم للناس فقررت أن لا أحضر تلك[١].

[٥٣]

من مواعظ النبي عيسى عليه السلام

ذهب النبي عيسى عليه السلام إلى مكان ما وصحبه يهودي وكان مع اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف، فقال له عيسى: تشاركني؟ قال اليهودي؟ نعم، فلما رأى يأكل الرغيف. أكل لقمة، قال له عيسى ما تصنع؟ فيقول له: لا شيء فيطرحها حتى فرغ من الرغيف كلّه، فلما أصبحا قال له

---

(١) العلم النافع: ٤٥.

عيسى: هلّم طعامك، فجاء برغيف، فقال له عيسى: أين الرغيف الأخر؟ قال: ما كان معي إلاّ واحد فسكت عنه! وانطلقوا فمرّوا براعي غنم، فنادى عيسى: يا صاحب الغنم، أجزرنا شاة من غنمك قال: نعم أرسل صاحبك يأخذها، فأرسل عيسى اليهودي فجاء بالشاة فذبحوها وشووها، ثم قال لليهودي كل ولا تكسر عظماً. فأكلا فلما شبعوا قذف عيسى عليه السلام العظام في الجلد ثم ضربها بعصاه، وقال: قومي بإذن الله فقامت الشاة تثغوا فقال: يا صاحب الغنم، خذ شاتك، فقال: له الراعي: من أنت؟! قال: أنا عيسى بن مريم قال: أنت الساحر وفرّ منه قال عيسى لليهودي: بالذي أحيى هذه الشاة بعدما أكلناها، كم كان معك من رغيف؟ فحلف ما كان معه إلاّ رغيف واحد فمرّ بصاحب بقر فقال له: يا صاحب البقر، أجزرنا من بقرك هذه عجلاً فقال: ابعث صاحبك يأخذ فقال: انطلق يا يهودي فجيء به فانطلق فجاءه به فذبحوه وشوه وصاحب البقر ينظر فقال له عيسى كل ولا تكسر عظماً فلما فرغوا قذف العظام في الجلد ثم ضربه بعصاه وقال: قم بإذن الله فقام له خوار.

فقال: يا صحاب البقر، خذ عجلك قال: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى قال: أنت الساحر ثم فرّ منه قال اليهودي : يا عيسى أحيبته بعد ما أكلناه؟! قال: يا يهودي! فبالذي أحيى الشاة بعدما أكلناها والعجل بعدما أكلناه كم رغيفاً كان معك؟ فحلف بذلك ما كان معه إلاّ رغيف واحد. فانطلقا حتى نزلا قرية، فنزل اليهودي في أعلاها وعيسى في أسفلها وأخذ اليهودي عصا مثل عصا عيسى عليه السلام وقال: أنا الآن احيي الموتى.

وكان ملك تلك القرية مريضاً شديد المرض فانطلق اليهودي ينادي من يبغي طبيباً حتى أتى ملك تلك المدينة فأخبره بوجعه فقال أدخلوني عليه فأنا أبرئه، وأن رأيتموه قد مات فأنا أحييه. فقيل له: إنّ وجع الملك قد أعيى الأطباء قبلك ليس من طبيب يداويه ولا يغني دواؤه شيئاً إلاّ أُمر به فصلب فقال: أدخلوني عليه فإني سأبرئه، فأدخل عليه فأخذ برجل الملك فضربه وهو ميّت ويقول: قم بإذن الله فأخذ ليصلب فبلغ عيسى عليه السلام فأقبل إليه وقد رُفِع على الخشبة، فقال: أرأيتم أن أحييت لكم صاحبكم أتتركون لي صاحبي؟

قالوا: نعم. فأحيى عيسى عليه السلام الملك فقام وأنزل اليهودي. فقال: يا عيسى فصيرهن ذهب قال: اليهودي لبنة لي ولبنة لك، ولبنة لمن أكل الرغيف قال أنا أكلت الرغيف ...ثم إن عيسى عليه السلام تركه مع اللبنات الثلاث وانصرف فأتاه رجلان فأراد أن يأخذاه ويقتلاه قال: هو بيننا ثلاثاً فقالا له: إنا لا نستطيع هذا الذهب إلا أن نحمله على شيء فخذ من هذا الذهب فاشتر لنا به فأتى الشيطان الرجلين فقال لهما: إذا أتاكما فاقتلاه وأقسما المال نصفين.

فلما أحكم أمرهما انطلق إلى الأخر فقال: إنك لن تطيق هذين فاجعل في الطعام سمّاً فجعل في طعامهما. فلما أتاهما وثبا عليه فقتلاه ثم قربا الطعام فأكلا منه، فماتا.

فطلق عيسى عليه السلام إلى حاجته ثم رجع فإذا هو بهم قد ماتوا عند الذهب. فقال لأصحابه انظروا إلى هؤلاء ثم حدّثهم حديثهم. ثم قال: النجاء النجاء، فإنما هي النار[١].

---

(١) العلم النافع: ص١٣٥.

[٥٤]

أين الله؟!

كان أحد الكسبة القرويين في العراق قد بلغ درجة عظيمة من التقوى. ولما سئل عن سرّ بلوغه هذه الدرجة أجاب: يعود الفضل في ذلك إلى عالم في قريتنا.

يتبيّن من قصة أنه يجيد فن هداية الناس وتفصيل القصة: سأل هذا الكاسب عالم قريته سؤالاً؛ قائلاً له: أين الله؟ ولو سئل أحدنا لقال في جوابه: إنّه موجود في كلّ مكان ولا يخلو منه مكان. ولكن العالم الذي كان يعرف هداية الناس، أجابه سائلاً: ما شغلك؟ قال صفار.

ولما قال الرجل أنه صفار، قال له العالم: إذا وضعت قطعة أصغر من المطلوب لسدّ ثغر في قدر أو ما أشبه، فستبقى فتحة صغيرة، أليس كذلك؟ قال: بلى. قال: أرأيت تلك الفتحة الصغيرة في الوعاء التي قد تفكر بتلاشيها عن طريق التمدد الحاصل من الطرق المتكرر والطلاء، فهناك يوجد الله وهو يراك ويراقب عملك.

وهكذا أصبحت هذه المسألة سبباً لمحاسبة الرجل نفسه يومياً، وربما أكثر من مرة في اليوم الواحد؛ لأنّه كان يرى الله مشرفاً عليه في عمله دوماً[١].

---

(١) العلم النافع: ص ١٧٤.

[٥٥]

عدم ضبط النفس

كان أحد العلماء يذكر عن نفسه أنّه كان زميلاً لأحد المراجع المعروفين وقد قطعا معاً جميع الأشواط الدراسية والعلمية وأنه لا يقل ذكاء وعلمية عنه، ولكن عيبه الوحيد الذي حال دون بلوغه مقام زميله هو أنه كان ينطوي على طبيعة ساخرة لا يستطيع معها أن يضبط نفسه فيما إذا رأى أدنى ما يثير انتباهه، بل كان يسخر ويستهزئ بكلٍّ من يلقاه. يقول الرجل: آلمني وضعي ذات مرة فقررت مع نفسي أن أضع حدّاً لحالتي هذه التي جعلتني متأخراً فيما تقدم غيري فعزمت على ان لا أظهر استهزاء أو سخرية بعد اليوم لأحد، وبالفعل واجهتني بعد ذلك عدّة حالات، فضبطت نفسي إزاءها واستطعت بمشقة بالغة تجاوزها الواحدة تلو الأخرى، ولكني بعد فترة وجدت أنّ نفسي في ضيق شديد فقلت: لا جدوى من صلاحها بعد الآن فلأنطلق وأدعها على سجيتها تاركاً العنان لما تشتهي وفعلاً تمّ لها ما أرادت وعدت إلى شخصيتي السابقة. ها أنا اليوم لم أجد إلاّ التكسب من صلاة الاستئجار التي أقبض ثمنها من ذلك المرجع الذي كان زميلي في الدراسة[١].

[٥٦]

ومن يتقِ الله يجعل له مخرجا

روي أنّه كان رجل من العباد في بني إسرائيل يصنع السلال ويعيش

---

(١) العلم النافع: ص١٩٧.

هـو وعـياله مـن ذلـك، وذات يـوم مـرّ علـى بـاب دار أحد السلاطين، وكان الـرجل جمـيلاً فبـصرت بـه زوجة السلطان فأرسلت عليه ليقتادوه إلى داخل القـصر وحـينما جاءهـا راودتـه عـن نفـسه فاستعصم، فأبت عليه إلاّ ارتكاب الإثـم. فارتـأى لنفـسه حـيلةً يـتخلّص مـنها، فطلـب مـن زوجـة الـسلطان أن يتـنظف علـى سـطح القـصر. فأوعـزت إلـى الخدم ان يصحبوه إلى السطح، فقـال الـرجل في نفسه: لقد قضيت عمري بالعبادة ولن أفسد عبادتي الطويلة بـساعة، ثم قرر أن يلقي بنفسه من على سطح القصر- لعل الانتحار للتخلص مـن الـذنب كان جائزاً في بعض الأمم السابقة، أو كان هذا عابداً غير متفقه، أما في الإسلام فذلك ممّا لا يجوز.

فمـن أُجبـر علـى الحـرام فـي مـثل هـذه المواقـع فعليه أن يتخلص منه بـالحلال أو بحرام آخر أقلّ خطراً، لا أن يقتل نفسه، ولكن ما تدل عليه هذه القـصة تفانـي هـذا الـرجل في الخوف من مقام الرب وقدرته على مصارعة هواه.

فـصمم على إلقاء من فوق القصر ولكن الله تبارك وتعالى أمر جبرئيل بـأن يـتلقفه ويهـبط بـه إلـى الأرض، ففعـل جبرئيل ذلك ولـم يلحق به ضرر. وهـرب مـن زوجـة الـسلطان حيث كـان الـرجل قـد تـرك سـلاله فـي قصر الـسلطان فأنـه عـاد إلـى زوجـته بـلا سـلال أو ثمن مال يشتري به لعياله شيئاً يأكلـون كمـا هـي عادتـه فـسألته زوجته شيئاً يشتريه. فقال لها: بأنه لا يملك شـيئاً أبـداً، ثـم أمـرها بإشـعال التنور لئلا يتصور الجيران بأنّهم جياع فامتثلت المـرأة أمـر زوجها وصادف أن جاءت إحدى الجيران تطلب ناراً فقالوا لها:

أمامك التنور وخذي منه وحينما أخذت ناراً عادت إليهم لتقول: إن خبزكم يكاد يحترق، فلِمَ لا تخرجونه فجاءوا على التنور فرأوه[١].

[٥٧]

معاناة العلماء الأعاظم

أنقل لكم قصة سمعتها من المرحوم الحاج السيد علي شبّر نقلها لي عن صاحب الجواهر (الشيخ محمد باقر النجفي رحمه الله) عبر واسطة واحدة فقط، وكان السيد علي شبّر رحمه الله من المعمّرين، وقد التقى تلاميذ المرحوم صاحب الجواهر مراراً. فهو يروي عن أحدهم أنه قال له:

كان الشيخ صاحب الجواهر يصرّ على الطلبة بالتصريح بما يرد في أذهانهم من إشكالات في حلقة الدرس، ولهذا كانت حلقات درس المرحوم صاحب الجواهر جلسات بحث ومناقشة.

وفي إحدى الأيام أنهى الأستاذ (صاحب الجواهر) الدرس ولكن أيّاً من الطلاب لم يورد إشكالاً، فتعجّب الأستاذ وقال: هل كان حديثي وحياً منزلاً فلم يشكل عليه أحد؟

فقال الطلاب في جوابه: لقد كان البرغوث كثيراً أمس فلم نستطع المطالعة.

وكانت الحشرات وخاصة البرغوث تكثر في أيام الصيف في كربلاء وأتذكر أنها كانت تغطّي السماء في بعض الليالي وتتساقط في صفحات

(١) العلم النافع: ص٢١٩.

الكتاب بكثرة تمنع الطالب من المطالعة.

يضيف ناقل القصة، وهو أحد طلبة الشيخ صاحب الجواهر رحمه الله:

فقال الأستاذ: أجل لقد كان البرغوث كثيراً وكانت المطالعة عسيرة، ولكني كنت مجبراً على التحضير، لأن دوري لا يقتصر على الاستماع مثلكم بل عليّ أن ألقي الدرس. ففكرت ما الذي أفعل، وتذكّرت أنه توجد غرفة في السطح كنّا اتخذناها مخزناً نضع فيه الأشياء التي لا نستخدمها، ففكّرت بالذهاب لتلك الغرفة غير أنها كانت وسخة ويعلوها التراب لأنها كانت مهملة، ولذلك نزعت ملابسي واكتفيت بإزار، فحملت مصباحاً ثم دخلت المخزن وأوصدت الباب لئلا تدخله البراغيث!

ولكن المشكلة أن الغرفة لم تكن نظيفة وكان الجو حاراً وهذا يعني أنها كانت موطناً للحشرات الأخرى والصراصير التي كانت تسرح وتمرح على ظهري.

حقاً: إن ما ناله علماء التشيّع الأعاظم وما بلغوه من المنزلة كان بفضل تحمّلهم هذه الأتعاب والمشاق في سبيل طلب العلم[1].

[٥٨]

شيعي حرف جز في القرآن الكريم

كُتب في إحدى المجلات أن أحد علماء السنة اعتنق المذهب

---

(١) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٥ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٥ للهجرة - رقم٩).

الشيعي، فلما سُئل عن سبب تشيعه، قال:

لقد شيّعني حرف جر واحد في القرآن الكريم!!

فقيل له: وما هو؟

قال: أنا أقرأ القرآن كثيراً، وفي إحدى المرّات كنت أقرأ سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ حتى وصلت إلى آخر آية من السورة ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أي أصحاب النبي الأكرمﷺ، لاحظت أن الله عزّ وجلّ قد ذكر أصحاب النبيﷺ في هذه السورة ثلاث عشرة مرة بصيغة الجمع أو مع ضمائر الجمع، ولكنه سبحانه وتعالى حين يتحدث عن مسألة الدخول إلى الجنة، يذكرهم بصيغة التبعيض وليس الجمع، فيقول سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات مِنْهُم﴾؛ وكلمة (منهم) للتبعيض، فرحت أستغرق في التفكير في هذا الأمر، ولماذا لم يشملهم الخطاب جميعاً؟

وقلت مع نفسي: يجب أن أحقّق وأدقّق في ذلك، فوجدت في آخر المطاف أن صيغة التبعيض هذه تعود إلى الأصحاب أنفسهم؛ وهكذا صرت شيعياً...

إذن علينا جميعاً أن لا ندع أوقاتنا تذهب هدراً، بل علينا أن ندرس ونطالع بشكل صحيح؛ لأن أهل الباطل، في حقيقتهم، جهلاء لا علم لديهم[١].

---

(١) من كلمة لسماحته بطلاب العلوم الدينية من الهند/ صفر المظفر، ١٤٢٣ للهجرة.

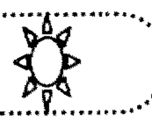
[٥٩]

الأمان في القبر ببركة أهل البيت سلام الله عليهم

حكى المرحوم الحاج السيد علي الشبّر قال: توفي في زمن السيد إسماعيل الصدر رحمه الله أحد تجار طهران، وكان قد جعل ثلاثة أوصياء لينفّذوا له ثلاث وصايا. وكانت إحدى وصاياه أن يدفن بوادي السلام في النجف الأشرف، وحيث إن الطريق بين النجف وكربلاء لم تكن آمنة، اضطروا لأن يودعوا جسده الأرض في وادي «الأيمن» بكربلاء بعنوان أمانة حتى إذا عادت الطريق آمنة نقلوه إلى النجف لدفنه. وبعد ستة أشهر من دفنه أصبحت الطريق آمنة فتقرر العمل بوصيته ونقل رفاته إلى النجف، ولكن أوصياءه الثلاث رأوه بأجمعهم في المنام - في الليلة التي تقرر أن ينقل في صباحها- وهو يقول لهم:

لقد تبدّل رأيي، فلا تنقلوني من مكاني، والسبب في قراري هذا أن مولاي أمير المؤمنين سلام الله عليه يأتي كل ليلة جمعة لزيارة ولده الإمام الحسين سلام الله عليه، وفي طريق مجيئه وعودته يقف على وادي الأيمن يقرأ سورة الفاتحة ويهدي ثوابها إلى الأموات، فكان ثواب هاتين السورتين من كل أسبوع يقسّم على الأموات هنا، وكانت حصّتي تكفيني بحيث أبقى في راحة وأمن وبركة ونعيم حتى الأسبوع التالي.

تحيّر الأوصياء الثلاثة فذهبوا إلى السيد إسماعيل الصدر ونقلوا له القصة، ففكّر قليلاً ثم قال لهم: دعوه في مكانه ولا تنقلوه.



جاء في الروايات الشريفة: «إنّه سيدفن هناك - أي بوادي السلام- رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر»[١] وهذا يعني أن الناس كانوا يدفنون في هذا الوادي منذ عصر مولانا رسول الله والإمام أمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما. حتى أن المقابر السنية فيها كثيرة أيضاً.

فسأل سماحة آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظله، أحد الحاضرين: هل الدفن في وادي السلام أولى أم الدفن في وادي الأيمن؟

فقال: إن لكل منها ميزة، فمن يدفن في وادي السلام يعفى من سؤال منكر ونكير. أما الذي يدفن في وادي الأيمن فلا يتعرّض لضغطة القبر.

وقال أحد الحاضرين أنه عندما مات أبو الملك محمد الخامس (ملك المغرب) أوصى أن يؤتى له بتراب من أرض كربلاء ليدفن فيه، فنقلوا إلى المغرب ملء سفينة من تراب كربلاء.

فقال السيد الشيرازي دام ظله: ورد في الروايات أنه يستحب أن يوضع في القبر شيء من تربة كربلاء؛ فلقد وضع مولانا الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليهما شيئاً منها في قبر شطيطة وقال: من الطين. والطين في الروايات يعني تربة الإمام الحسين سلام الله عليه[٢].

---

(١) بحار الأنوار/ ج٤٢/ ص ٣٣٣/ ح٢١.

(٢) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٥ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٥ للهجرة - رقم٨).

[٦٠]

قيمة دمعة النبي صلى الله عليه وآله عند الله تعالى[١]

عندما خرج مولانا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من مكة مهاجراً اتجه إلى الله تعالى وألقى نظرة إلى مكة ثم دمعت عيناه، كما في الرواية الشريفة التالية:

قال الإمام الحسن العسكري سلام الله عليه[٢]: قال علي بن الحسين سلام الله عليهما: لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بمكة وأظهر بها دعوته، ونشر بها كلمته، وعاب أديانهم في عبادتهم الأصنام، وأخذوه وأساءوا معاشرته، وسعوا في خراب المساجد المبنية كانت لقوم من خيار أصحاب محمد [وشيعته] وشيعة علي بن أبي طالب سلام الله عليه. كان بفناء الكعبة مساجد يحيون فيها ما أماته المبطلون، فسعى هؤلاء المشركون في خرابها، وأذى محمد صلى الله عليه وآله وسائر أصحابه، وألجئوه إلى الخروج من مكة إلى المدينة، التفت خلفه إليها فقال:

الله يعلم أني أحبّك، ولو لا أن أهلك أخرجوني عنك لما آثرت عليك بلداً، ولا ابتغيت عنك بدلاً، وإني لمغتمّ على مفارقتك. فأوحى الله تعالى إليه: يا محمد إن العليّ الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول سأردّك إلى هذا

---

(١) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٥ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٥ للهجرة - رقم٦).

(٢) تفسير الإمام العسكري سلام الله عليه / احتجاج الرسول صلى الله عليه وآله وجداله و.../ ص ٥٥٤/ ح ٣٢٩.

البلد ظافراً غانماً سالماً، قادراً، قاهراً، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ يعني إلى مكة ظافراً غانماً.

لقد كان هذا المشهد مهماً عند الله تعالى، ولذلك عوّضه سبحانه بأمرين:

الأول: بيّن الله تعالى من قوله عزّ من قائل: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» أي إنّك وإن كنت تخرج اليوم من مكة خائفاً حزيناً ولكن ربّك سيعيدك إليها يوماً ظافراً منتصراً.

الثاني: إن مكة مدينة مقدسة وهي أم القرى؛ لأن فيها بيت الله تعالى، وكما نعلم فهذه الإضافة تشريفية، ولكن الله تعالى جعل البيتوتة فيها مكروهاً بسبب تألم نبيهﷺ ليلة خرج منها. فحتى النبيﷺ نفسه ما بات فيها بعد ذلك حتى يوم دخوله إليها فاتحاً، بل كان يذهب إلى منى للبيتوتة.

وهكذا عندما كان الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه يذهب للحج كان يبيت خارج مكة.

وإذا سئل: لماذا لم ترفع الكراهة مع أن النبيﷺ دخلها منتصراً بعد ذلك؟ لقيل في الجواب: لمكان قوة تلك الكراهة وأهميتها!

[٦١]

رسول اللهﷺ القدوة في تطبيق المبدأ

لقد شنّ أهل مكّة حرباً ظالمة على رسول اللهﷺ قليلة النظير في التاريخ. فلقد عُرفﷺ بينهم بالصدق والأمانة حتى لقّبوه بالصادق الأمين،

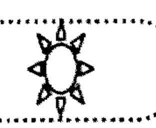
ولكنهم مع ذلك حاربوه - إلاّ قليلاً منهم- عسكرياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً، وبلغ بهم الأمر أنّهم كانوا لا يردّون تحيّته إذا حيّاهم.

فكان الشخص منهم - وهو مشرك - يخشى إذا ردّ تحيّة النبيﷺ أن يراه الرائي من المشركين فلا يتبايعون معه بعد ذلك ولا يزوّجونه ولا يتزوّجون منه.

وطردوا رسول اللهﷺ ومَن معه إلى أطراف مكّة وحاصروهم في شعب أبي طالب، فكان لا يحقّ لهم دخول مكّة، وإذا دخلها أحدهم فدمه هدر. واستمرّت الحالة هذه مدّة ثلاث سنين.

وبعدما هاجر الرسولﷺ إلى المدينة شنّ المكّيون عليه عشرات الحروب أو دفعوا الكفّار إليها. ودامت الحالة عشرين سنة يحارب أهل مكّة النبيﷺ بمختلف أساليب الحروب حتى أذن الله له بالفتح .. وجاءﷺ مكّة فاتحاً .. وأصبحت مكّة في قبضته وتحت سلطته.

ورغم كلّ ما فعله المشركون من أهل مكّة مع رسول اللهﷺ إلاّ أنّ التاريخ لم يحدّثنا أنّهﷺ أجبر حتى شخصاً واحداً على الإسلام، ولو أنّهﷺ أراد أن يجبر أهل مكّة على الإسلام لأسلموا كلّهم تحت وطأة السيف، لكنّهﷺ لم يفعل ذلك ولم يجبر أحداً على الإسلام. أمّا دعوى إسلام أبي سفيان فكان بتحريض وتخويف من العباس بن عبد المطلب (عمّ النبي) وليس من النبيﷺ نفسه، فالعباس هو الذي طلب من أبي سفيان أن يُسلم حفاظاً على دمه ولئلا يقتله النبيﷺ ، وكلام العباس ليس حجّة ولا تشريعاً، بل كان من عند نفسه. ولو أنّ أبا سفيان لم يسلم لما أجبره رسول



اللهﷺ على الإسلام. فكثيرون من أمثال أبي سفيان كانوا موجودين في مكّة ولم يقتل النبيّ أحداً منهم بسبب عدم إسلامه، ولا أجبره على الإسلام، بل تركهم على دينهم مع أنّه باطل وخرافي لكيلا يسلبهم حرية الفكر والدين.

حقاً هل رأيتم مثيلاً لسلوك نبيناﷺ في التاريخ؛ يحاربه قومه مع ما يعرفونه من صدقه وأمانته ونبله وكرم أخلاقه، بمختلف أنواع الحروب القاسية ويطردونه من موطنه ومسقط رأسه، ثم يتركهم أحراراً وما يختارون من دين وطريقة حياة!

نعم كان الرسولﷺ يهديهم وينصحهم ويوضّح لهم طريق الرشد ويميّزه عن طريق الغيّ ثم يترك الاختيار لهم ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. هذا هو أسلوب الإسلام، لا ضغط ولا إكراه فيه. وهكذا الحال في سيرة رسول اللهﷺ مع اليهود والنصارى. فلقد ردّ النبي الأكرمﷺ عشرات الحروب والاعتداءات التي شنّها أهل الكتاب دون أن يجبر أحداً منهم على الإسلام. لم يسجّل التاريخ حالة واحدة أجبر فيها رسول اللهﷺ ذمياً على اعتناق الإسلام، والتاريخ حافل بسيرة النبي المصطفىﷺ ، وسجّل وحفظ الدقائق عن حياته. فالعلاّمة المجلسي رحمه الله وحده خصّص في موسوعته (بحار الأنوار) عشرة مجلّدات ذات أربعمائة صفحة أي ما مجموعه أربعة آلاف صفحة أو أكثر كلّها عن رسول اللهﷺ وحروبه وأخلاقه، وسيرته مع المسلمين ومع المشركين وأهل الكتاب.. لا تجدون فيها موقفاً واحداً أجبر رسول اللهﷺ نصرانياً أو يهودياً

على الإسلام، بل تجدون أنّه ﷺ كان له صديق مسيحي أو جار يهودي دون أن يجبره على الإسلام مع أنّه كان الحاكم الأعلى في الجزيرة العربية وكان بيده السيف والمال والقوّة الكافية.

[٦٢]

الشاب الشيعي والأستاذ المسيحي

هذه القصّة كنت أنا شاهداً فيها؛ ناقش أحد أهل العلم، وكان شاباً في حوالي سن الحادي والعشرين، أستاذاً جامعياً مسيحياً. قال هذا الشاب العالم الشيعي لذلك الأستاذ المسيحي: أنا عالم وأنت عالم أيضاً، ونتبع دينين مختلفين، وبما أننا عالمان، فلابد أن أحدنا يدخل الجنة، والآخر يدخل جهنم، فإذا كنتَ من أهل جهنم، فأنا بصفتي محبّاً للإنسانية، ستأخذني الحسرة والحيف عليك؛ إذ ستدخل النار، أما إذا كنتُ أنا - بنظرك - من أهل جهنم، فلابد أنك ستتحسر عليّ إذ سأرد النار. فمن الجيد أن نتباحث، فإن تبيّن أن النصرانية حقّ، اتبعتها، وإذا تبيّن أن الإسلام هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، فمؤسفٌ جداً أن تصير أنت من أهل جهنم.

ثم قال له: نحن المسلمين نحترم السيد المسيح عليه السلام أكثر منكم، ودليل ذلك كتاب (شرائع الإسلام) الذي ذكر فيه: من سبّ السيد المسيح عليه السلام يُقتل، على حين ورد في كتابكم الذي تسمونه كتاباً سماوياً سبّ للسيد المسيح. فاندهش الأستاذ المسيحي، فقال له الطالب الشيعي: أنا أقرأ لك نفس عبارة الكتاب المقدس، ولكن قبل ذلك أسألك أنه إذا قال لك شخص ما أنك ملعون أفلا تعتبر قوله هذا سبّاً؟

فقال المسيحي: بلى.

فقرأ له الشاب عبارة الكتاب المقدس، فقال المسيحي معترضاً: هذا غير ممكن، فأنا منذ طفولتي قرأت الكتاب المقدس، فلم أجد هذا الشيء الذي تقول (!!) وأضاف: لعلكم أنتم المسلمون طبعتم الكتاب المقدس وأضفتم هذا الشيء من عند أنفسكم، لتحتجّوا به علينا؟!!.

فقال الطالب الشيعي: أولاً:

أنتم الذين حرفتم الكتاب المقدس، وليس نحن، ودليل ذلك أن علماء النصارى لديهم مجمّع، يجتمعون فيه كل مئة عام مرة واحدة، وينقصون من الكتاب المقدس ويضيفون إليه أشياء، بدعوى مواكبة متطلبات الزمان، غير أن المسلمين لا يتصرفون بمتون القرآن الكريم أبداً.

ثانياً: أنتم تنفون التحريف، حسناً أنا آتيك في منزلك وأريك هذا الشيء في الكتاب المقدس عندك، فإذا ثبت لك صدق مدّعاي، فماذا ستصنع؟!.

وهكذا تواعد الإثنان، إلا أنه لما حضر الموعد غاب الأستاذ المسيحي عن منزله!

[٦٣]

إني لأستحيي من الإمام الحسين سلام الله عليه

كان أحد المؤمنين في كربلاء المقدّسة إذا بلغ كلمة في زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه لا يقرأها ويقول: إني لأستحيي من الإمام الحسين سلام الله عليه أن أكذب وأنا أتكلّم معه، مع أني أعلم أني كاذب إن أنا

تلفّظتُ بها، كما أنّ الإمام سلام الله عليه عالِم بي أيضاً. وتلك الكلمة في الزيارة هي عبارة «عبدُك وابنُ عبدِك»[1] فكان هذا المؤمن يقول: لا أراني بمستوي العبودية للإمام الحسين سلام الله عليه ولذلك لا أتمكن من إنشاء هذه الكلمة إن وصلتُ إليها.

ونحن لا يهمّنا في المقام توجيه هذا العمل ولكنّ المهمّ هو انتباه الرجل إلى أنّه يكلّم الإمام ويعرف أنّ الإمام يسمع الكلام ويردّ جواب السلام، كما كان واعياً أيضاً معنى كلمة «عبدك وابن عبدك» ويعرف أنها درجة لم يبلغها بعد، ولذلك كان يقول: يصعب عليَّ إنشاء هذه الكلمة لأنّي أعرف أنّ علاقتي بالإمام الحسين سلام الله عليه لم تكن علاقة العبد بسيده وكما ينبغي وإلاّ لما خالفت أوامره، وإنّي على علم بأنّ الإمام الحسين سلام الله عليه يعرف ذلك منّي أيضاً.

وهذا هو معنى نور الله الذي جعل هذا الرجل يبصر هذه الحقائق، وإلاّ فهناك الألوف بل الملايين الذين يزورون الإمام الحسين سلام الله عليه، وكلّهم يتلفّظ هذه الكلمات مع أنّ حال كثير منهم بعيد كلّ البعد عن فحواها[2].

[٦٤]

السلام تحية الإسلام

لاشكّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن يحيّيهم بتحية الإسلام وهي «السلام

---

(١) راجع بحار الأنوار/ج٩٩/ باب٨ الزيارات الجامعة التي يزار بها كل إمام/ ص ١٤٥.

(٢) من محاضرة (العمل بالعبودية هو نور الله) ألقاها سماحته عام ١٣٩٨ للهجرة.

عليكم» بل كان يحييهم بأنواع التحية الأخرى؛ لأنّ ههنا مسألة وهي أنّه يجوز للمسلم أن يحيّي الكفّار بمختلف التحيات باستثناء «السلام عليكم» فلا يجوز له أن يقولها إلا لمسلم بل يقول له: أنعِم صباحاً أو أنعِم مساءً، أهلاً وسهلاً، تحية طيّبة، وما أشبه، أمّا كلمة «السلام عليكم» فمختصّة بالإسلام والمسلمين، ووردت فيه أحاديث عن النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم الصلاة والسلام، فلقد كان رسول الله ﷺ يحيّي المشركين بمختلف التحيات إلاّ كلمة «السلام عليكم»، فلقد وُضعت للمسلمين خاصة. فإذا حيّى مسلم مسلماً قال له: «السلام عليكم» والحديث المعروف الذي لابدّ وأنّ كثيراً منكم سمعه وهو «تحية الإسلام السلام» يعني أنّ هذه التحيّة خاصّة بالإسلام.

[٦٥]

هكذا هزمت كربلاء المقدسة الشيوعية

في عهد عبد الكريم قاسم، اجتاحت الشيوعية العراق، وغزت صحفه ومجلاته ووسائله الإعلامية من مذياع وتلفاز.. بل نفذت حتى إلى الهيئة الحاكمة آنذاك. وكان الشيوعيون يوزّعون كتباً بالملايين مجاناً، وقد وصلتني نسخة من إحدى الكتب التي كانت توزّع على الشباب مجاناً، في المدن المقدسة مثل كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، وكان يحمل عنوان (أين الله؟)، ومؤلّفه (مكسيم غوركي)، فطالعت بعض صفحاته التي تتجاوز الثلاثمائة صفحة، فوجدت فيه حشو كلام غير مناسب. فالكتاب يُفتتح بكلمة (أنا ابن الخطيئة - أي من أبوين غير شرعيين)!!، بدلاً من

الافتتاح ببسم الله، ما يعني أن المؤلف يعرّف نفسه، ويبيّن من هو؟ ومن هنا لك أن تعلم - عزيزي القارئ - ماذا يريد أن يقول مؤلّف الكتاب المذكور.

وهكذا ملئوا العراق بكتب الشيوعية، ومنها كتاب (رأس المال) لكارل ماركس، وكتب أخرى لقادة الشيوعيين، وكتب كبيرة الحجم وصغيرة، ومفصلة ومختصرة.. مما أحدث موجة جارفة، بحيث راح بعض المؤمنين يعبّر عن جزعه ويأسه من أن تقوم للدين قائمة أمام ذلك التيار العنيف.

وكان الشيوعيون آنذاك يقومون بأعمال وحشية ضد من يخالفهم، ومنها كانوا يقيّدون المخالف من أطرافه، ويرسلونه في الأزقة والأسواق - وقد كرّروا هذا العمل في أكثر مدن العراق- وكانوا ينهالون عليه بالضرب المبرّح حتى يسقط جثةً هامدةً أمام أعين الناس. وهناك قصص شبيهة كثيرة قد عاصرتها بنفسي.

بإزاء هذه المعضلة، اقترح السيد الوالدرحمه الله - وكان أخي المرجع الراحل حاضراً حينها- على أهل العلم أن يستغلّ كل واحد منهم المسجد أو الحسينية المجاورة له في محل سكناه، لإقامة حلقة درسية يبيّن خلالها للشباب أصول الدين وفروعه، ويردّ على شبهات الشيوعيين وسمومهم التي كانوا يبثّونها من خلال المذياع والتلفاز والمجلات والخطب، ويلقونها على طلاب المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وفي الجامعات والكليات..

وهكذا كان الشباب يختلفون إلى العلماء في حلقاتهم الدرسية تلك، ويطرحون أسئلتهم، ويتلقّون الجواب، فإذا عجز أحد العلماء عن الردّ

الشافي، يذهب ليسأل بدوره من هو أعلم منه، حتى إن بعض مدرسي البحث الخارج، كانوا قد شكّلوا حلقات توجيهية لتلاميذ المدارس الابتدائية. وأنا كنت يومذاك أحد طلبة المقدمات في الدراسة الحوزوية، وأقمت مجلساً عادياً في خمس مناطق من مدينة كربلاء، في الأسبوع الواحد، كما كان يصنع أخي المرجع الراحل أعلى الله درجاته، وكذلك أخي المرحوم السيد الشهيد قدس سره.

وكان المرحوم السيد الوالد، يؤكد على مواصلة بيان أصول الدين وفروعه، وجميع المسائل المتعلقة بهما، والإجابة على جميع الأسئلة التي تدور في أذهان الناس، أمام الموجة الشيوعية..

هذه الحركة الإسلامية التثقيفية، فضلاً عن المجالس والمنابر الإسلامية الأخرى، أدت إلى تجفيف جذور الشيوعية، في مدينة كربلاء المقدسة، ونأت بأهلها وشبابها من هذا الفكر الخطر، بحيث إنّ العديد من أولئك الشباب الذين كانوا يحضرون تلك المجالس والحلقات الدرسية، أصبحوا بين مدرّس البحث الخارج، ومجتهد، وإمام جماعة، وبعضهم أعرفهم شخصياً فقد كانوا يحضرون مجالسي[١].

[٦٦]

الشيخ محمد تقي الشيرازي ونكران الذات

كان المرحوم آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي رضوان

---

(١) من كلمة لسماحته ألقاها بمسؤولي المؤسسات والمراكز الثقافية العراقية في مدينة قم المقدسة في ٢٦ محرم الحرام ١٤٢٤ للهجرة.

الله تعالى عليه (مفجّر ثورة العشرين في العراق ومحرّره من الاستعمار الإنجليزي وهو في الثمانين من العمر) مرجعاً دينياً كبيراً عُرف بالورع والتقوى، حتى أنّ تلاميذه عندما كانوا يُسألون عن عدالته كانوا يجيبون:

سلوا عن عصمته وهل هو معصوم أو لا. (ولاشك أنه غير معصوم)

هذا الرجل العالِم الورع كان يفتي بأنّه لا يجوز استئجار غير العادل لقضاء ما فات الميت من صلاة وصيام وإن كان ثقة، بل يشترط فيه العدالة. ولا يخفى أنّ الفقهاء يختلفون في هذه المسألة، فبعض لا يشترط العدالة ويرى أنّ مجرّد الثقة بأنّ الشخص سيؤدّي هذه الصلوات والعبادات يكفي ولا يلزم أن يكون عادلاً، بينما يشترط آخرون - كالشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره مثلاً- العدالة في الشخص الذي يتقاضى أجوراً لقاء قضاء ما فات الميت من صلاة وصيام.

ينقل المرحوم الوالد رضوان الله تعالى عليه أنّ أحد المؤمنين جاء يوماً إلى الشيخ (الشيرازي) وشكا عنده الفقر والعسر، وطلب منه أن يحوّل إليه قضاء صلاة أو صوم عن بعض الأموات - فإنّ الورثة والأوصياء يعطونها في العادة للمرجع لكي يحوّلها إلى مَن يراه صالحاً- ولكن الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره اتفق أنه لم يكن آنذاك عنده من العبادات الاستيجارية شيء، فاعتذر وقال: لا يوجد عندي الآن.

ولما كان الرجل (السائل) قد أضرّ به الفقر وضغط عليه لم يتمالك نفسه، فأخذ يسبّ الشيخ (هذا العالِم الورع الذي كان تلامذته يرونه في التقوى تالي تلو المعصوم)!

وبعد بضعة أيام جاءوا للشيخ بصلاة وصيام قضاء عن الميت أي جاء له بعض المؤمنين وأعطاه مالاً لاستئجار مَن يصلّي عن أبيه مثلاً. وهنا بادر الشيخ محمد تقي الشيرازي ووجّه أحد أفراد حاشيته ليذهب بذلك المال إلى ذلك الرجل الذي سبّه لاستئجاره في قضاء هذه الصلوات!

وهنا تعجّب هذا الشخص الذي هو من أصحاب الشيخ وحاشيته وقال: شيخنا، ألستم تشترطون العدالة فيمَن يُستأجر للقضاء عن الميّت؟

قال: بلى، فقال: ولكن هذا الرجل على فرض أنّه كان عادلاً ولكنّه فقد العدالة عندما سبّكم، وكلنا نعلم أنّ سبّ المؤمن حرام، وارتكاب الحرام مسقط للعدالة. ولا شكّ أنّه يصدق على الشيخ أنّه مؤمن، فضلاً عن أنّه مرجع تقليد ومضرب المثل في الورع والتقوى.

فتبسّم الشيخ ثم قال: سبّ الفقراء للعلماء غير مسقط للعدالة. اذهب وأعطه المال؛ فإنّه لم يكن ملتفتاً حينما سبّ.

أجل إنّ مَن تملّكه حالة الغضب لا يشعر ما الذي يقول، وخاصة الفقير الذي لا يدري كيف يرجع بلا قوت إلى عائلته، وهو لا يتوقع الرد من العالم.

أجل، كل هذا صحيح، ولكن لو لم يكن نكران الذات عند الشيخ الشيرازي قدس سره لما قال إنّ الرجل لم يكن يشعر حين شتمني! خاصة وأنّه غير مستعدّ لتحمّل مسؤولية قضاء صلاة الأموات وصيامهم من أجل فذلكة خلقية، لكنه شخّص أنّ هذا الرجل غير فاسق، وإلاّ لما أعطاه المال لقضاء الصلوات وهو المشترط للعدالة في هذا الأمر.

[٦٧]

لا شيء أجمل من الإسلام
وهو مذهب أهل البيت سلام الله عليهم

يكفينا دليلاً على أحقيّة مذهب أهل البيت سلام الله عليهم، ما يشهد به التاريخ الإسلامي على امتداده من تحوّل الآلاف من علماء النصارى واليهود والمجوس، والعامّة إلى مذهب التشيّع الحق، في حين لم يسجل التاريخ أنّ عالماً شيعياً تخلّى عن التشيّع. فلو لم يكن لنا سوى هذا الدليل لكفى.

إن الذين تحوّلوا إلى مذهب الحق وهو مذهب أهل البيت صلوات الله عليهم أدركوا جماله، ومن شأن هذا الجمال أن يأسر القلوب ويكسب العقول.

روي أن شامياً رأى الإمام الحسن المجتبى سلام الله عليه راكباً فجعل يلعنه والإمام الحسن سلام الله عليه لا يردّ، فلما فرغ أقبل الحسن سلام الله عليه فسلّم عليه وضحك فقال:

«أيها الشيخ أظنّك غريباً ولعلّك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا احملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً».

فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحبّ خلق الله اليّ، وحوّل رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبّتهم[1].

ما الذي دعا ذلك الشامي الذي كان الإمام الحسن سلام الله عليه أبغض خلق الله عنده ليصير أحبّهم لديه؟!

اعلموا أن أغلب الشباب الفارين من الدين والمذهب هم مثل هذا الرجل، وعلينا أن نهتم بهم ونسعى لإنقاذهم فرداً فرداً، وهذا العمل يتطلب صبراً وتحملاً ولكنه خيارنا الوحيد.

فذات مرّة حيث كان الفصل صيفاً دخل عليّ في أحد الأيام شاب مع مجموعة من الشباب العرب الوافدين من الحجاز ومناطق أخرى فظننته منهم، وبعد أن سألت عن أحوالهم، توجّهت إليه قائلاً: من أيّ البلاد؟

فأجابني بالفارسية: (من طهران).

سألته: ما الذي جاء بك؟

قال: جئتك، وسكت.

سألته: من أين تعرفني؟

أجاب: رأيت منك أموراً.

أجلسته بجانبي وقلت له: تفضل.

قال: أنا أكره العلماء... أكره الدين وأكره الله!! وعندما نطق بهذه

---

(١) المناقب ٤: ١٩، في مكارم أخلاق الإمام الحسن عليه السلام.

الألفاظ اقشعرّ بدني وتألمت كثيراً.

سألته: حتى متى أنت موجود هنا؟

قال: أعود الليلة.

قلت: حان الآن وقت الصلاة، أراك بعد الصلاة في جلسة خاصة نتحدث معاً.

ولقّنت نفسي قبل لقائه أن أتعامل معه كما يتعامل الطبيب مع المريض؛ فإن الطبيب يفهم المريض، أما المريض فقد لا يعرف الطبيب، ولذلك عليه أن لا ينزعج إذا صدر منه كلام غير لائق.

جلست معه مدة (١٥-٢٠) دقيقة تأثر خلالها الشاب كثيراً وتحوّل رأساً على عقب وبلغ حداً قال فيه: أريد أن أصلّي ولكنني خجل لأنني لم أصلّ لربّي منذ مدة طويلة.

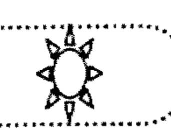
قلت له: ومن حقك أن تخجل ولكنك لا تعرف الله حقاً فإنه ربٌّ غفور رحيم.

وأردت أن أقول له: استغفرِ الله، ولكن خشيت أن لا يدرك معنى ذلك فقلت له: قبل أن تدخل الصلاة اطلب المعذرة من الله وقل له: لقد أخطأتُ يا ربّ.

وهنا لم يتمالك الشاب من حبس دموعه، فقام وقال: هل يمكنني زيارتك مجدداً؟

قلت: أنا ههنا كل يوم.

ودّعني ثم عاد في اليوم التالي، ولما دخل سلّم وقال: منذ فارقتك



أمس حتى الساعة كنت أقضي ما فاتني من صلوات!

فإذا كان الشاب الذي يقول إني أكره الدين والعلماء يتحول هكذا بمقدار ١٨٠ درجة خلال ٢٠ دقيقة فقط، فما بالك بغيره؟ ولو كنت قد نهرته وقلت إنه مرتدّ لبقي على إصراره وكرهه للدين[1]!

[٦٨]

ثمرة كبح شهوات النفس

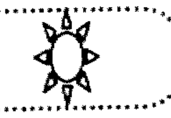
كان في كربلاء - قبل زهاء ثلاثين سنة- خطيب معروف ومشهور وهو الشيخ مهدي المازندراني صاحب المؤلفات (شجرة طوبى، معالي السبطين، والكوكب الدرّي) وقد رأيته وحضرت عدداً من مجالسه، وكان جدّه وهو أبو الحسن المازندراني صديقاً للشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره وزميلاً له في الدراسة حيث كانا يدرسان سوية في النجف الأشرف.

ذات مرة ذهبا معاً إلى مسجد الكوفة وصمّما على المبيت ليلتهما في المسجد. وعندما حان وقت العشاء قال الشيخ الأنصاري لزميله الشيخ أبي الحسن: عندي فلس واحد، وأنت كم لديك؟

قال أبو الحسن: لا يوجد معي أي شيء، فقال الشيخ الأنصاري: حسناً اذهب إلى البقال واشتر لنا قرصاً من الخبز (حيث إن قيمة الخبز في ذلك الزمان كانت فلساً واحداً) حتى نقسمه نصفين، نصف لك ونصف لي.

---

(١) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٥ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٥ للهجرة - رقم٧).



فـذهب أبو الحسن وعاد بالخبز، وعندما وضعه أمام الشيخ الأنصاري، شاهد الشيخ في وسطه مقداراً من الدّبس (عصارة التمر) فقال لأبي الحسن:

كيف اشتريت الدبس وقد قلت ليس معي أي شيء؟

فقـال أبـو الحـسن:اشـتريت الخبـز بفلـسك والدبس استقرضته بمقدار فلس من البقال.

فقال الشيخ الأنصاري: أنا وأنت غداً نريد العودة إلى النجف فمن أين تعلـم أنـنا سـنعود أحياء؟ وكـيف استقرضـت وأنـت لا تـدري هـل تستطيع إرجاعه إلى البقال أم لا؟

قال أبو الحسن: شيخنا: الله كريم.

فقـال الـشيخ الأنـصاري: نعـم الله كـريم هـذا صـحيح، والقرض أيضاً صـحيح، لكنـي لا آكـل الخبـز الملطّخ بالدبس بل أكتفي بحاشيته حيث لم تلطـخ بالدبس. وبعد أن أكلا باتا ليلتهم في المسجد وعند الصباح رجعا إلى النجف الأشرف.

وبعدها بسنوات انفصلا عن بعض وقد سكن الشيخ أبو الحسن المازندراني فـي إحدى مدن إيران الشمالية، وفي مرة قدم إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة، وعـند زيارتـه للـنجف الأشـرف شاهد أن الشيخ الأنصاري قد أصبح مرجعاً عاماً للـشيعة ويقلّـده معظـم الناس ويدرس عنده المئات. فجاءه وسلّم عليه وقال هامساً في أذنيه -حيث إن الشيخ كان وسط طلابه- ممازحاً إياه:

شـيخنا لقـد درسـنا وتـربّينا سوية عند جوار مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه، فكيف وصلت إلى هذا المقام ولم أصل أنا إليه؟

فأجابه الشيخ الأنصاري أيضاً (بمزاح يريد منه الجدّ) وهامساً في أذنيه: لأني قد غضضت النظر عن الدبس ولم آكله، أما أنت فلم تغض عن الدبس وأكلته[١]!

[٦٩]

وهل رأيتم رئيس دولة كعليّ صلوات الله عليه

كان الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه مبتلىً بأشخاص ذوي نفسيات وضيعة تردّ عليه وتقطع كلامه وتجادله بالباطل بل تتطاول عليه، وهو مع ذلك لا يأمر بسجنهم أو بقطع رؤوسهم وهو الحاكم الأعلى الذي بايعته الأمّة قاطبة، ناهيك عن كونه منصّباً من قِبل رسول الله صلى الله عليه وآله وبأمر من العليّ القدير، بل كان يجيبهم ويترك لهم حرية العقيدة ما لم يتآمروا ويلجأوا إلى استعمال القوة والسيف.

فثم شخص يُسمى ابن الكوا، ملحد زنديق، مشاغب مشعوذ، ذو مشاكل ومتاعب، كان يردّ على أمير المؤمنين سلام الله عليه ويناقشه كلّ حين، حتى والإمام على المنبر، ومع ذلك تركه الإمام وشأنه يعيش في المجتمع دون أن يفرض عليه شيئاً.

وهناك جرثومة أخرى باسم (عمرو بن حريث) من طراز معاوية وأبيه، منافق سافل، ومهما تقل فيه فقليل بحقّه، كان ممّن يحضر المسجد ويستمع إلى خُطب أمير المؤمنين سلام الله عليه ثم يقطع حديثه منتقداً. وإذا

---

(١) من كلمة لسماحته بجمع من الأخوة العراقيين/ ١٥ شعبان المعظّم ١٤٢٤ للهجرة.

أخبر أمير المؤمنين سلام الله عليه عن أمور غير ظاهرة (غيبية) ترك ابن حريث هذا أعماله وجرى خلف ما أخبر به أمير المؤمنين سلام الله عليه يزعم أنّه يريد أن يكشف للناس كذب أبي تراب!! وظلّت هذه الحسرة في نفس ابن حريث تنغّص عليه حياته حتى ذهب إلى القبر دون أن يفلح في كشف كذبة لأبي تراب؛ فليس لأبي تراب كذبة. وعاش هذا المنافق في ظلّ عليّ سلام الله عليه وبعده، والإمام علي سلام الله عليه لم يصنع معه أيّ شيء، ولم يقل له يوماً تخلّ عمّا أنت عليه وإلاّ ضربت عنقك! لأنّه إمام الإسلام؛ دين حرية الفكر والعقيدة.

أجل، إنّ من عرف الحقّ ولم يترك الباطل فإنّ مصيره يوم القيامة إلى جهنّم وبئس المصير. أمّا في الدنيا (لا إكراه في الدين) ليتمّ الامتحان ويُعرف الطالح من الصالح، والخبيث من الطيّب . فإنّ ابن حريث هذا امتدّ به العمر حتى كان من الشهود ضدّ ميثم التمّار (رضوان الله عليه) حينما أراد الطغاة الطغام من بني أمية قتله، فقال في حقّه؛ يدلي بشهادته ضد ميثم أنّه من أصحاب عليّ الحق: (هذا الكذّاب مولى الكذّاب) - يعني علي بن أبي طالب سلام الله عليه مولى الصادقين وإمام المتّقين - .

أرأيت نفسية هذا المنافق الحقيرة؟! إنّ رجلاً مثل هذا عاش مع أمير المؤمنين سلام الله عليه ثلاثين سنة وكان سلام الله عليه رئيساً وحاكماً بيده القوّة، ومع ذلك لم ينل منه! فهل رأيتم في تاريخ العالَم رئيس دولة كعليّ؟! وهل رأيتم سماحة كسماحة الإسلام؟ وهل رأيتم حرية كقوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾[١]؟!

---

(١) من محاضرة (الحرية في الإسلام) ألقاها سماحته عام ١٣٩٦ للهجرة.

[٧٠]

من بركات إيمان وإخلاص الشيخ عباس القمي قدس سره

في أحد الأيام؛ زرت المرجع الديني السيد المرعشي النجفي قدس سره، فنقل لي قصة عن الشيخ عباس القمّي رحمة الله عليه، فقال:

ذات يوم جاء الشيخ عباس القمي إلى منزلنا، وكان يوماً حارّاً، فذهبت لأحضر له كأساً من الزنجبيل، وحينما جئته به، رأيت أنني نسيت أن أضع فيه الملعقة ليخلطه قبل شربه، وحينما ذهبت مرة ثانية، تأخّرت قليلاً، إذ قمت بغسل الملعقة التي كانت متسخة ولم يكن لدينا غيرها... وحينما عدت إليه رأيته يخلط الشراب بإصبعه. فبادرني إلى القول:

لا تظنني على عجلة لشرب الكأس، ولكنني تذكّرت بأنني أكتب وأنقل روايات وأحاديث الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم، وظننت أن تكون البركة بإصبعي فيرتفع بها ما أشعر من الحمى.

وأضاف السيد المرعشي النجفي رحمه الله: وبعد هنيئة وضع الشيخ عباس القمّي يده على الأخرى وقال لي: **لقد انقطعت الحمى!**

إن الإيمان والإخلاص أمران مهمان للغاية، ولهما تأثيراتهما الكثيرة في الحياة الدنيا. فالمرحوم الشيخ عباس القمّي كانت له مؤلّفات كثيرة جداً، ولكن الأشهر من بينها كان كتابه المسمّى «مفاتيح الجنان». وقد سُئل قدس سره الشريف عن السبب وراء شهرة هذا الكتاب من بين سائر الكتب، فأجاب:

لقد صرفت لدى تأليفي هذا الكتاب أقلّ الوقت، ولكنني أهديت ثوابه مخلصاً إلى السيدة الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

كان من خصوصيات المرحوم الشيخ عباس القمّي أنه عاش طيلة عمره الشريف مجاوراً لمراقد المعصومين الأربعة عشر صلوات الله وسلامه عليهم، الأمر الذي لم يتسنّ لغيره من الصالحين(١).

[٧١]

هذا كل إرث رسول الله صلى الله عليه وآله

... عن أبان بن عثمان، عن الإمام أبي عبد الله الصادق، عن أبيه عن جدّه صلوات الله عليهم قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه، فقال للعباس:

يا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضي دَينه وتنجز عداته؟

فردّ عليه وقال: يا رسول الله أنا شيخ كبير، كثير العيال، قليل المال، مَن يطيقك وأنت تباري الريح؟

قال: فأطرق صلى الله عليه وآله هنيئة ثم قال:

يا عباس أتأخذ تراث رسول الله وتنجز عداته وتؤدّي دَينه؟

فقال: بأبي أنت وأمّي أنا شيخ كبير، كثير العيال، قليل المال، مَن يطيقك وأنت تباري الريح؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما إني سأعطيها من يأخذ بحقّها.

---

(١) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٥ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٥ للهجرة - رقم١٢).

ثم قال: يا علي، يا أخا محمد أتنجز عداة محمد وتقضي دَينه وتأخذ تراثه؟

قال عليّ سلام الله عليه: نعم بأبي أنت وأمي.

قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من إصبعه، فقال: تختّم بهذا في حياتي.

قال الراوي: فنظرت إلى الخاتم حين وضعه علي سلام الله عليه في إصبعه اليمنى فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله:

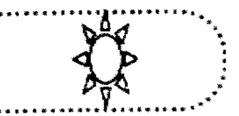
يا بلال عليَّ بالمغفر والدرع والراية وسيفي ذي الفقار وعمامتي السحاب والبرد والأبرقة والقضيب. فوالله ما رأيتها قبل ساعتي تيك - أي تلك- كادت تخطف الأبصار، فإذا هي من أبرق الجنة. (والدليل على ذلك قوله):

فقال: يا علي إن جبرئيل أتاني بها فقال: يا محمد اجعلها في حلقة الدرع واستوفر بها مكان المنطقة.

ثم دعا بزوجي نعال عربيين أحدهما مخصوفة والأخرى غير مخصوفة والقميص الذي أسري به (إلى السماء) فيه، والقميص الذي خرج فيه يوم أُحد، والقلانس الثلاث: قلنسوة السفر، وقلنسوة العيدين، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا بلال عليَّ بالبغلتين الشهباء والدلدل، والناقتين العضباء والصهباء والفرسين:

(الأول:) الجناح الذي كان يوقف بباب مسجد رسول الله لحوائج الناس يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الرجل في حاجة فيركبه.



و(الفرس الثاني:) حيزوم وهو الذي يقول أقدم حيزوم، والحمار اليعفور.

ثم قال: يا علي اقبضها في حياتي لا ينازعك فيها أحد بعدي.

هذا كلّ إرث رسول الله صلى الله عليه وآله[١]!

[٧٢]

هذا يقتل الناس

عن مولانا الإمام الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليهما أن عيسى بن مريم على نبينا وآله وعليهما الصلاة والسلام توجّه في بعض حوائجه ومعه ثلاثة نفر من أصحابه، فمرّ بلبنات ثلاث من ذهب على ظهر الطريق، فقال عيسى عليه السلام لأصحابه:

إنّ هذا - أي الذهب- يقتل الناس.

ثم مضى، فقال أحدهم: إن لي حاجة. قال: فانصرف.

ثم قال الآخر: إن لي حاجة، فانصرف.

ثم قال الآخر: لي حاجة، فانصرف. فوافوا عند الذهب ثلاثتهم فقال اثنان لواحد: اشتر لنا طعاماً. فذهب يشتري لهما طعاماً، فجعل فيه سُمّاً ليقتلهما كيلا يشاركاه في الذهب.

وقال الاثنان: إذا جاء قتلناه كي لا يشاركنا. فلما جاء قاما إليه فقتلاه،

---

(١) من محاضرة لسماحته ألقاها بجمع من المؤمنين من قم المقدسة في ٢٦/ صفر/ ١٤٢١ للهجرة.

ثم تغذّيا، فماتا، فرجع إليهم عيسى عليه السلام وهم موتى حوله، فأحياهم بإذن الله تعالى ذكره، ثم قال: ألم أقل لكم إن هذا يقتل الناس[1].

[٧٣]

الشيخ عبد الزهراء الكعبي
جسد الإخلاص في حياته

كان الخطيب الحسيني الشهير المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي رحمة الله عليه، رجلاً مخلصاً لله تعالى، لم يُر مثله خطيب لا يُبَحُّ صوته رغم خطابته المستمرة والمتعددة.

قال لي مباشرة وكنت ضمن جمعٍ من المؤمنين: قد أرتقي في كلّ يوم من أيام عاشوراء ثمانية عشر منبراً، وحينما يدعوني أشخاص آخرون للخطابة في مجلس أهل البيت عليهم الصلاة والسلام الخاصة بهم، وأعتذر لهم في البداية، **يعودون عليَّ بالإصرار والتأكيد على أن أقطع من كل مجلس أخطب فيه قليلاً من الوقت ليتوفر في النهاية وقت خاص** بمجلسهم.. فأقوم بتلبية طلبهم المبارك هذا.

وذات مرّة؛ **قصده الشيخ رديف وكان خطيباً منبرياً وسأله قائلاً: ماذا** تعمل لكي لا يُبحّ صوتك، **لاسيما** في ليلة عاشوراء حيث تكون حنجرتك في أفضل حال؟

---

(١) من كلمة لسماحته بجمع من الشباب المؤمن من قم المقدسة/ ٢٠ رجب الأصب/ ١٤٢٤ للهجرة.

فأجابه الشيخ الكعبي: إنني أذهب إلى السوق في يوم تاسوعاء لأشتري شيئاً من الخل وأشربه، ثم أقصد ضريح الإمام الحسين سلام الله عليه، وأمرّ بحنجرتي على الضريح المقدس..

فقام الشيخ رديف بما قاله الشيخ الكعبي في يوم تاسوعاء، ولكن صوته اضطرب أيما اضطراب وعجز عن القراءة والخطابة في مجالسه طيلة السنة تلك، ثم إن الشيخ عبد الزهراء الكعبي كان على درجة عالية وعجيبة من الإيمان والإخلاص اللذين كانا سبب سلامة صوته الدائمة.

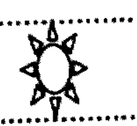
وقد كان من فضائل هذا الخطيب الحسيني أنه ولد في يوم ذكرى ولادة الصديقة الزهراء سلام الله عليها، كما رحل عن الدنيا في يوم استشهادها، وهو الأمر الذي لم أسمع به ولم أعرفه لشخص آخر.

وحينما توفي الشيخ الكعبي لم يكن يملك أكثر من بيت واحد كان مَديناً بنصف قيمته، مع ما كان يتسلم من أموال طائلة كمكافأة على خطابته، ولكنه كان ينفق جميع أمواله في سبيل الله تعالى سرّاً وعلانية.

ولعلنا سنرى المقام العظيم لخادم أهل البيت عليهم السلام الشيخ الكعبي في الجنان لما قدّمه من أعمال فذة وبنيّة مخلصة قامت على حبّ الله تعالى وحبّ أهل بيت نبيه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[1].

---

(١) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٥ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٥ للهجرة - رقم١٣).



[٧٤]

كرامة سيدتنا خديجة الكبرى عليها السلام

حكى لي بعض أهل العلم هذه القصة الطريفة، قال:

كنت أبحث عن موضوع يتعلّق بسيدتنا خديجة الكبرى عليها السلام، ولكنني لم أجده رغم أنني بحثت كثيراً، وتبيّن لي بعدئذ أنّه لا يوجد هناك كتاب مستقل باسمها عليها السلام؛ وتأثّرت كثيراً كيف أنه لم يؤلّف للآن حتى كتاب واحد عن هذه الشخصية العظيمة، مع أنني رأيت كتاباً عن فضة خادمة الزهراء سلام الله عليها.

وفي أحد الأيام التقيت صديقي الشيخ غالب السيلاوي- وهو من الفضلاء والمؤلّفين العراقيين- فشكوت له الحالة وقلت له: إن استطعت أن تعمل شيئاً في هذا المجال فستكون مأجوراً.

استجاب الشيخ السيلاوي للدعوة وبذل جهداً حتى استطاع إتمام تأليف كتاب عن السيدة خديجة في غضون ستة أشهر، وطُبع الكتاب والحمد لله.

يقول الشيخ غالب: بعد أن انتهيت من تأليف الكتاب خطرتْ في ذهني هذه الخاطرة، لقد قلت للسيدة خديجة عليها السلام: إنني أنجزت ما وسعني، فلننظر ماذا ستفعلين أنت يا سيدتي؟

يضيف الشيخ: في الليلة نفسها رنّ جرس الهاتف، وعندما رفعت السماعة كان المتحدِّث رجلاً لا أعرفه، سألني: هل أنت مؤلّف الكتاب الفلاني؟

أجبته: نعم.

قال: فلماذا كتبت اسمك على الغلاف دون ذكر كلمة (الحاج)؟

قلت: لأنني لم أذهب إلى بيت الله الحرام.

قال: ولماذا لم تذهب؟

قلت: لأنني لا أملك المال؟

قال: أرجوك تأتي غداً إلى طهران في المكان الفلاني لأعطيك المال اللازم للذهاب إلى الحجّ.

وبالفعل ذهبتُ في اليوم التالي إلى العنوان الذي ذكره لي، واستلمت منه المبلغ، ثم قيّض الله لي صديقاً قام بإنجاز الأعمال والترتيبات المطلوبة للسفر إلى مكّة المكرّمة.

وهكذا تشرّف الشيخ غالب السيلاوي في تلك السنة بالذهاب إلى الحجّ وكنت رفيقه في تلك السفرة، فقال لي الشيخ يوماً: أريد أن أذهب لزيارة قبر أبي طالب سلام الله عليه، وتواعدنا وذهبنا فرأيته يتأبّط كتاباً فسألته عنه فقال: هذا كتاب مولاتنا خديجة الكبرى عليها السلام؟

قلت: ما تصنع به؟

قال: جئت لأهديه لها عليها السلام[1].

---

(١) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٥ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٥ للهجرة - رقم٢).

[٧٥]

هكذا صار السيد أبو الحسن مرجعا كبيرا

نقل أحد مراجع الشيعة الكبار في زمانه وهو ابن عمّي وزوج عمّتي، وهو السيد عبد الهادي الشيرازي قدس سره، قصة عن المرحوم المرجع الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره وهي:

ذات مرة وبعد الانتهاء من أداء فريضتي المغرب والعشاء قدّمت لسماحة السيد أبو الحسن الأصفهاني مجموعة من الاستفتاءات. وقرّرت أن أذهب إلى بيته عند السحر لاستلم أجوبتها، وصمّمت مع نفسي وأنا في الطريق إلى بيته على أن لا أطرق الباب إلا إذا كان مصباح غرفته موقداً، فكان كذلك، فطرقت الباب وبعد الاستئذان دخلت في غرفته، فوجدته منهمكاً بالإجابة على مجموعة كبيرة من الأسئلة الشرعية وقال لي:

عندما رجعت إلى البيت ودخلت غرفتي أردت أن أتناول العشاء أولاً وأشار إلى الصحن الذي كان فيه عشاؤه والذي كان في أحد جوانب الغرفة) وبعدها أنام ثم عند الصباح أقوم بالإجابة على الأسئلة ولكن في الوقت نفسه أحسست أن قلبي يقول لي: دع العشاء والراحة والنوم وعليك بالإجابة على الأسئلة الشرعية أولاً، فهو أهمّ من العشاء والنوم... .

إن الذي جعل السيد أبو الحسن الاصفهاني قدس سره أن يكون مرجعاً كبيراً لأتباع أهل البيت صلوات الله عليهم هو ذلك الاهتمام القلبي بالاستجابة إلى العمل وفق ما يعتقده لا وفق ما يشتهيه. فكل من يهتم

بمعتقده ويفضّله على ما يشتهيه فسيكون مخلّداً وتكون كل أعماله نافعة ومفيدة[١].

[٧٦]

الفقهاء لا يفتون إلا بعد استفراغ الجهد

إنّ مَن يراجع كتب الفقه يدرك هذه الحقيقة بجلاء. فهناك على سبيل المثال أخذ وشد طويل وعريض ونقاش حاد بين فقهاء الإسلام منذ أربعة عشر قرناً وحتى اليوم حيال الإفتاء طبق روايةٍ أحد رواتها مجهول الحال. فمثلاً لو وردت رواية عن المعصوم عبر عشرة رواة كان تسعة منهم ثقات ولكن كان يقع في هذه السلسلة شخص واحد مجهول الحال أي لا نعلم هل هو ثقة أم لا؛ هنا يتوقف الفقهاء في الإفتاء طبق هذه الرواية، لأنّه لا يجوز القول إنّ حكم الله في مسألة هو كذا أو كذا دون دليل ومستند. فإذا كان الأمر كذلك فهل يحقّ بعد ذلك لمن ليس اختصاصه الفقه أن يعطي رأياً في أحكام الله فيحلل ما يشاء ويحرّم ما يشاء؟!.

لقد سمعت شخصياً من المرحوم الوالد (رضوان الله عليه) أنّه كانت هناك مسألة من مسائل الحج - لا يهمنا ذكرها الآن - وقعت مداراً للبحث بين مجموعة من المجتهدين، منهم مراجع للتقليد، وهم السيد الوالد رحمه الله نفسه، والسيد آقا حسين القمي رحمه الله، والشيخ محمد رضا الاصفهاني رحمه الله،

---

(١) من كلمة لسماحته بعوائل وشباب من مدينة أصفهان /غرّة ذو القعدة الحرام ١٤٢٤ للهجرة.

والسيد زين العابدين الكاشاني رحمه الله، واستمر البحث لمدة ثلاثة أسابيع ولم يستطيعوا نهاية المطاف أن يقطعوا فيها بالحرمة فأفتوا فيها بالاحتياط؛ مع أنّهم جمهرة من المجتهدين قضى كلّ منهم عشرات السنين من عمره حتى صار خبيراً في الفقه وصار استنباط الأحكام شغله واختصاصه، لكنهم مع ذلك توقفوا عندما أعوزهم الدليل ولم يتعجلوا في إصدار حكم، فإن الجاهل هو الذي يصدر الأحكام هكذا اعتباطاً، أما المتخصص فهو يدرك أهمية الموضوع ولا يستهين بأحكام الله ويطلقها جزافاً لأنّه يعرف عظمتها وأنه سيكون مسؤولاً أمام الله الذي تحدث عن نبيّه بتلك الشدة، فقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ الآيات، فكيف بغيره من الخلق[1]؟!

[٧٧]

حتى لا أخجل أمام الإمام الحسين وأمه الزهراء صلوات الله عليهما

أخبرنا السيد الوالد قدس سره أنّ أحد البيوت الملاصقة بالصحن الحسيني الشريف كانت تعود لأحد الكسبة في السوق، وعندما طلبت سدانة الروضة الحسينية منه أن يبيعها لهم لكي يلحقوها بالصحن، قال:

إنني مستعدّ لتقديم عينيّ للإمام الحسين سلام الله عليه فكيف بهذه الدار؟

ولم يماكسهم على السعر وقال: إنني لا أعترض على أي مبلغ

(١)من محاضرة (أحكام الله فوق كل شيء) ألقاها سماحته في شهر محرم الحرام ١٣٩٩ للهجرة.

تقترحونه ولكني أرجو منكم فقط أن تخبروني عن موعد الإخلاء قبل أسبوع أو أسبوعين لكي أنقل عائلتي إلى المكان المناسب. وعندما أُخبر بالموعد نقل عائلته فوراً ثم أتى بعمال البناء والحدادة والصباغة والكهرباء و... وشرع بتجديد بناء الدار وصبغ جدرانها وتجديد حنفيات الماء وأسلاك الكهرباء، فتعجّب المسؤولون من فعله وقالوا له:

إن هذا لا يؤثّر في زيادة السعر الذي ستتقاضاه منّا، ولكنه لم يكترث بكلامهم وواصل عمله في تعمير البيت وتجميله ثم حوّله إليهم في الموعد المقرر.

وعندما سلّموه ثمنها حسب قناعتهم، اعترض واستقلّ المبلغ. فقالوا: كنت متساهلاً معنا بادئ الأمر وقلت: لا يهمّني كم ستعطونني، ولكنك اليوم تطلب الزيادة. ولكي يحلّوا النزاع جاءوا بالمقيّم فأيّد القيمة المقرّرة ولم يزد عليها. ولكن الرجل أصرّ على الزيادة وقال:

إنني لا أبيع إلا بالسعر الذي طلبتُ.

فقالوا له: لماذا إذن لم تخبرنا بذلك أولاً؟

ولكنهم عندما لاحظوا إصراره اضطروا للإجابة ودفعوا إليه المبلغ الذي طلبه، ولكنه رفض أيضاً وقال: لكني أعرف من يشتري منّي هذه الدار بأعلى حتى من هذا السعر؟

قالوا: ومن هو؟

قال: إنه الإمام الحسين سلام الله عليه.

قالوا له: ولمن ستبيع دارك في الآخر؟ أتبيعنا أم تبيع للإمام الحسين سلام الله عليه؟

قال: إذا كان هناك مشترٍ بقيمة أعلى فلماذا أبيعه بسعر أرخص؟

قالوا: إذن توافق على تهديم دارك وإلحاقها بالصحن الشريف؟

قال: ولم لا؟

قالوا: كم نعطيك؟

قال: إن كنتم تعطوني مبلغاً كبيراً جداً فسأبيعها لكم وإلا فإنّي أبيعه للإمام الحسين سلام الله عليه.

وأخيراً لم يأخذ منهم شيئاً وهدموا الدار وألحقوها بالصحن، فسأله بعضهم: ولكن لماذا عمّرت الدار وزيّنتها مع علمك بأنها ستهدم؟

قال: لقد أردت أن أقدّم للإمام سلام الله عليه أفضل دار، حتى لا أكون خجلاً أمامه وأمام أمّه الزهراء سلام الله عليها[1].

[٧٨]

آخرته خير من آخرتنا

أحد علماء الدين ممن عملوا سنوات في التبليغ في أوروبا وأمريكا زارني بعد عودته من إحدى سفراته التبليغية، وتحدّث عن هموم التبليغ، فكان مما قاله في هذا الصدد:

لقد وفّق الله شاباً هندياً - كان يسكن في سانتياغو عاصمة تشيلي - أن هداه إلى نور الإسلام والتشيّع، ولكن هذه الهداية كلّفته كثيراً من

(١) من كلمة لسماحته بجمعٍ من طلاب ومسؤولي متوسطة «پارساي» من منطقة قُلهك في شمال العاصمة طهران/٧ذو القعدة الحرام/ ١٤٢٦ للهجرة.

الصعوبات، فقد حاربه أبواه بشدّة حتى أنه كان يقرأ القرآن في المرافق الصحية خوفاً منهما.

العجيب أن ذلك الشاب الهندي نفسه حكى أن أمّه عندما تحوّلت قبل فترة من الهندوكية إلى المسيحية لم يعترض عليها أحد، ولكن عندما تحوّل هو إلى الإسلام حاربه الجميع!!

قلت له: كان هناك نموذج لهذا الشباب في زمن مولانا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو مصعب بن عمير، الذي طرده أبواه من البيت بعد معرفتهما بإسلامه، بل جرّداه من ثيابه أيضاً، أضاف المبلّغ بعد ذلك: لقد اتصل بي ذلك الشاب بعد فترة وطلب منّي أن أدعو له لأنه يريد الزواج ولكن أحداً لا يزوّجه.

فتبسّمت وقلت له: إن آخرته خير من آخرتنا.

وقلت: حقّاً إننا نعيش اليوم فرصة ذهبية لهداية الناس إلى التشيع. فإذا بذلنا الجهد والسعي فسنصل إلى نتائج جيدة، وإننا نستطيع أن نهدي حتى أساتذة الجامعات والسياسيين والوزراء والرؤساء، إلى نور أهل البيت سلام الله عليهم، لأنهم بشر مثلنا ولهم وجدان أيضاً.

ألم يكن النجاشي زعيماً ورئيس حكومة، ومع ذلك تغيّر واهتدى؟

إن هذا الأمر موكول إلى همتنا وسعينا وجهادنا[١].

---

(١)من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٤ للهجرة.

[٧٩]

لا فتك في الإسلام

لما دخل مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة سكن في دار سالم بن المسيب، فبايعه اثنا عشر ألف رجل، فلما دخل ابن زياد انتقل من دار سالم إلى دار هانئ في جوف الليل ودخل في أمانه وكان يبايعه الناس حتى بايعه خمسة وعشرون ألف رجل، فعزم على الخروج، فقال هانئ: لا تعجل. وكان شريك بن الأعور الهمداني قد جاء من البصرة مع عبيد الله بن زياد فمرض فنزل دار هانئ أياماً، ثم قال لمسلم: إن عبيد الله يعودني وإني مطاوله الحديث فاخرج إليه بسيفك فاقتله، وعلامتك أن أقول اسقوني ماء، ونهاه هانئ عن ذلك. فلما دخل عبيد الله على شريك وسأله عن وجعه وطال سؤاله ورأى أن أحداً لا يخرج فخشي أن يفوته فأخذ يقول:

ما الانتظار بسلمى أن تحييها كأس المنية بالتعجيل اسقوها.

فتوهم ابن زياد وخرج.

فلما خرج ابن زياد دخل مسلم والسيف في كفه فقال له شريك: ما منعك من قتله؟

قال: خصلتان: أما إحداهما فكراهية هانئ أن يقتل في داره، وأما الأخرى فحديث حدثنيه الناس عن النبي صلى الله عليه وآله: «أن الإيمان قيد[1] الفتك فلا يفتك مؤمن»[2]. حقاً ما أعظم هذه الكلمات الثلاث؟!

أجل إنها ثلاث كلمات فقط، ولكن الدنيا تزول في يوم ما، وتبقى

---

(١) ويمكن أن تقرأ (قيّد) بالتشديد.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٤٤، باب٣٧.

هـذه الكلمـات خالدة. فكما أن الإنسان المقيّد بالسلسلة لا يستطيع التصرف بحـرية؛ لأن السلـسلة تقـيّده وتمـنعه مـن الحـركة فكـذلك هو الإسلام يمنع الإنـسان المـؤمن مـن الفـتك، فإذا فتك فذلك يعني أنه قد تحرّر من الإسلام ولم يعد متقيّداً به.

ولقـد اتخـذ مـسلمعليه السلام الموقـف الأمـثل المطلـوب منه، أي عمل بما تقتضيه السُّنّة منه، فكان موقفه هذا أحسن الأعمال.

يقـول العلامة المجلسيقدس سره في البحار بعد أن نقل هذه القصة: لو قتل مـسلم في تلك اللحظة ابنَ زياد لاستتب له أمر الكوفة وقوي جانب الحسين سـلام الله علـيه وربمـا آل الأمـر إلـى سـقوط يزيد وحكومة بني أمية، وهذا يعنـي تفـويت فرصـة عـسكرية من أعظم الفرص... ولكن ماذا يعمل مسلم، والإسلام قيّد الفتك؟!.

صـحيح إن مـسلماً قد فوّت أكبر فرصة سياسية وذهبية لقلب المعادلة لـصالحه وصـالح الإمـام الحـسين سـلام الله علـيهما ماديـاً، ولكـنها لـم تكن الفرصـة الذهبـية إسـلامياً، بـل كانـت بعـيدة عـن روح الإسـلام؛ فقـد نقـل مسلمعليه السلام حديثاً عن رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول فيه: إن الإسلام قيد الفتك؟!

فالغلـبة الماديـة بالفـتك لـيس فـيها بقـاء الإسـلام الـذي هـو فوق تلك الغلـبات، فمـا عملـه مـسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه كان عملاً بالسنة وهو أحسن الأعمال[1].

---

(١)مـن محاضـرة (أحسن الأعمـال_٢) مـن سلـسلة محاضـرات شـرح دعـاء مكـارم الأخلاق/ ألقاها سماحته في ٨ذي الحجة الحرام ١٤٢٠ للهجرة.

[٨٠]

يبيع الحامض بأخلاق حلوة!

نُقل أن كاسبين كانا متزوّجَين من أختين، وأحدهما كان يبيع الخل والآخر يبيع الدبس، أما الذي يبيع الدبس فكانت أموره المعاشية صعبة وكان يعاني كثيراً من المشاق، أما الذي يبيع الخل فبالعكس كان في راحة من العيش.

وفي إحدى الأيام التفتت إحدى الأختين إلى الأخرى وقالت: إن زوجك يبيع الخل وهو حامض إلا أن معيشته جيدة، وزوجي الذي يبيع الدبس وهو حلو إلا أن معيشته صعبة، فما سرّ ذلك؟

فأجابتها الأخرى التي من المحتمل أنها قد قرأت التأريخ وتعلّمت محاسنه: إن زوجك يبيع الدبس الحلو بأخلاق حامضة وزوجي يبيع الخل الحامض ولكن بأخلاق حلوة!!.

كل من يتعامل مع الناس بأخلاق حسنة سيكون موفّقاً وسعيداً في الدنيا والآخرة وإن باع للناس شيئاً حامضاً، والعكس بالعكس.

كما إن ذا الخلق الحسن علاوة على سعادته في الدنيا، سيكون سعيداً في الآخرة؛ لأن الأخلاق الحسنة تستلزم طلب الخير للآخرين وعدم التعدّي عليهم، أو التفوّه عليهم بكلمات نابية، وما شابه ذلك[١].

---

(١)من كلمة لسماحته ألقاها بجمع من طلاب الجامعة في مدينة مشهد المقدسة/ جمادى الآخرة ١٤٢٦ للهجرة.

[٨١]

كاسب بسيط يحظى برعاية الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

كان المرحوم السيّد مهدي بحر العلوم رضوان الله تعالى عليه قد حظي بشرف اللقاء مع مولانا المفدّى الإمام المهدي الموعود عجّل الله تعالى فرجه الشريف مرّات عديدة. ونقلوا عنه - عندما كان مرجعاً للتقليد - أنّه سافر ذات مرّة من مدينة النجف الأشرف إلى مدينة الحلّة. وحين وصوله للحلّة استقبله الناس وكان كلّ واحد منهم يرجو السيّد أن ينزل في بيته. إلا أنّ السيّد سألهم عن عنوان واسم أحد كسبة المدينة، لكن أكثرهم لم يعرفه. وبعد أن بحثوا عنه تبيّن أنّ الذي سأل عنه السيّد هو كاسب عادي يملك دكّاناً بسيطاً في إحدى أحياء المدينة. فأخبروه بأنّ السيّد بحر العلوم يبحث عنك. ففرح الرجل، وعندما حضر سأله السيّد: هل تسمح لي أن أنزل في بيتك؟

فأجاب الرجل: أنت تمنّ عليّ بذلك، لكنّ بيتي صغير وبسيط جداً ولا يسع لاستقبال من يريد اللقاء بك.

فقال السيّد: سأنزل وحدي في بيتك وأجعل اللقاء بالناس في مكان آخر.

أمّا الناس فاعترضوا وقالوا للسيّد: هذا المكان لا يليق بكم كونكم أحد المراجع الكبار، ومحلّ تشرف كثير من الناس.

فأجابهم السيّد: سأحضر في أيّ وقت كان وفي أيّ مكان تنتخبونه أنتم للقاء الناس. فوافق الجميع على إصراره بتعجّب!

ثم بعد فترة من الزمن سألوا السيّد بحر العلوم عن سبب إصراره للنزول في بيت ذلك الكاسب البسيط. فقال رحمه الله: لقد أمرني سيدي ومولاي الحجّة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف بذلك.

قالوا: وهل سألت المولى عن سبب ذلك؟ قال: أنا مطيع له ولا يسعني سوى تنفيذ أمره.

قالوا: إنّ أهل البيت سلام الله عليهم كلامهم كلّه حكمة، فهل تستطيع أن تبيّن لنا سبب ذلك حسب قناعتك الشخصية؟

قال السيّد: عندما كنت ضيفاً عند الرجل أحببت كثيراً أن أجد فيه ما كان سبباً في رعاية المولى صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف له فوجدت حياته بسيطة وكان متديّناً بسيطاً، لكنه كان ملتزماً بالفرائض كلّها. وعندما أخبرته أنّي أُمرت من قبل المولى عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالنزول في بيته، تعجّب وفرح وبكى!

ثم قال: إنّي كاسب بسيط وإنّ تركي العمل ليوم واحد يجعلني أبات ليله جائعاً، ولكن سعيت قدر استطاعتي أن أحافظ على ديني وألتزم بأحكامه وأخلاقه.

يقول السيّد بحر العلوم: وبعد أن ألححت عليه ذكر لي ما اعتبره سبباً لكلّ ما حظي به من الخير والبركات في حياته.

هذه القصّة لا خصوصية فيها، فكلّ إنسان – سواء كان رجلاً أو امرأة،

شـابّاً أو كهـلاً، متعلّماً أو غير متعلّم- قد أودع الله تعالى فيه قوّتين متضادتين إحـداهما العقـل والأخـرى الـرغبات، وهمـا مـن عجائب صنع الله جلّ شأنه. فكلّ واحد منّا يمكنه أن يحظى برعاية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الـشريف ويـنال القـرب مـنه بمقـدار مـا فـضّل بـه معتقداته على أهواء نفسه وشهواتها[١].

[٨٢]

الجدّ والاجتهاد لدى السيد أبو الحسن الأصفهاني

نقـل أحـدُ المؤمنين عن أحوال السيّد أبي الحسن الإصفهاني قُدِّسَ سِرُّهُ أيّام مرجعيته، قال:

كـنت قـد كـتبت استفتاءً للسيّد ولم أشأ أن أُزاحمه لأخذ الجواب في الأوقـات العاديـة حـيث يكـون مـشغولاً إمّـا بالـتدريس أو اللقـاءات العامّـة والخاصّـة فـي بيـته الذي يغصّ بالوافدين، فقرّرت أن أذهب إليه قبيل صلاة الفجـر؛ لعلمـي أنّه يكون مستيقظاً آنئذ لأنّه كان يصلّي صلاة الصبح جماعة في روضة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، فذهبت قبل أذان الفجر بزهاء ساعة إلـى بيـته فـرأيت المصباح مضاءً فطرقت الباب، وعندما خرج الخادم سـألته فـيما إذا كـان الـسيّد مـستيقظاً فأجاب بالإيجاب، فطلبت منه أن يخبر

(١)مـن كلمـة لسماحته ألقاها على جمع مـن الأخوات الناشطات في المجال الديني والثقافي من مدينة أصفهان/ ٢ ربيع الثاني ١٤٢٧ للهجرة

السيّد أنّ فلاناً وراء الباب، فمكثت هنيهة حتى عاد الخادم واصطحبني إلى داخل الدار، فرأيت السيّد والرسائل متناثرة بين يديه يجيب عليها، ففي بعضها استفتاءات، وفي بعضها الآخر حاجات يطلب أصحابها قضاءها.

فقلت للسيّد: أرسلت لكم منذ أيام رسالة أستفتيكم فيها عن مسائل.

فقلّب السيّد الرسائل حتى استخرج رسالتي ثمّ قال لي: عندما عدت إلى البيت كان بعض الأشخاص -كالعادة- ينتظرونني لقضاء بعض الحاجات أو للإجابة على أسئلتهم، وبعد أن خرجوا رأيت أن أنتهي من الإجابة على هذه الرسائل قبل تناول العشاء، فبقي الطعام على الموقد الذي تراه أمامك على نار هادئة والرسائل لم تتمّ بعد، ومنها رسالتك هذه.

ثمّ تناول رسالتي فأجاب عليها[1].

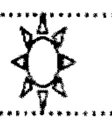
[٨٣]

القصاب والزوجة من الموازين الشرعية!!

نقل والدي سماحة السيد مهدي الشيرازي قدس سره فقال:

في إحدى السنين حيث كان الناس ينتظرون حلول شهر رمضان المبارك، أفتى قاضي العامّة في مدينة سامراء بأن يوم غد هو الأول من شهر رمضان، مع العلم أن رؤية الهلال إلى الليلة الثانية كان غير ممكناً. فذهب علماء العامّة إلى ذلك القاضي وكان على سطح بيته، فسألوه:

(١)من كلمة لسماحته بجمع من الطلبة والمبلّغين ومدرّسي الحوزة العلمية في إصفهان/ شوال المكرّم ١٤٢٥ للهجرة.



أية ليلة هذه؟

قال: الليلة الثانية.

قالوا له: هل يمكنك أن ترينا الهلال - وكانت السماء حينها صافية والأرض مرتفعة-؟

فصار ينظر إلى السماء ثم قال: لا يوجد الهلال.

فقالوا له: إذن كيف ثبت عندك بأن هذا اليوم هو الأول من شهر رمضان؟

قال: لقد عملت طبقاً للموازين الشرعية.

قالوا: وما هي؟

قال: لقد جاءني القصاب الفلاني مع زوجته أم محمد فشهدا عندي أنهما قد رأيا الهلال، فثبت ذلك عندي[1]!!!

[٨٦]

من ثمرات طيب المخالقة

لقد رأيت شخصين لكلّ منهما قصّة، إذ ابتلي كلّ منهما بمشكلة مالية، فكان الأول مختلفاً مع شخص على نسبة حصّته من أرض يتنازعان فيها، فكان يدّعي أن نسبته ٨٠٪ في حين كان لا يقرّ له خصمه بأكثر من ٤٠٪، وكان لكلّ منهما أدلّته وشواهده، فكان الأول يتظاهر بحسن

(١) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٨ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٨ للهجرة - الليلة الأولى).

المخالقة ويقول: رغم ثقتي بكسبي للدعوى - فيما لو ترافعنا للمحكمة- إلا أني لا أقوم بذلك لأن الترافع ليس من شأني، كما أني لا أريد تعريض غريمي للهزيمة القضائية. ولكن هذا الشخص نفسه أصيب على أثر هذا الخلاف بانهيار أعصابه وهو ما أدّى إلى إصابته بالسكتة القلبية ومات على أثرها، وما ذلك إلاّ لأنه كان يتصنّع ويتظاهر بحسن السلوك وعدم الاكتراث، ولم تكن مخالقته نابعة من الداخل حتى أجهد نفسه وأتلف أعصابه.

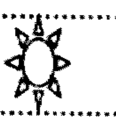
أما الشخص الثاني الذي له قصّة مشابهة، فكان مثالاً حقيقياً لمن لا يكترث بالنواحي المادية، وكان طيّب المخالقة مع الناس، وذلك لأنه عندما أُخبر بأن بيته قد صودر، لم يكترث؛ وقال: إن الأمر ليس من شأنه أن يقلقني بالمستوى الذي يمكن أن يسوء فيه خلقي مع الناس، بل لا يمكنه أن يؤخّرني حتى عن موعد نومي الليلة.

لعلّ من عمدة الأسباب في تفاوت سلوك الشخصين المذكورين، هو أن أحدهما لم يكلّف نفسه عناء ترويض ذاته وتأديبها وتعويدها على الصلاح الحقيقي، بينما الثاني - كما بدا من سلوكه- كان أكبر همّه صقل شخصيته من خلال تهذيب نفسه بالقدر الذي يجعلها طيّعة لأمر بارئها سبحانه وتعالى.

إذن يتبيّن من ذلك أنّ طيب المخالقة ينتفع بها صاحبها قبل أيّ شخص آخر، سواء على صعيد الدنيا أو الآخرة[1].

---

(١) من محاضرة (طيب المخالقة والسبق إلى الفضيلة) من سلسلة محاضرات شرح دعاء مكارم الأخلاق/ ألقاها سماحته في ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٢ للهجرة.



[٨٥]

الإمام الحسين يخرج زائره من النار

رغم أن الإمام الحسين سلام الله عليه ليس محتاجاً لنا ولزيارتنا، وأن الآلاف من الملائكة مقيمون على مرقده الطاهر، ولكنه سلام الله عليه يحثّنا أيضاً على زيارته ولا يتوقّع من محبّيه أن يجفوه مهما كانت الظروف والأحوال.

فقد روى كثير من العلماء في كتبهم عن محمد بن داود بن عُقبة أنه قال: «كان لي جار يُعرف بعليّ بن محمد قال: كنت أزور الحسين سلام الله عليه في كل شهر ثم علت سني وضعف جسمي، فانقطعت عن الحسين سلام الله عليه مدة.

ثم إني خرجت في زيارتي إيّاه ماشياً فوصلت في أيام فسلّمت وصلّيت ركعتي الزيارة ونمت، فرأيت الحسين سلام الله عليه قد خرج من القبر وقال لي: يا عليّ، جفوتني وكنت لي برّاً؟!

فقلت: يا سيدي ضعف جسمي وقصرت خطاي ووقع لي أنها آخر سنّي فأتيتك في أيّام، وقد روي عنك شيء أحبّ أن أسمعه منك.

فقال سلام الله عليه: قل.

فقلت: روي عنك (من زارني في حياتي زرته بعد وفاته)(١).

قال سلام الله عليه: نعم قلت ذلك، وإن وجدته في النار أخرجته»(٢).

---

(١) من كلمة لسماحته بجمع من المشاة إلى كربلاء المقدسة/ صفر المظفّر ١٤٢٦ للهجرة.

(٢) مستدرك الوسائل/ ج١٠/ باب ٨٦ نوادر ما يتعلق بأبواب المزار/ ص٤٠٣/ ح٤.

[٨٦]

إحاطة صاحب العروة بالعلوم

من الأمور المهمة جداً لطالب العلوم الدينية أن تكون له إحاطة بالعلوم التي يدرسها. وكنموذج على ذلك أذكر لكم القصة التالية:

بعد وفاة الآخوند الخراساني رحمه الله شرع آغا ضياء بإلقاء دروس في بحث الخارج، وذات يوم ذهب إلى السيد اليزدي (صاحب العروة) وطلب منه حاجة فسأله اليزدي: بما مشغول الآن؟

قال: في التدريس.

قال السيد: ماذا تدرّس؟

قال: في بحث الخارج. فقال له السيد: اذكر لي مسائل ليس لها مدرك إلاّ الإجماع.

فبدأ آغا ضياء يذكر له المسائل حتى ذكر خمساً. فقال له السيد: اذكر لي واحدة أخرى. فلم يستطع آغا ضياء أن يأتيه بأخرى. فقال السيد: هل معك مسبحة؟

قال: نعم.

قال السيد: امسكها بيدك وأعدّ ما سأذكره لك من المسائل التي مدركها الإجماع. فعدّ له أربعين مسألة.

ثم توجّه السيد اليزدي إلى آغا ضياء وقال له: حاجتك سأقضيها لك ولكن اعلم أنه ينبغي للطالب أن يكون متمكناً في دراسته وتدريسه.

لقد ذكروا أن السيد اليزدي رحمه الله قد قرأ كتاب الجواهر وباحثه في حياته ست مرّات[1].

---

(١) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٦ للهجرة/ الليلة السادسة عشرة.

[٨٧]

لنكون كالأئمة صلحاء ومصلحين

كلكم سمعتم بقصة خالد بن الوليد وما فعله مع بعض القبائل المسلمة، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله لم يكتف بالبراءة من صنع خالد، وإنما أرسل الإمام علياً سلام الله عليه ليديهم:

«عن فضالة عن أبان، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر سلام الله عليه قال:

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى حي يقال لهم بنو المصطلق من بني جذيمة وكان بينهم وبينه وبين بني مخزوم إحنة في الجاهلية، فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذوا منه كتاباً فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادى بالصلاة فصلّى وصلّوا. فلما كان صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلّى وصلّوا، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة فقتل وأصاب. فطلبوا كتابهم فوجدوه فأتوا به النبي صلى الله عليه وآله وحدثوه بما صنع خالد ابن الوليد. فاستقبل صلى الله عليه وآله القبلة ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد».

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله تبر ومتاع، فقال لعليّ عليه السلام: يا علي ائت بني جذيمة من بني المصطلق فأرضهم مما صنع خالد.

ثم رفع صلى الله عليه وآله قدميه فقال: يا عليّ اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك.

فأتاهم علي عليه السلام، فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله، فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله ، قال: يا علي أخبرني بما صنعت؟

فقال: يا رسول الله عمدت فأعطيت لكل دم دية ولكل جنين غرة ولكل مال مالاً، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: يا علي أعطيتهم ليرضوا عني؟ رضي الله عنك يا علي! إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي(١).

هذا هو الإسلام. فلنسع لأن نصلح ما خرّب غيرنا. ونقول للناس: إن النبي والأئمة سلام الله عليهم لم يكونوا هكذا بل كانوا صلحاء ومصلحين، فلا تتأثروا بما يصدر عن غيرهم(٢).

[٨٨]

لقمة بلقمة

عن أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه: قال ظهر في بني إسرائيل قحط شديد سنين متواترة وكان عند امرأة لقمة من خبز، فوضعتها في فيها لتأكل، فنادى السائل: يا أمة الله الجوع.

فقالت المرأة: أتصدّق في مثل هذا الزمان. فأخرجتها من فيها فدفعتها إلى السائل، وكان لها ولد صغير يحطب في الصحراء فجاء الذئب فاحتمله فوقعت الصيحة، فعدت الأم في أثر الذئب، فبعث الله إليه تبارك وتعالى جبرئيل عليه السلام فأخرج الغلام من فم الذئب فدفعه إلى أمّه فقال لها

---

(١) أمالي الصدوق/ المجلس ٣٢/ ص ١٧٣/ ح٧.

(٢) من محاضرة (نحو بناء النفس والمجتمع).



جبرئيل عليه السلام: يا أمة الله أرضيت؟ لقمة بلقمة[١].

فكلما نتعامل مع الخلق بشكل جيد، عاملنا الله تعالى بهذه الطريقة، وفي بعض الأحيان يكون العوض قريب الحصول جداً[٢].

[٨٩]

تنزه المقدس الأردبيلي عن حب الظهور

لقد نقلوا أن الشيخ البهائي رضوان الله تعالى عليه في زمن مرجعيته وزعامته للشيعة ذهب ذات مرة إلى زيارة العتبات المقدسة في العراق، والتقى بالمقدّس الأردبيلي رضوان الله تعالى عليه - وكان حينها من أكبر الشخصيات العلمية- في مدينة النجف الأشرف. فتباحثا حول مسألة ما في مجلس كان غاصّاً بالعلماء والشخصيات الدينية. وبعد مناقشات كثيرة وردّ وإثبات استطاع الشيخ البهائي أن يثبت رأيه ويكسب النقاش.

ثم بعد عدة أيام ذهب هذان العالمان الجليلان إلى مقبرة وادي السلام. وبعد أن قرأ الفاتحة جلسا في جانب ما وطرح المقدس الأردبيلي المسألة نفسها وناقشها مع الشيخ البهائي واستطاع أن يقنع الأخير برأيه بأدلّة محكمة وقويّة. فقال الشيخ البهائي: هل كنت تعلم بهذه الأدلة في بحثنا ذلك اليوم أم علمت بها بعد ذلك؟ قال الأردبيلي: نعم كنت عالماً بها ذلك اليوم، لكنني لم أطرحها خشية أن يقلل من شأنكم العلمي وتصغر

---

(١) ثواب الأعمال/ للصدوق/ ص ١٤٠.

(٢) من كلمة لسماحته بجمع من الشباب المؤمن/ ٢٠ رجب الأصبّ ١٤٢٤ للهجرة.

شخصيتكم في عيون الحاضرين وأنتم في مقام الزعامة المطلقة للمذهب.

لقد مرّ على عصر الأردبيلي زهاء أربعمائة سنة وتخرّج الآلاف من الطلاب من حوزة النجف الأشرف ولكن الكثير منهم لم يبق منه حتى الاسم. وسبب ذلك هو أن ما كان لله تعالى ينمو وما كان لغيره فهو فانٍ وزائل. أما المقدس الأردبيلي فقد بقي ذكره وسيبقى اسمه مخلّداً لأنه كان يعمل لله تعالى فقط. ومن ذلك هو ما ذكرته لكم أعلاه[١].

[٩٠]

لنقل (لا حول ولا قوة إلا بالله) بدل الآه

من القصص التي تنقل عن الشيخ علي القمّي رحمه الله أنّه أُصيب في أخريات عمره بمرض حصر البول، وهو مرض مؤلم جدّاً وقد لازمه هذا المرض - كما ذكر لي بعض أبنائه- زهاء عشر سنوات حتى توفّي رحمه الله.

يقول ولده: طيلة المدّة التي كنت معه لم أسمع منه كلمة آه أبداً، وكان إذا اشتدّ به الألم قال: لا «حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم»، أي أنّه كان ينفّس عن نفسه بذكر الله، وكان يأسى أن يصرف هذه الثواني من عمره في قول كلمة تنمّ عن ضجر أو جزع ولا يستثمرها في ذكر الله عزّ وجلّ، بل كان بدلاً من ذلك يُعقّب تألّمه بالذكر.

---

(١) من كلمة لسماحته ألقاها بجمع من أئمة الجمعة والجماعة من مدينة النجف الأشرف في ٢٤ ربيع الثاني ١٤٢٧ للهجرة.

إنّ الإنسان إذا تألّم لا يمكنه إلاّ أن يقول عبائر تكشف عن مدى تألّمه، ولكن إذا ربّى نفسه تمكّن أن لا يقولها بل يقول بدلاً منها: لا حول ولا قوة إلاّ بالله.

لا شكّ أنّ التأوّه بنفسه ليس مذموماً بل ورد في الأحاديث أنّ المريض إذا تأوّه كتب له فيه ثواب، ولكن لا شكّ أيضاً أنّ قول: «لا إله إلاّ الله» أكثر ثواباً، إذاً لا ينبغي أن ننهى مريضاً من التأوّه، ولكن حبّذا أن يربّي نفسه بحيث يُهلّل الله، ويَحمده، ويُسبّحه ويُكبّره إذا نزل به مرض أو بلاء[1].

[٩٢]

هذه أخلاق مراجعنا الأعلام

هذه قصة تعكس أخلاق علماء الدين وحلمهم: روي عن أحد تلامذة الآخوند الخراساني قدس سره أنه قال: كنا نحضر درس الشيخ الآخوند وكان يحضر درسه أكثر من ألف شخص، ولم يكن من دأب الآخوند أن يجيب على إشكالات الطلبة خلال الدرس؛ لأنه كان يعتقد بأنه ربما لا يستفيد سائر الطلبة من هذا الإشكال وجوابه، فكان لا يجيب إلاّ بعد الدرس.

وكان يحضر درس الشيخ طالب شاب يمارس مهنة أخرى غير طلب العلم إذ كان يبيع السبح والخواتم بعد الدرس، وفي إحدى الجلسات

(١) من محاضرة (تذليل الصّعاب في طلب العلم).

أشكل هذا الطالب إشكالاً على الشيخ ولكن الأخير لم يجب عليه - على عادته- فتألمّ الطالب ورفع صوته قائلاً: ألم تسمع إشكالي فلماذا لم تجب عليه؟ فاعتذر له الشيخ بمَثل فحواه أنه (لا يمكن مسك بطيختين بيد واحدة). فرفع الطالب صوته وقال للشيخ: لقد أصبحت شيخاً ولكنك لم تصبح آدمياً. فأطرق الشيخ برأسه ولم يقل شيئاً. وسكت الطلاب أيضاً وبهتوا وكأنّ على رؤوسهم الطير. وبعد لحظات رفع الشيخ رأسه وأخذ بلحيته وقال: أجل لقد أصبحت شيخاً.

إن هذا الأسلوب من التعامل يحتاج إلى أرضيّة يبني الإنسان نفسه فيها منذ شبابه حتى يصل إلى هذا المستوى من الأخلاق الرفيعة ويكون مصداقاً لما في الحديث الشريف عن مولانا الإمام الصادق صلوات الله عليه: «إن قال لك قائل إن قلت واحدة سمعتَ عشراً، فقل له: إن قلت عشراً لم تسمع واحدة»[(١)(٢)].

[٩٢]

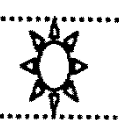
ما أكثر الوصف وأقلّ الفعل!

«عن أبي جعفر سلام الله عليه قال: قال أبي يوماً وعنده أصحابه: مَن منكم تطيب نفسه أن يأخُذ جمرةً في كفّه فيُمسكها حتى تطفأ؟ قال:

---

(١) مستدرك الوسائل/ ج١١/ باب ٢٦استحباب الحلم/ ص ٢٩٠/ح ١٤.

(٢) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٦ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٦ للهجرة - ليلة ١١).



فكاع الناس كُلّهم ونكلوا. فقمت وقلت: يا أبةِ أتأمُر أن أفعل؟ فقال: ليس إيّاك عنيت إنّما أنت منّي وأنا منك بل إيّاهم أردت. قال: وكرّرها ثلاثاً ثم قال: ما أكثر الوصف وأقلّ الفعل! إنّ أهل الفعل قليل، إنّ أهل الفعل قليل، ألا وإنّا لنعرف أهل الفعل والوصف معاً، وما كان هذا منّا تعامياً عليكم بل لنبلُوَ أخباركم ونكتب آثاركم. فقال: والله لكأنّما مادت بهم الأرض حياءً ممّا قال حتّى إنّي لأنظر إلى الرجل منهم يَرْفَضُّ عرقاً ما يرفع عينيه من الأرض. فلمّا رأى ذلك منهم قال: رحمكم الله فما أردت إلا خيراً. إنّ الجنة درجات فدرجة أهل الفعل لا يُدركها أحد من أهل القول ودرجة أهل القول لا يدركها غيرهم. قال: فو الله لكأنّما نُشطوا من عقال»(١).

يقول سماحته: عندما أُطالع حديثاً أو رواية أضع نفسي موضع أولئك الذين عناهم الحديث وأسأل نفسي: ماذا كنت سأفعل لو كنت مكان أصحاب الإمام سلام الله عليه؟(٢).

[٩٣]

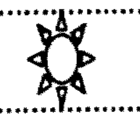
صلاة الصبح ثلاث ركعات!

شخص يسمى بشيخ سعيد البدري كان في سامراء - على مشرّفيها

---

(١) الكافي: ج٨/ص٢٨٨.

(٢) من كلمة لسماحته بعدد من أساتذة الحوزة العلمية والفضلاء وجمع من المؤمنين/ ١٤٢٦ للهجرة.



صلوات الله وسلامه- وكان شيخ عشيرة والظاهر أنه كان من العامّة، لكن كان يميل إلى أفكار أتباع أهل البيت سلام الله عليهم، قال لي: بأنه في زمان كان كاتباً عند قاضي من قضاة العامّة في مدينة سامراء، وفي إحدى السنوات صار خلاف في مسألة رؤية الهلال (هلال شهر رمضان المبارك)، فكان عند الشيعة الليلة التاسعة والعشرون وعند العامّة الليلة الثلاثون.

يقول: إن القاضي قال للشيعة والعامّة بأن يذهبوا للاستهلال وإذا رأوا الهلال يأتون ويشهدون عنده. فذهب الشيعة والعامّة، والكاتب والقاضي جالسان إلى بعد صلاة العشاء ولم يأت أحد، فقال الكاتب: فلنذهب، لكن القاضي قال: نبقى قليلاً لعله يجيء أحد ويشهد.

يقول: وفي الأثناء جاء شخص ودخل على القاضي، فرأيته وكأنه غير ملتزم وليس أهلاً للصلاة، فجاء وشهد. فقلت للقاضي: تسمح لي بأن أسأله سؤالاً؟

قال: اسأل.

قلت له: صلاة الصبح كم ركعة؟ فأجاب: ثلاث.

وبعد قليل جاء شخص آخر ودخل وكأنه ضعيف النظر وادّعى بأنه رأى الهلال، فقلت للقاضي: تسمح لي بأن أسأله سؤالاً؟

قال: اسأل.

قلت له: كم هذا؟ ورفعت أصابعي الثلاثة، فأجاب: أربعة، لكن القاضي أخذ برؤيتهم. فقلت للقاضي: كيف ثبتت شهادتهما عندك مع أن

الأول غير ملتزم ولا يصلّي، والثاني ضعيف النظر؟

قال لي القاضي: لا بأس، المهم إنهم مسلمون ولا يجب السؤال منهم!!

كان هذا الكاتب يقول لي بأن الحقّ مع الشيعة[١].

[٩٤]

ليرة واحدة تكفيني

حول أهمية الالتزام بالتقوى وما لها من آثار إيجابية أذكر لكم القصّة التالية من تاريخ الحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف عن أحد العلماء الماضين الذي كان بدوره في يوم من الأيام شاباً متعلّماً ثم أصبح أستاذاً ثم عالماً ومرجعاً للتقليد، وهو المرحوم الشيخ محسن خنفر قدس سره.

مرض الشيخ محسن خنفر في أخريات حياته مرضاً أجلسه في البيت وألزمه الفراش، بحيث لم يستطع مزاولة شؤون المرجعية من التدريس، وتحقيق المسائل، والإجابة على الأسئلة الشرعية و...، وطال به المرض إلى أن توفي رضوان الله تعالى عليه عام ١٢٧٠ للهجرة، وتوفي الشيخ صاحب الجواهر قبله بأربع سنوات أي عام ١٢٦٦ للهجرة، وفي الفترة ما بين وفاة صاحب الجواهر إلى وفاة الشيخ خنفر صارت المرجعية للمرحوم الشيخ مرتضى الأنصاري رضوان الله تعالى عليه.

ونقلوا أنه جيء للشيخ الأنصاري رضوان الله تعالى عليه بكيس كبير

---

(١) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٧ للهجرة - الليلة الثانية.

مملوءاً بالليرات الذهبية وكان الكيس يسع لمئة كغم، وبدون أن يفتحه الشيخ الأنصاري قال: احملوه إلى الشيخ محسن خنفر. فأتوا به إلى الشيخ خنفر فقال: ما هذا؟ قالوا: الشيخ الأنصاري يبلّغكم السلام ويقول هذا لك. فسأل عما فيه؟ قالوا: ليرات ذهبية. فجلس الشيخ خنفر وفتح الكيس وأخذ ليرة واحدة وكسر منها كسرة وأخذها وأرجع المتبقي منها في الكيس وقال: ارجعوا به إلى الشيخ الأنصاري، فهذا المقدار الذي أخذته يكفيني حالياً.

وعندما أرجعوا الكيس إلى الشيخ الأنصاري قام بتوزيع ما فيه على الفقراء والأيتام وعلى المساجد والحسينيات وعلى مجالس أهل البيت سلام الله عليهم وعلى المشاريع الخيرية الأخرى.

وبعد أيام توفي الشيخ خنفر وتبيّن أنّ المقدار الذي أخذه من الليرة كانت حاجته وحاجة عائلته للأيام المتبقية من حياته.

في الحقيقة إن هذه القصة كانت امتحاناً كبيراً للشيخ محسن خنفر، حيث استطاع بتحمّله للمرض والفقر والألم وعدم اغتراره بمال الدنيا أن يخرج منه مرفوع الرأس. فلو أن شخصاً آخر كان بمكان الشيخ خنفر فلربما قال: قد أبقى مريضاً وفقيراً فلأغتنم هذه الفرصة وآخذ ليرات أكثر وادّخرها لليوم (الأسود) كما يعبّرون. ونحن أهل العلم نواجه ظروفاً صعبة وفي أكثر الأحيان تواجهنا ابتلاءات كثيرة فيجب أن نقي أنفسنا من الانجرار وراء شهوات النفس ورغباتها[1].

---

(١) من كلمة لسماحته ألقاها بجمع من طلاب العلوم الدينية من السعودية في ٢١/ ذو القعدة الحرام/١٤٢٧ للهجرة.

[٩٥]

سمو النفس عند العلماء الأعلام

حكي أنّه كان للشيخ الأنصاري زميل في الدراسة اسمه سعيد العلماء، وكانا يحضران معاً عند الأستاذ «شريف العلماء» رحمهم الله جميعاً، وكان الشيخ الأنصاري ينحدر من مدينة شوشتر الإيرانية، فيما كان زميله سعيد العلماء من أهالي مدينة مازندران - الإيرانية أيضاً -. وبعد مرور عشر سنوات على الدراسة معاً استدعى المازندرانيون سعيد العلماء لكي يقيم لهم صلاة الجماعة ويفتيهم في المسائل الشرعية ويقضي بينهم ويقضي حوائجهم، فلبّى دعوتهم، فانتقل إلى مازندران وأسّس هناك حوزة وظل فيها، فيما بقي الشيخ الأنصاري في مدينة كربلاء المقدسة ثم انتقل بعد وفاة شريف العلماء إلى النجف الأشرف وظلّ يواصل الدرس والتدريس والبحث والتحقيق طيلة مرجعية صاحب الجواهر رضوان الله عليه. ولما توفّي صاحب الجواهر كانت الأصابع تشير إلى الشيخ الأنصاري وتطالبه بالتصدّي للمرجعية والإفتاء وإصدار رسالة عملية لكي يقلّده الناس. ولكن الشيخ الأنصاري أجاب مناشديه بالتصدّي للمرجعية أنّه يشترط الأعلمية في مرجع التقليد وأنّه يذكر أنّ زميله سعيد العلماء كان أذكى منه أيام دراستهما في كربلاء لدى شريف العلماء. ووجّه الأمّة لتقليده. وذهب وفد من العراق إلى مدينة مازندران في إيران وعرضوا الأمر على سعيد العلماء وطلبوا منه أن يصدر رسالة عملية ليتسنّى لهم تقليده، ولكنه امتنع معلّلاً بالقول:

إنني انقطعت عن البحث والتحقيق منذ مغادرتي كربلاء لأتفرّغ

لإمامة الجماعة وهدايتها في مازندران فيما واصل الشيخ الأنصاري الدرس لدى شريف العلماء ومن بعده صاحب الجواهر وكان متفرّغاً للبحث والتحقيق فصار أعلم منّي وإن كنت سابقاً أعلم منه.

ولما عاد القوم إلى الشيخ الأنصاري ونقلوا له مقالة سعيد العلماء أجابهم إلى طلبهم وكتب حاشيته على كتاب «نجاة العباد» الرسالة العملية لصاحب الجواهر.

إنّ هذه القصّة هي إحدى القصص الكثيرة التي تنقل عن الشيخ الأنصاري وتحكي سموّ روحه وتهذيب نفسه. وجدير بتلك القصص أن تكون مربّية للأجيال، ولذلك تراها تلتقط وتُدوّن وتتناقل وتذكر ويُتّعظ بها حتى مع تكرر سماعها، لأنّها نادرة وغير يسيرة التحقق عند كلّ أحد. فربّما احتاج المرء إلى خمسين سنة من التربية لتصل نفسه إلى هذه المرحلة بحيث يعرض عليه مثل هذا العرض ويتورّع مع ذلك وينجح في التنازل عنه، في حين أن بعض الناس إذا واجه فقيراً يحتاج إلى مساعدة، ربّما يتردّد في المبلغ الذي ينوي إعطاءه، أيعطيه ديناراً - مثلاً - أم نصف دينار أم ربع دينار؟ وربّما لا يعطيه في الآخِر ولا يتنازل حتى عن درهم من ماله[1].

[٩٦]

مظاهرات بلا شروط وبلا قيود

هل تجدون اليوم عند الحكومات التي تدّعي بوجود الحرّية في

---

(١) من محاضرة (الإنفاق وتربية النفس) من سلسلة محاضرات سماحته للطلاب.

البلدان التي تحكمها أنّها تسمح لشعوبها بالمظاهرات بدون شروط وحدود.

أمّا الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه وقبل ١٤٠٠ سنة قد سمح بالتظاهر ضدّه بدون أيّة قيود أو شروط، ومنها ما في القصّة المعروفة التالية:

قال الإمام الصادق سلام الله عليه: «لمّا قدم أمير المؤمنين سلام الله عليه الكوفة أمر الحسن بن علي سلام الله عليهما أن ينادي في الناس لا صلاة (صلاة النافلة) في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى في الناس الحسن بن علي سلام الله عليهما بما أمره به أمير المؤمنين سلام الله عليه فلمّا سمع الناس مقالة الحسن بن علي صاحوا: واعمراه واعمراه، فلمّا رجع الحسن إلى أمير المؤمنين سلام الله عليه قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون: واعمراه واعمراه، فقال أمير المؤمنين: قل لهم صلّوا».

إنّ الذين اعترضوا على أمير المؤمنين سلام الله عليه لم يكونوا يمثّلون نسبة واحد بالألف من مجتمع الكوفة ولكن على رغم ذلك سمح لهم الإمام بالتظاهر والاعتراض وأمر بتركهم على ما يريدون. فهل تجدون نظير هذا في الدول المتحضّرة والتي تدّعي بالحرّية؟

[٩٧]

رحمة الإمام بمجرمي حرب الجمل

لم يبادر الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه بأية حرب ابتداء، فكُلّ حروبه فُرضت عليه، وأوّلها حرب الجمل، والتي ما إن وضعت أوزارها

وهُزم جندها حتى هرب الذين أشعلوا فتيلها واختبأوا في حجرات إحدى الدور في موضع من البصرة، فتوجّه أمير المؤمنين سلام الله عليه في كوكبة من جنوده إلى ذلك المحلّ حتى انتهى إلى الحجرة التي كانت فيها عائشة فعاتبها أولاً قائلاً لها: أبهذا أمرك الله أو عهد به إليك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ ثم أمرها بالتهيّؤ لإرجاعها إلى المدينة المنورة[١].

يروى أنه عليه السلام قبل أن ينتهي إلى الحجرة التي كانت فيها عائشة تظاهرت نسوة المحاربين الذين خسروا المعركة وهتفن بشعارات في وجه الإمام من قبيل: «هذا قاتل الأحبّة» . ولكن الإمام لم يبالِ بهنَ ولم يُظهر أيّ رد فعل إزاءهن! فعدن إلى التظاهر والهتاف ضد الإمام سلام الله عليه بالشعار نفسه، وكان الإمام يهمّ بمغادرة المكان ولكنه توقف هنيئة ثم عاد وقال جملة واحدة فقط سكتن كلّهن على أثرها.. لقد قال لهن: لو قتلت الأحبّة لقتلت من في تلك الدار - وأومأ بيده إلى ثلاث حجر في الدار[٢]!

فبالرغم من أن عائشة قد ألّبت على الإمام حتى فرضت عليه الحرب وبالرغم من أنها ومن خرج معها خسروا الحرب وانهزموا وتلبدوا، إلا أن الإمام اكتفى بعتابها ثم أمر بعد ذلك بإرجاعها مجلّلة إلى المدينة وأمر أن لا يتعقَّب قادة الجيش المعادي ولا يلقى القبض عليهم ليعدمهم أو يسجنهم أو

---

(١) أمالي المفيد/ المجلس الثالث/ ص٢٤/ح٨

(٢)في واحدة من تلك الحجر الثلاث كان مروان بن الحكم جريحاً و معه شباب قريش جرحى، وأما الثانية فكان فيها عبد الله بن الزبير و معه آل الزبير جرحى، وأما الثالثة فكان فيها رئيس أهل البصرة يدور مع عائشة أين ما دارت.

ينفيهم أو يحاكمهم!

إننا لم نعهد تعاملاً من هذا القبيل في تاريخ البشر، بل لم نعهده حتى في هذا اليوم وفي الدول التي ترفع شعارات الحرية وحقوق الإنسان، فإنهم ما إن ينتصروا في معاركهم الباطلة ويقبضوا على رؤوس الجهة المعادية حتى يسجنوهم أو يحيلوهم إلى محاكم خاصّة بصفتهم مجرمي حرب أو خونة ومتآمرين وقد يعدمونهم.

نعم، هذه هي الحرية التي نقول عنها لو أن الغدير قد حكم الأمّة طيلة الثلاثين سنة من عمر الإمام عليّ بعد الرسولﷺ ، لنعمنا بظلّها إلى الآن، ولما شهدنا كلّ هذه الويلات والمحن منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا وإلى أن يظهر منقذ البشرية الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف[١].

[٩٨]

خدمت زوار الحسين فصار قبرها حديقة

كان رجل في كربلاء اسمه عبد الرضا وكان يعمل حفّاراً للقبور في الروضة الحسينية المطهرة وكان رجلاً متديناً وملتزماً.

جاءوا إليه ذات يوم بامرأة من إحدى القرى في أطراف كربلاء وطلبوا منه أن يدفنها. وكان من المعمول عند دفن المرأة أن يقوم أحد من محارمها بإنزالها في القبر ولكن هذه المرأة لم يكن لديها من المحارم سوى ولد صغير وكان لا يستطيع فعل ذلك، فطلبوا من عبد الرضا أن يفعل ذلك.

---

(١) من محاضرة لسماحته بعنوان (ماذا خسر العالم بإقصاء الغدير؟).

في ذلك الزمان كان السرداب تحت الروضة الحسينية المطهرة خالياً ومهيّاً لدفن الأموات، فلم تكن عملية دفن الميت في هذا المكان تستغرق أكثر من عشر دقائق. فدخل عبد الرضا إلى السرداب ليدفن المرأة والناس ينتظرون فلم يخرج، فانتظروه لفترة أخرى فلم يخرج أيضاً، فنادوه ولكنهم لم يسمعوا جواباً. فدخلوا السرداب فوجدوا عبد الرضا ملقى على الأرض وهو مغمى عليه. فأخرجوه وبعد أن سكبوا الماء على وجهه أفاق وسأل عن ابن المرأة المتوفاة. وعندما جاء الولد سأله عبد الرضا: هل كان لأمّك ارتباط خاص بمولانا سيد الشهداء سلام الله عليه؟

قال الولد: لا أظن، ولكن أمّي كانت ملتزمة بالواجبات وكانت تزور الإمام الحسين سلام الله عليه أسبوعياً وكان تواظب أيضاً على باقي الزيارات الخاصة بالإمام سلام الله عليه في المناسبات. ولدينا بستان صغير ورؤوس من الغنم وكانت أمّي تبيع محصول هذا البستان والحليب واللبن لنرتزق بها، ولكنها في ليالي الجمع كانت تقوم بتوزيع محصول البستان والحليب واللبن مجاناً على زوّار مولانا سيد الشهداء سلام الله عليه.

قال عبد الرضا: عندما دخلت القبر لأنزل المرأة فيه جهدت كثيراً في أن لا تلامس يدي جسد المرأة وأقوم بإنزالها من خلال مسك أطراف الكفن وفي هذه الأثناء وجدت نفسي في حديقة كبيرة جداً ومليئة بالخضار وبالفاكهة وبطيور جميلة ورأيت فيها شخصاً أظن أنه مولانا الإمام الحسين سلام الله عليه. فمن دهشتي أغمي عليّ وسقطت على الأرض[١].

---

(١) من كلمة لسماحته ألقاها في جمع من أعضاء (فضائية سلام الفارسية) يوم الاثنين الموافق للأول من شهر ذي القعدة الحرام ١٤٢٨ للهجرة.

[١٠٠]

يسقي عدوه وقاتليه!

لقد ضرب الإمام الحسين سلام الله عليه أروع الأمثلة في سيرته وتعامله مع أعدائه وقاتليه، ومنها: عندما كان سلام الله عليه في طريقه إلى كربلاء، اعترضته عصابة من ألف فارس، مدججين كلّهم بالسلاح، وعلى رأسهم الحر بن يزيد الرياحي، وكانت مهمتهم القبض على الإمام سلام الله عليه وتسليمه إلى ابن زياد لعنة الله عليه، وأعلنوا مهمتهم هذه للإمام. وكان الإمام سلام الله عليه يعلم علم اليقين أن هذه العصابة - عدا الحُر - سيشتركون في إراقة دمه الطاهر وقتله في يوم عاشوراء وقتل أهل بيته وأصحابه سلام الله عليهم أجمعين، وكان يعلم أن هؤلاء من أبغض الخلق إلى الله تعالى، لكنه سلام الله عليه رآهم عطاشا فسقاهم الماء، ولم يمنعه من ذلك كونهم أعداء له وسيشتركون في جريمة قتله.

تقول الروايات: فقال الحسين سلام الله عليه لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا وأقبلوا يملئون القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عب فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقى آخر حتى سقوها عن آخرها. فقال علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحر يومئذ فجئت في آخر من جاء من أصحابه فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية - والراوية عندي السقاء -، ثم قال: يا ابن الأخ أنخ الجمل، فأنخته، فقال: اشرب، فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين: اخنث السقاء - أي اعطفه -،



فلم أدر كيف أفعل، فقام فخنثه فشربت وسقيت فرسي[1].

ففي جبهة أي حرب تجدون تعاملاً كهذا؟!

هكذا كان الإمام الحسين سلام الله عليه وهكذا يجب علينا أن نكون ونتعلّم منه سلام الله عليه[2].

[١٠٠]

يروي عن الله بلا واسطة

بعد استشهاد مولانا الإمام الباقر صلوات الله عليه قال سالم بن أبي حفصة لأصحابه: انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد سلام الله عليهما فأُعزّيه، فدخلت عليه فعزّيته، ثم قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ذهب والله مَن كان يقول (قال رسول الله صلّى الله عليه وآله) فلا يسأل عمّن بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله، لا والله لا يُرى مثله أبداً.

قال: فسكت أبو عبد الله سلام الله عليه ساعة، ثم قال: قال الله عزّ وجلّ إنّ من عبادي مَن يتصدّق بشق تمرة فأُربّيها له فيها كما يربّي أحدكم فَلُوّه حتى أجعلها له مثل أُحد.

فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما رأيت أعجب من هذا، كنّا نستعظم

---

(١) الإرشاد/ للشيخ المفيد قدّس سرّه/ الجزء ٢/ ص٧٨.

(٢) من كلمة لسماحته ألقاها بعدد من العاملين في إذاعة وتلفزيون كربلاء المقدسة في الخامس من شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ للهجرة.

قول أبي جعفر سلام الله عليه (قال رسول الله صلى الله عليه وآله) بلا واسطة فقال لي أبو عبد الله سلام الله عليه: قال الله عزّ وجلّ بلا واسطة»[١][٢].

[١٠١]

يغسل ملابس الزوار وهو مرجع زمانه

نقل عن حسن سريرة المقدس الأردبيلي مرجع الشيعة في زمانه وسيرته ما يقف له الإنسان حائراً متعجباً؛ إذ قيل: إنه كان ذات يوم يمشي في صحن مرقد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، فسأله أحد الزائرين – دون علمه بمن يكون – عما إذا كان يعرف محلاً خاصاً بغسل الملابس، فقال له المقدس الأردبيلي:

أنا أغسلها لك بنفسي! ضارباً بذلك كل ما يمكن أن يكون عذراً قد يحول ما بين الإنسان وبين أداء الخدمة للمؤمنين والزائرين، الأمر الذي يكشف عن حقيقة السريرة الطاهرة لهذا الرجل النادر المثال، فقام بغسل ملابس الرجل الزائر، وعاد إليه بها في الوقت المحدّد لتسليمها، فشاهده بعض من يعرفه، فقال للزائر:

هل تعرف من غسل ملابسك؟ إنه المرجع الأعلى!

---

(١) الأمالي للشيخ المفيد/ المجلس الثاني والأربعون يوم السبت ٢٧ رمضان سنة ٤١١ للهجرة/ ص٣٥٤/ ح٧.

(٢) من حديث لسماحته بالعلماء والفضلاء في ليالي شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٧ للهجرة (بين يدي المرجع لسنة ١٤٢٧ للهجرة – الليلة الثامنة عشرة).

فأخذ الرجل يبدي كل الاعتذار، فردّه المقدس الأردبيلي قائلاً: إنما أنت صاحب الفضل عليّ، لأنك من زوّار أمير المؤمنين سلام الله عليه..

يُنقل أنّ الإمام سلام الله عليه، كان قد كافأه بأن كان يرحّب به في أيّ وقت أراد الزيارة حيث كانت الأبواب تفتح له دون مفتاح. وما أعظم ذلك من قدسية وفضل!

[١٠٢]

حسرة من لم يزر الحسين

عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله (الصادق) سلام الله عليه قال: قال لي: «يا معاوية! لا تدع زيارة قبر الحسين سلام الله عليه فإنّ من تركه رأى من الحسرة ما يتمنّى أنّ قبره كان عنده، أما تُحبّ أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ، وفاطمة، والأئمة سلام الله عليهم، أما تُحبّ أن تكون ممن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويُغفر له ذنوب سبعين سنة، أما تُحبّ أن تكون غداً ممن يخرج وليس عليه ذنب يُتبع به، أما تُحبّ أن تكون غداً ممّن يصافحه رسول الله صلى الله عليه وآله».

يرى العلماء، ومنهم شيخ الطائفة الطوسي -رضوان الله عليه- وكذلك المرجع الراحل السيد الشيرازي قدس سره في معنى هذا الحديث أن الأشخاص الذين لم يزوروا الإمام الحسين سلام الله عليه سيتمنّون في يوم القيامة لو أنهم ذهبوا إلى زيارته واستشهدوا في ذلك السبيل ودفنوا عنده.

إن هذا الحديث يبيّن عظمة وأهمية زيارة الإمام الحسين سلام الله

عليه وأجرها العظيم من الله تعالى، لأن معنى الحديث أن الذين لم يزوروا الإمام سلام الله عليه في الحياة الدنيا سيعرفون عظمة الأجر الذي فاتهم فيندمون ويتحسّرون ويتمنّون لو أنهم كانوا قد ذهبوا للزيارة وإن استشهدوا في سبيلها.

إن زيارة مولانا سيد الشهداء سلام الله عليه خصوصاً في الليالي والأيام والمناسبات الخاصة مهمة جداً وذات قدر عظيم، ولها آداب خاصّة ينبغي للزائر مراعاتها كما في الرواية التالية:

«عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله سلام الله عليه قال: قلت له: إذا خرجنا إلى أبيك أَفَكُنا [أفلسنا] في حجّ؟

قال: بلى.

قلت: فيلزمنا ما يلزم الحاجّ؟

قال:من ماذا؟

قلت: من الأشياء التي يلزم الحاجّ.

قال: يلزمك حسن الصحابة لمن يصحبك، ويلزمك قلّة الكلام إلاّ بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله، ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحائر، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة والصلاة على محمد وآل محمد، ويلزمك التوقير لأخذ ما ليس لك، ويلزمك أن تغضّ بصرك، ويلزمك أن تعود إلى أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً والمواساة، ويلزمك التقية التي قوام دينك بها والورع عمّا نهيت عنه والخصومة وكثرة الإيمان والجدال الذي فيه الإيمان. فإذا فعلت ذلك تم حجّك وعمرتك

واستوجبت من الذي طلبت ما عنده بنفقتك واغترابك عن أهلك ورغبتك فيما رغبت أن تنصرف بالمغفرة والرحمة والرضوان».

[١٠٣]

علم الإمام بما يقدّمه محبوه من خدمة

اعلموا أن كل ما تقومون به من خدمة في سبيل الإمام الحسين سلام الله عليه فهو يعلمه ويثبّته لكم ليجزيكم الله تعالى به. فقد نقلوا:

أن شخصاً كان يطعم المشاركين في مجالس عزاء الإمام أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه في العشرة الأولى من محرّم كل عام. وفي إحدى السنوات وبعد أن قام بمهمته حتى الليلة التاسعة أوْكَلَ إطعام اليوم العاشر لأبنائه؛ لأنه كان عازماً على السفر للزيارة في اليوم العاشر.

وعندما حلّت ليلة الحادي عشر من المحرّم رأى في منامه الإمام الحسين سلام الله عليه جالساً على المنبر وإلى جانبه أخوه أبو الفضل العباس سلام الله عليه أو ابنه عليّ الأكبر وهو يجرد ما قدّمه محبّوه ويسجّله في كتاب.

وعندما وصل الدور إلى إنجازات هذا الشخص عدّ الإمام كلّ ما قدّمه الرجل منذ اليوم الأول حتى العاشر من المحرّم، حتى إذا وصل إلى طعام اليوم العاشر ذكر أنه قدّم كذا من التمر وكذا من التمن وكذا من السمن وكذا من الحبوب وذكر أن اللحم كان لحم بعير. فتعجّب الشخص، وعندما عاد إلى وُلده سألهم عن اللحم الذي طبخوه في اليوم العاشر فقالوا

لحم خروف. ولما أنكر عليهم ذلك اعترفوا وقالوا: أنهم رأوه أرخص ولا يعلم به أحد فاستسهلوا الأمر، ولكنهم سألوه مستغربين: من أين عرفت ذلك؟ فقصّ لهم رؤياه.

[١٠٤]

من شروط رضا الإمام عنا

كان الشيخ محمد طه نجف، أحد كبار فقهاء الشيعة ومراجع التقليد في أوائل القرن السابق (الرابع عشر الهجري)، وقد تلمّذ على الشيخ الأنصاري ومن بعده تلمّذ هو ومجموعة زملاء له - منهم الآخوند الخراساني- على المجدّد الشيرازي، وصاروا كلهم مراجع، وبقي الشيخ محمد طه نجف مرجعاً للتقليد حتى وفاته حيث انتقلت المرجعية بعد ذلك إلى الآخوند الخراساني.

فَقَد الشيخ نجف بصره أواخر عمره، وله قصّة أذكرها باختصار؛ لأن على طالب العلم الديني - بل الإنسان المؤمن عموماً - أن يستلهم الدروس من قصص هؤلاء الأعاظم، وينظر هل سيتخذ الموقف المشابه لمواقفهم إن عرضت له حالة مماثلة أم لا.

يقول الشيخ: بدر في ذهني يوماً تساؤل مفاده: كيف أضمن أن يكون كلّ ما أقوم به من أعمال مطابقاً للموازين الشرعية الواقعية؟ وكان الشيخ حينذاك مرجعاً للتقليد والفتوى، والحلّ والفصل وقبض الأموال ودفعها ونصب المتولّين في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

ولاشكّ أن الشيخ كان يراعي في تلك الأعمال الموازين الشرعية وكان محتاطاً فيها، وكانت صحيحة حسب ما تقوده الأدلّة، ولكنه كان يخشى أن تنكشف له بعد الموت أنّ بعضها كان باطلاً بسبب قصوره، وإن كان معذوراً؛ لأنه لم يكن مقصّراً في استفراغ الجهد للوصول إلى وظيفته الشرعية وتكليفه.

يقول الشيخ: كنت أخشى مثلاً أني أعطيت ما لزيد لعمرو، أو حكمت بوقفية ملك وحرمت أصحابها منه - ولم يكن كذلك مثلاً - أو العكس، فستطول حسرتي، فماذا ينبغي لي أن أعمل لكي أتخلّص من هذه المشكلة؟ وفكّرت مع من أطرح هذه القضية؟ هل أطرحها على بعض العلماء الأتقياء الزهّاد الموجودين في النجف الأشرف؟ ولكني أجبت نفسي بالقول إن أيّاً منهم لا يشفي غليلي؛ لأنه مثلي يعرف نفس الأدلّة المتداولة التي أعرفها وهي الكتاب والسنّة والعقل والإجماع، ولو طرحت إشكالي على أيّ منهم لأجابني بالجواب الذي أعرفه أيضاً: وهو أن الواجب استفراغ الجهد وأن أحكامنا ظنّية و... .

فقرّرت التوسّل بالإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، ومرّت مدة طويلة لم تنقطع توسّلاتي بالإمام سلام الله عليه ولكني لم أحصل على نتيجة وجواب، حتى بصورة غير مباشرة كأن يحصل في داخلي نور أو التفت إلى شيء، أو أحدٍ فأفهم أن أعمالي صحيحة فأطمئنّ، أم ليست بصحيحة فأتوقّف. ولكني لم أقطع الأمل من الإمام فتوسّلت للمرة الثانية والثالثة والعاشرة والعشرين والخمسين والمئة... ولا نتيجة؟

وقلت مع نفسي: لعلّ هناك مصلحة في التأخير فلا ينبغي أن أيأس بل اللازم أن أواصل الدعاء والإلحاح في الطلب، وبقيت على ذلك زماناً حتى أصبت بلوعة في أحد الأيام وكنت في روضة الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه عند ضريحه المقدّس، فخاطبته عاتباً: سيدي لقد طال توسّلي بكم ولم تجيبوني، وأنا لم أطلب منكم المال؛ لأني تعلّمت من رواياتكم أن من يريد شيئاً فعليه أن يطلبه من مظانّه وعلى طالب المال أن يتاجر ويكتسب.

ولم أطلب العلم الظاهري فإني أعرف أن جوابكم لمسألتي حسب العلم الظاهري هو أن عليك أن تذهب وتتعلّم حتى تزداد علماً. ولم أطلب منكم شفاء مرض في بدني لترشدوني إلى طبيب يعالجني أو تمنّوا عليّ بالشفاء، إن لي حاجة لا يستطيع قضاءها إلاّ أنتم أهل البيت، فلقد أفنيت عمري على أعتابكم، أدرس أحاديثكم، واليوم تمرّ عليّ ثلاث سنوات أطلب منكم جواباً لسؤالي وأريد أن أعرف أنّي مرضيٌّ عندكم أم لا، فلماذا لا أحصل على جواب منكم.

يقول الشيخ: وانفعلت كثيراً حتى لقد أصابتني حمى شديدة وعدت إلى البيت ولم أستطع تناول العشاء، وكنت ما زلت - رغم إحساسي بالمرض والإعياء - أعيش حالة التضرع والتوسل إلى الله تعالى وكان دعائي يخرج من القلب وليس من اللسان، حتى غلبني النوم، فرأيت في عالم الرؤيا الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه وقال لي: أطلب حاجتك من ابني المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

يقول الشيخ: فاستيقظت وتذكّرت أنه كان ينبغي لي من البداية أن

أتوجّه بحاجتي إلى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف لأنه إمام عصرنا، فتوجّهت إليه بالزيارة والدعاء، ولم تمرّ عليّ ثلاثة أيام حتى حضر عندي شخص أدركت بعد ذهابه أنه إمامي الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، سألني أسئلة فأجبته عليها، ثم التفت إليّ وقال: أنت «مرضيّ عندنا».

صحيح إن الشيخ كان معذوراً؛ لأنه لم يكن مقصّراً، ولكن هل يُعطى المعذور ما يُعطى البصير العارف المطيع الممتثل من الدرجات؟!

فإذا كان الشيخ محمد طه نجف قد بلغ درجة بحيث تشرّف بلقاء الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف وسمع منه هذا الكلام، فعلينا أن نراجع أنفسنا لئلا نكون مبتلين بخصال نعاب عليها فتحول بيننا وبين درجة القرب من الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

فربّ خصال معيبة فينا ولا نعلم بها أو نعلم بوجودها ولكن لا نعلم أنها معيبة، نسأل الله تعالى أن يخلّصنا منها، وأن نكون - قبل ذلك - أهلاً لإجابة الدعاء؛ لأن هناك شروطاً كثيرة لابدّ أن تتوفّر في الداعي حتى يكون أهلاً لأن تستجاب دعوته، وقد عدّ السيد ابن طاووس ستة عشر شرطاً لاستجابة الدعاء؛ فربّ شخص لا توجد مصلحة في إجابة دعوته.

[١٠٥]

تأليف وتبليغ وشهادة فهداية!

كُتب في حاشية كتاب (وسائل الشيعة) للحرّ العاملي رضوان الله تعالى عليه:

ألّف أحد الشباب كتاباً عن أمير المؤمنين سلام الله عليه... وحيث

كان من أهل الكوفة ذات الطابع الشيعي المطلق، فقد التقى عدداً من شخصيات المدينة، وعرض عليهم كتابه، فوقع منهم جميعاً موقع القبول، ثم كشف لهم عن نيّته في نشر هذا الكتاب ... ولم تكن في ذلك الزمان مطابع كما هي الآن لتكون عملية النشر عملية يسيرة، وإنما كان الاستنساخ باليد أو القراءة على أسماع الناس هو الطريقة لنشر الكتب.

فاقترح عدد من الشخصيات على المؤلّف الشاب أن لا يخرج به من العراق، وأن يكتفي بنشره في مدنه، نظراً لوجود النواصب وأعداء الشيعة خارج العراق.

ولكنه سألهم عن شرّ الأماكن وأخطرها عداءً للشيعة، فقيل له بأن أسوأ المناطق مدينة أصفهان المعروفة آنذاك بعدائها الكبير لمذهب أهل البيت صلوات الله عليهم.

...فحزم هذا الشاب عدّة سفره واتّجه إلى مدينة أصفهان، وحينما دخلها ذهب إلى أحد مساجدها وأقام فيه مدّة، وبدأ منذ يومه الأول بدعوته الناس إلى أهل البيت سلام الله عليهم ... إذ كان يتحيّن الفرصة بعد انتهاء الصلاة في المسجد ليتوجّه إلى القلّة القليلة الباقية في المسجد، فيبدأ حديثه معهم، واستمر في هذه المهمة أياماً وأياماً حتى أقنع مجموعة من المصلّين باعتناق مذهب التشيّع، ولكن خبره أُبلغ إلى حاكم المدينة، الذي اعتقله وقتله... ومنذ ذاك الحين انتشر التشيّع في أصفهان وتحوّلت هذه المدينة إلى مركز مهم لأتباع آل النبي صلوات الله عليهم أجمعين.

نعم؛ لقد كانت همّة هذا الشاب المؤمن المجاهد سبباً مباشراً في

هداية أفواج من الناس، ورغم أن أمره انتهى إلى الشهادة، ولكن إنجازه ذاك كان إنجازاً مهمّاً جدّاً في تاريخ التشيّع...

[١٠٦]

فقير وغني يتنافسان على خدمة الإمام

قال مولانا الإمام محمد الجواد صلوات الله عليه: إن أبا عبد الله [الصادق] سلام الله عليه كان عنده غلام يمسك بغلته إذا هو دخل المسجد [النبوي الشريف]، فبينما هو جالس ومعه بغلة إذ أقبلت رفقة من خراسان، فقال له رجل من الرفقة:

هل لك يا غلام أن تسأله أن يجعلني مكانك وأكون له مملوكاً وأجعل لك مالي كله؟ فإني كثير المال من جميع الصنوف، اذهب فاقبضه وأنا أقيم معه مكانك.

فقال: أسأله ذلك، فدخل على أبي عبد الله، فقال:

جعلت فداك تعرف خدمتي وطول صحبتي، فإن ساق الله إليّ خيراً تمنعنيه؟

قال: أعطيك من عندي وأمنعك من غيري. فحكى له قول الرجل، فقال الإمام:

إن زهدت في خدمتنا ورغب الرجل فينا قبلناه وأرسلناك. فلما ولّى عنه دعاه - الإمام - فقال له: أنصحك لطول الصحبة ولك الخيار، فإذا كان يوم القيام كان رسول الله صلى الله عليه وآله متعلّقاً بنور الله، وكان أمير المؤمنين عليه السلام

متعلّقاً برسول الله، وكان الأئمة متعلّقين بأمير المؤمنين، وكان شيعتنا متعلّقين بنا، يدخلون مدخلنا ويردون موردنا.

فقال الغلام: بل أقيم في خدمتك وأؤثر الآخرة على الدنيا. وخرج الغلام إلى الرجل فقال له الرجل: خرجت إليّ بغير الوجه الذي دخلت به! فحكى له قوله (أي قول الإمام سلام الله عليه).

إنّنا لم نعرف ذلك التاجر كما لا نعرف من كان ذلك الخادم، ولكن هذه القصّة تدلّ على عظمة شخصيّة التاجر والخادم معاً، حيث كان الأوّل على استعداد للتخلّي عن كلّ أمواله في مقابل خدمة الإمام عليه السلام، فيما وعى الخادم من رحلة قصيرة عميقة الأثر وأعرض عن المال الكثير لأجل الله سبحانه والدار الآخرة.

[١٠٧]

حذار من الوثوب على أموال حقّ آل محمد

روى الكليني رحمه الله في الكافي عن علي بن إبراهيم، عن أبيه قال:

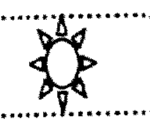
«كُنتُ عِندَ أَبِي جَعفَرٍ الثَّانِي[١] سلام الله عليه إِذ دَخَلَ عَلَيهِ صَالِحُ بنُ مُحَمَّد بنِ سَهْلٍ وَكَانَ يَتَوَلَّى لَهُ الوَقفَ بِقُمَّ فَقَالَ:

يَا سَيِّدي اجعَلنِي مِن عَشَرَةِ آلافٍ فِي حِلٍّ فَإِنِّي أنفَقتُهَا.

فَقَالَ لَهُ: أنتَ فِي حِلٍّ.

---

(١) أي: الإمام محمد الجواد عليه السلام.



فَلَمَّا خَرَجَ صَالِحٌ قَالَ أَبُو جَعفَرٍ سلام الله عليه: أَحَدُهُم يَثِبُ عَلَى أموَالِ حَقِّ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَيتَامِهِمْ وَمَسَاكِينِهِم وَفُقَرَائِهِمْ وَأَبنَاءِ سَبِيلِهِم فَيَأخُذُهُ ثُمَّ يَجِيءُ فَيَقُولُ اجعَلنِي فِي حِلٍّ، أَتَرَاهُ ظَنَّ أَنِّي أَقُولُ لا أَفعَلُ، وَاللَّهِ لَيَسأَلَنَّهُمُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ عَن ذَلِكَ سُؤَالاً حَثِيثاً».

[١٠٨]

صار تاجرا بإقامته المجالس الحسينية في بيته

إنّ إقامة مجالس العزاء الحسيني تندرج ضمن التوفيق والتسديد الإلهي، وهذا العمل يشبه، في آثاره ومزاياه الإيجابية، المعجزة في كثير من وجوهه؛ ولذا، فعلى كل مؤمن أن يعمل على إحياء ذكرى سيد الشهداء عليه السلام، من خلال إقامة مجلس عزاء حسيني أسبوعياً في بيته.

حكي أن أحدهم، أوصاه أخوه - وكان هذا ذا شأن ومنزلة عند [illegible] بأن يقيم مجلساً حسينياً أسبوعياً في بيته الصغير المتواضع، فأجابه بأن بيته، فضلاً عن كونه مُستأجراً وليس ملكاً، ضيق المساحة، ولا يضم سوى غرفة تزدحم بالأثاث والوسائل المنزلية، فأين يقيم مثل هذا المجلس؟!.

فقال له أخوه، دعك عن هذا، وبادر إلى إقامة مجلس الإمام الحسين سلام الله عليه، ومراسم ذكرى أهل بيت النبي - صلى الله عليه وعليهم أجمعين - ساعةً في كل أسبوع، وفي هذه الغرفة الصغيرة. فما كان منه إلا أن عمل بتوصية أخيه، فأصاب من الأموال والأملاك والعقارات الشيء الكثير، وغدا تاجراً يشار له بالبنان.

وهكـذا، فعلـى الجمـيع أن يقيموا مجالس ذكر أهل بيت النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ، في بيوتهم، وأن يتواصوا على إدامة هذه السنّة الحسنة.

[١٠٩]

لا نثبط الآخرين عن التعامل بالحسنى مع المسيئ

إنّ معظـم الـناس يثـبّطون المرء عن التعامل مع المسيئ بالخلق الحسن ولا يشجّعونه في الاستمرار على ذلك. مثلاً، لو حدث شجار بينك وبين أحد أرحامـك، وأردت أن تـضغط علـى نفـسك لتصله، وقرّرت أن تزوره لتسدل الـستار علـى مـا حـدث بيـنكما، فإنّ معظم الناس قد لا يشجّعونك ويضعون أمامك مختلف الأعذار والعراقيل.

يُذكـر أنّ أحد مراجع التقليد ابتلي بشخص كان يشتمه ويسيئ الأدب فـي الكـلام معه حتى في المجالس العامّة، ويبدو أنّه كان من حاشيته. فاتّفق يـوماً أن رأى المـرجع وحـيداً، فانتهـز الفرصـة وشـكا لـه الحاجة إلى المال، حيـنها لـم يـبخل علـيه المـرجع بل أغدق عليه ولم يردّه، ولكنّ العجيب أنّ هـذا الـشخص لـم يكفـّ عن سوء أدبه مع المرجع والجرأة على انتقاصه، بل أخـذ يقـول: إنّ فلاناً أعطاني المال لقطع لساني وأنّ إعطاءه لم يكن لله، وأنّ فمي لا يغلقه المال!

وعـندما بلـغ الأمـر بعـض أصـحاب ذلك المرجع تأثّروا كثيراً وعقدوا العـزم فـي انـتداب أحـدهم لـيكلّم المـرجع. وبالفعـل تـوجه المـنتدَب إلـى المـرجع وسـأله إن كـان قد أعطى فلاناً مالاً؟! فقال: ولِمَ؟ وما الذي حدث؟

عندها قال الشخص: أتعلمون سماحتكم أنّه كان يشتمكم؟ قال: نعم. قال: وتدرون أنّه لا يزال يشتمكم ويدّعي أنّكم لم تعطوه المال من أجل الله بل ثمناً لسكوته أو رياءً؟

وأضاف مسترسلاً: هب أنّا لا نقول أنّك عالِم دينيّ ومرجع تقليد، أفلا نقول أنّك رجل مؤمن؟ أفيصحّ تشجيع مَن يسبّ مؤمناً؟ ألا يشكّل إعطاؤكم المال لذلك الشخص تشجيعاً له؟! أليس في عملكم تربية له على إهانة العلماء وتشجيعاً للآخرين فتستمرّ هذه السنّة حتى بعد وفاتكم؟ و... و...

وهنا رفع المرجع رأسه وقال: أنا أسألك عن شيء: هل هذا الرجل متزوّج؟

أجاب: نعم وله أولاد.

قال المرجع: وكيف وضعه المادّي؛ أهو فقير أم غنيّ؟

قال: بل فقير، لا يملك داراً، بل هو مستأجر لها.

فقال المرجع: لنفرض أنّه ارتكب حراماً إذ شتمني، ولكن ما ذنب زوجته وأطفاله إذا كان سيعود إليهم في المساء ولا مال عنده يقوتهم به؟![١].

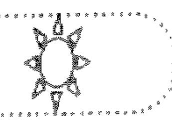
[١١٠]

مَن جدّ وجد ومن زرع حصد

مما ورد في سيرة المرحوم الشيخ عباس القمي - مؤلّف كتاب مفاتيح الجنان - في الفترة التي كان في مدينة قم المقدسة بعد أن انتقل

---

(١) نفحات الهداية: ١٩٨.



إليها من مدينة مشهد المقدسة، أنه كثيراً ما كان يذهب إلى طهران من أجل اقتناء الكتب، وذلك لأنه لم تكن في مدينة قم في تلك الأيام المكتبات الكبيرة ولم يجد الشيخ رحمه الله ضالّته غالباً فيها.

وحيث إن الشيخ كان فقيراً وكان يجمع فلساً ففلساً ليستطيع بها شراء الكتب، فإنه كان يسافر إلى طهران ماشياً ويعود ماشياً لكي يوفّر بذلك المال ليمكنه شراء أكبر عدد ممكن من الكتب!

ولم تكن الطرق آنذاك آمنة عادة فكان السفر محفوفاً بمشاكله الخاصة، ولهذا ربما استغرقت سفرة الشيخ إلى طهران عدّة أيام.

ولكنه كان يتحمّل كل تلك الأعباء لكي يمكنه أن يشتري عدداً أكبر من الكتب تمكّنه من الخدمة أكثر. فهذه الجهود والمعاناة هي التي صنعت الشيخ عباس القمي رحمه الله.

ولله درّ القائل: من جدّ وجد ومن زرع حصد.

[١١١]

جزاء من يخدم عباد الله

إنّ من يعمل لله سبحانه ويخدم عباده ، فإنّ الله لا يضيّع عمله ويعوّضه من حيث يحتسب ولا يحتسب.

قبل حوالي ٤٠ سنة كان في بغداد طبيب يعالج المرضى الفقراء والمحرومين مجّاناً دون أي مقابل، وأكثر من هذا، كان يوصي إحدى الصيدليات بتزويدهم بالدواء على حسابه، وبالرغم من ذلك كان هذا

الطبيب في وضع ماديّ يفوق بقيّة الأطباء حيث كان ذا ثروة طائلة وقصر فخم يحسده عليه أقرانه، والسبب في ذلك هو أنّ الله تعالى يعوّض فاعل الخير خسارته المادّية ويوسّع عليه في الرزق.

[١١٢]

لنستشعر دوما حضور الله تعالى

إن التفكّر في الله عزّ وجلّ يؤدّي إلى تعزيز الشعور بحضوره تعالى، الأمر الذي يؤدّي بدوره إلى تغيّر سلوك الإنسان وحالته. فإذا كان الفرد يشعر بأن الله تعالى موجود قيّوم وهو حاضر عنده على الدوام، فإنه لا شك سيغيّر وضعه ويدقق في أفعاله وأقواله ويتورّع فيها لئلاّ يصدر منه ما يخالف أوامر الله تعالى، الرقيب عليه. وكمثال عن ذلك، نقل لي أحد الخطباء قال:

كنت على المنبر أقرأ المقدّمة إذ دخل أستاذي المجلس، فاختلف الموضوع الذي عرضته عن الموضوع الذي أعددته تماماً بسبب تهيّبي من حضور الأستاذ!

كان السيد الوالد رحمه الله يحضر مجلساً لأحد الخطباء، فجاءه ذلك الخطيب في أحد الأيام -وكنت حاضراً عنده- وقال له: سيدنا أنا أتشرّف بحضورك مجلسي، ولكن أرى من الأفضل أن يتزامن وقت حضوركم مع نهاية المجلس حيث أكون قد دخلت في فصل قراءة التعزية.

لاشك أن الخطيب يُسرّ إذا حضر مرجع التقليد مجلسه، ولكنه يشعر بالتقيّد أيضاً، لأنه قد يريد أن ينقل حديثاً أو يفسّر آية، أو يشرح مسألة

فقهية أو يفصّل قضية عقائدية، فيشعر بالحرج والإرباك مخافة أن لا يكون كلامه مستدلاً بنحو صحيح.

[١١٣]

مجالدة السيوف أهون من طلب الحلال

جاء في الروايات الشريفة: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْفَزَارِيِّ قَالَ: دَعَا أَبُو عَبْدِ اللَّه [الصادق] سلام الله عليه مَوْلًى يُقَالُ لَهُ مُصَادِفٌ فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ: تَجَهَّزْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى مِصْرَ فَإِنَّ عِيَالِي قَدْ كَثُرُوا.

قَالَ: فَتَجَهَّزَ بِمَتَاعٍ وَخَرَجَ مَعَ التُّجَّارِ إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مِصْرَ اسْتَقْبَلَتْهُمْ قَافِلَةٌ خَارِجَةٌ مِنْ مِصْرَ فَسَأَلُوهُمْ عَنِ الْمَتَاعِ الَّذِي مَعَهُمْ مَا حَالُهُ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ مَتَاعَ الْعَامَّةِ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِمِصْرَ مِنْهُ شَيْءٌ، فَتَحَالَفُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى أَنْ لا يَنْقُصُوا مَتَاعَهُمْ مِنْ رِبْحِ الدِّينَارِ دِينَاراً، فَلَمَّا قَبَضُوا أَمْوَالَهُمُ انْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَخَلَ مُصَادِفٌ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّه سلام الله عليه وَمَعَهُ كِيسَانِ كُلُّ وَاحِدٍ أَلْفُ دِينَارٍ فَقَالَ:

جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا رَأْسُ الْمَالِ وَهَذَا الآخَرُ رِبْحٌ.

فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرِّبْحَ كَثِيرٌ وَلَكِنْ مَا صَنَعْتُمْ فِي الْمَتَاعِ؟

فَحَدَّثَهُ كَيْفَ صَنَعُوا وَكَيْفَ تَحَالَفُوا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّه تَحْلِفُونَ عَلَى قَوْمٍ مُسْلِمِينَ أَنْ لا تَبِيعُوهُمْ إِلاَّ بِرِبْحِ الدِّينَارِ دِينَاراً؟!

ثُمَّ أَخَذَ أَحَدَ الْكِيسَيْنِ وَقَالَ: هَذَا رَأْسُ مَالِي وَلا حَاجَةَ لَنَا فِي هَذَا الرِّبْحِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مُصَادِفُ مُجَالَدَةُ السُّيُوفِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ الْحَلالِ.

[١١٤]

الظالمون يعيشون الضنك حتى في الدنيا

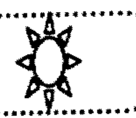
بعد أن تحدّث أحد الزوّار العراقيين لسماحة المرجع الشيرازي، عن قصور صدام وترفه، عقّب دام ظله بالآية الكريمة: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ ثم قال: ذهبت اللذّات وبقيت التبعات، وأضاف:

إن لصدام وأمثاله عاقبة سيّئة في الآخرة، بل هم يعيشون الضنك حتى في الحياة الدنيا ولكنهم يخفون ذلك.

يروى أن هارون العباسي لعنة الله عليه ابتلي بمرض ولكن الأطباء طمأنوه أنه معافى وليس به من شيء، ولكنه لم يصدّقهم وظن أنهم يقولون ذلك لطمأنته وعدم تكدير خاطره، فعمد إلى حيلة ليكتشف حقيقة وضعه، فوضع شيئاً من بوله في قارورة وأمر خادمه أن يذهب بها إلى الطبيب الفلاني ويقول له إن هذا بول صديقي فانظر ما هو داؤه. نظر الطبيب إلى البول ثم قال: أخبر صاحب هذا البول كائناً من كان أنه سيموت بعد عدّة أيام.

عاد الخادم ونقل جواب الطبيب لهارون، فأمر هارون في الفور أن يحفر قبر ثم وقف عليه ونظر إلى داخله، ثم قال: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾.

إلى جهنم وبئس المصير.



[١١٥]

التبليغ مقدم على المستحبات

إذا كنت تعرف أهمية الصلاة في أوّل الوقت فتعال إذاً لنقرأ الرواية التالية:

عن داود الصَّرمي قال: كنت عند أبي الحسن الثالث[١] سلام الله عليه يوماً فجلس يحدّث حتى غابت الشمس، ثم دعا بشمع وهو جالس يتحدّث. فلما خرجت من البيت نظرت وقد غاب الشفق قبل أن يصلّي المغرب ثم دعا بالماء فتوضّأ وصلّى . يبدو أنّ الإمام كان يتحدّث مع بعض المتأثّرين بالخطوط الانحرافية في عصره، فاستمرّ على عمله التبليغي حتى فات وقت الفضيلة. وهذا يعني أنّ التبليغ مقدّم على سائر المستحبّات.

وهكذا فيما إذا اتّفقت ليلة القدر أو ليلة الجمعة، أو ليلة النصف من شعبان أو المواسم الأخرى التي تكثر فيها الأدعية والمستحبّات، وزاحمت التبليغ فقدّموا التبليغ.

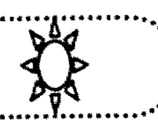
[١١٦]

اللهم لا تكلني إلى نفسي أبدا

يظهر من الروايات أن النبي يونسعليه السلام كان قد ترك المداراة وفعل غير ما ينبغي له (من باب الأولوية) «فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ» ونزل به ما نزل.

---

(١) أي: الإمام علي الهاديعليه السلام.



روي عن أبي عبد الله الصادق سلام الله عليه أنّه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة في ليلتها، ففقد من الفراش، فدخلها من ذلك ما يدخل النساء، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائماً رافعاً يديه يبكي ويقول: اللهم لا تنزع منّي صالح ما أعطيتني أبداً. اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً. اللهم لا تشمت بي عدواً ولا حاسداً أبداً. اللهم لا تردّني في سوء استنقذتني منه أبداً.

قال: فانصرفت أم سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها، فقال لها: ما يبكيك يا أم سلمة؟ فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ولم لا أبكي وأنت بالمكان الذي أنت به من الله، قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر، تسأله أن لا يشمت بك عدوّاً أبداً ولا حاسداً وأن لا يردّك في سوء استنقذك منه أبداً، وأن لا ينزع عنك صالح ما أعطاك أبداً، وأن لا يكلك إلى نفسك طرفة عين أبداً. فقال: يا أم سلمة، وما يؤمنني، وإنما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين فكان منه ما كان منه».

فما كان ينبغي ليونس عليه السلام أن يستميل قومه للإيمان ثم يتركهم بعد مدّة قصيرة، بل كان الأولى مداراته لقومه أكثر، لكنّه ترك الأولى لأنّ الله تعالى - كما يقول النبي صلى الله عليه وآله في الحديث المتقدّم - أوكله إلى نفسه طرفة عين!

وهذا الأمر يلزم علينا ملاحظته أيضاً؛ لأننا في كثير من الأحيان قد نغضب لله تعالى ولكنه غضب عن جهل مركب - وإن كان لله - لذا يجب علينا أن لا نظهر غضبنا بسرعة لئلاّ يحدث ما ربّما لا تُحمد عقباه. وهذا من المداراة أيضاً.

[١١٧]

منْ الرسول على أئمة الكفر والمنافقين

يروى أنّه بعد رجوع النبيﷺ من غزوة حنين - وقد نصره الله تعالى على المشركين بعد فتح مكّة - جاء بالغنائم فنزل بالجعرانة بمن معه من الناس وقسم ما أصاب من الغنائم في المؤلّفة قلوبهم من قريش وسائر العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير.

قال محمد بن إسحاق: فأعطى أبا سفيان بن حرب مئة بعير، ومعاوية ابنه مئة بعير، وحكيم بن حزام من بني أسد بن عبد العزى مئة بعير... قال: وغضب قوم من الأنصار لذلك وظهر منهم كلام قبيح، حتى قال قائلهم: لقي الرجل أهله وبني عمّه ونحن أصحاب كلّ كريهة، فلما رأى رسول اللهﷺ ما دخل على الأنصار من ذلك، أمرهم أن يقعدوا ولا يقعد معهم غيرهم، ثم أتاهم شبه المغضب يتبعه علي سلام الله عليه حتى جلس وسطهم. فقال: ألم آتكم وأنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي؟... إلى أن قال: بل لو شئتم قلتم: جئتنا طريداً مكذَّباً فآويناك وصدّقناك، وجئتنا خائفاً فآمناك.

فارتفعت أصواتهم، وقام إليه شيوخهم فقبّلوا يديه ورجليه وركبتيه، ثمّ قالوا: رضينا عن الله وعن رسوله وهذه أموالنا أيضاً بين يديك فأقسمها بين قومك إن شئت.

فقال: يا معشر الأنصار، أوجدتم في أنفسكم إذ قسمت مالاً أتآلف به قوماً ووكلتكم إلى إيمانكم، أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاء والنعم

ورجعتم أنتم ورسول الله في سهمكم...؟

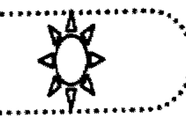
لقد نبّههم رسول الله صلى الله عليه وآله بما غفلوا عنه وذكّرهم ما نسوه، وأعلمهم أنّ ما قام به من إعطاء المال الكثير لأولئك الناس وخصّهم بالغنائم دون الأنصار إنّما كان لغاية تأليف قلوبهم للإسلام، ولإظهار عظمة الإسلام لئلا يرى فقيراً قليل العطاء، ولكي يكسر حالة العداء فيهم فلا يعود أمثال أبي سفيان وابنه معاوية وغيرهما من المنافقين لتنفيذ مؤامرتهم ضدّ الإسلام، وفي الوقت نفسه استثار صلى الله عليه وآله عواطف الأنصار بقوله ألا ترضون أن يكون رسول الله في سهمكم.

[١١٨]

لا تبخسوا الناس أشياءهم

«جواهر الكلام» كتاب لا يستغني عنه أيّ فقيه حتى اليوم، فهو دورة كاملة وواسعة، أي مفصّلة في الفقه الاستدلالي. هناك كثير من الدورات الفقهية. فشرح اللمعة مثلاً، دورة كاملة في الفقه الاستدلالي، وكذلك كتاب رياض المسائل وغيرهما، ولكن كتاب الجواهر إضافة إلى كونه دورة كاملة فهو يمتاز بالسعة والتفصيل، وقد بذل مؤلّفه قرابة ثلاثين سنة من عمره في تأليفه، كما يظهر من بعض التواريخ التي سجّلها في نهايات فصول الكتاب.

وكان صاحب الجواهر عالِماً متبحّراً ذكيّاً حافظاً متقناً، وكان هو المرجع الديني في النجف الأشرف، واتّفق يوماً أن جرى الحديث في



مجلس يضمّه وعلماء آخرين عن مسألة فقهية، فأدلى كلُّ عالم بدلوه وأعطى كلّ صاحب رأي رأيه، لكنّ صاحب الجواهر اكتفى بالقولَ أنّه قد ذكر المسألة في كتاب الجواهر، وأنّ رأيه موجود هناك.

وكان في المجلس عالِم - أو بالأحرى: دارس! - فالتفت إلى صاحب الجواهر وقال: لو تعطي جواهرك للعطّارين ليستفيدوا من أوراقه في لفّ التوابل، يستفيد المجتمع منه أكثر!

وكان يريد بقوله هذا: إنّ كتاب الجواهر لا يستحقّ القراءة أو أن يُنقل عنه شيء، وأنّ الأوراق التي كُتبت عليه خسارة وتبديد للثروة، لأنّ ما كُتب عليها لا ينفع.

لقد ذهب صاحب الجواهر ولكن بقي اسمه وكتابه الجواهر يدلّ على نور علمه، أمّا ذلك الرجل فقد ذهب اسمه بذهابه، ولا يعرفه اليوم إلاّ من ينبش الكتب التي أرّخت لحياة العلماء، مع أنّه كان عالِماً - وبتعبير أدق: دارساً - هو الآخر، ولكنه كان يفتقد لذلك العلم الذي عبّر عنه الحديث بأنّه نور يقذفه الله في قلب مَن يشاء؛ لأنّ ذلك العلم يكون مصاحباً للفضيلة، وصاحب الفضيلة لا يبخس الناس أشياءهم ولا يقول مثل هذا القول لعالم أتعب نفسه ثلاثين سنة حتى كتب ذلك الكتاب النادر في تاريخ الفقه.

[١١٩]

الأخلاق الفاضلة من دلالات النور

هناك أمثلة كثيرة لمَن درسوا ومَن بلغوا مراحل عالية في الاجتهاد، ومن جملتهم أحد مراجع التقليد ممّن أدركتُهم في النجف الأشرف،

والـذي كـان قـد ألّف ونـشر في أيام مرجعيّته كتاباً لا غبار عليه من الناحية العلمية.

طالع الكتاب شخص كان طالباً آنذاك فرأى نقاط ضعف في الكتاب حسب نظره وربما تـصوّر أنّه يمكنه إثارتها كنقاط ضعف في علمية ذلك المـرجع، فانتهـز فرصـة جلوس المرجع في بيته لاستقبال الوافدين، إذ حضر هـو أيـضاً، ثم انبرى بعد أن استقرّ به المجلس مخاطباً المرجع بلهجة تهكّم، قـائلاً: أتـدري أيّ جـناية ارتكـبتَ بنشرك هـذا الكتاب؟ لقد شوّهت سمعة مديـنة الـنجف الأشرف ومكانـتها العلميّة التـي اكتـسبْتها مـن كتب الشيخ الأنصاري وأمثاله!

يريد بذلك: أنّ الذي حصّل في حوزة النجف ينبغي أن تكون مؤلفاته بمـستوى مـؤلّفات الـشيخ الأنـصاري، أمّـا هـذا الكـتاب فـسوف يحـطّ مـن مستوى النجف لعدم مجاراة كتب الشيخ الأنصاري!

وأضـاف: لقـد تلاعـبتَ - بكـتابك هـذا - بكـرامة الـنجف العلمـية وحوزتها الدينية.

أتدرون ماذا كان ردّ فعل ذلك المرجع؟

أجابـه قـائلاً: وأيـن أنـا مـن الـشيخ الأنـصاري، بل إنّي لأفخر أن أفهم كلمـات الـشيخ الأنـصاري رحمـه الله، وأستطيع أن أشرحها. لقد كان الشيخ الأنـصاري أسـتاذ الفقهـاء، أمّـا أنـا فأتمنّى لو كنت تلميذاً للشيخ الأنصاري، وفـي مـثل هـذه الحالـة - خاصّـة وأنّـي إنـسان ولكـلّ إنـسان زلاّت - ربمـا صـدرت منّـي هفـوات ونقـاط ضـعف لـم أنتبه لها. أرجو منكم أن تنبّهوني

عليها وإنّي أكون شاكراً لكم.

تأمّلوا فيما حدث: لقد ذهب هذا الرجل إلى المرجع لكي يخزيه ويقلّل من شأنه ولكنه خرج وهو يغبطه.

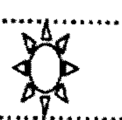
ومن يسمع بالقصّة يقول: إنّ تصرف هذا المرجع يعكس نورانية لا توجد عند بعض من بلغوا مراحل عالية من العلم دون أن يحصلوا على نوره، فإنّه كان بإمكان هذا المرجع أن يردّ ذلك الطالب ردّاً علمياً يؤهّله مستواه وردّاً اجتماعياً بسبب المنزلة التي يحظى بها بين الناس، كأن يقول له: ومَن أنت لكي تزكّيني؟ أو هل فهمت كتابي لكي تنتقده هذا الانتقاد؟ ولكنّه مع ذلك لم يقل له شيئاً من هذا القبيل، لأنّ ذلك النور الذي غمره جعله يترفّع عن مثل هذه الميول.

ليس المقصود أن لا يبذل الطالب جهداً في الدرس بل المقصود أن يؤطّر دراسته بمجمل الفضائل التي ترقى به لأن يحصل على نور العلم.

[١٢٠]

الأستاذ الجيد يربي طلابا جيدين

روى الديلمي في «إرشاد القلوب»؛ قال: «كان بعض العلماء يقدّم تلميذاً له على سائر تلاميذه. فلاموه على ذلك، فأعطى كلَّ واحد منهم طيراً وقال: اذبحه في مكان لا يراك فيه أحد، فجاءوا كلّهم بطيورهم وقد ذبحوها، لكن ذلك التلميذ جاء بطيره وهو غير مذبوح، فقال له: لِمَ لم تذبحه؟ قال: لقولك: لا تذبحه إلا في موضع لا يراك فيه أحد، وما من مكان إلاّ يراني فيه



الله. فقال له: أحسنت. ثم قال لهم: لهذا فضّلته عليكم وميّزته منكم».

يظهر أنّ هذا الأستاذ كان مربّياً وليس أستاذاً في الدروس المقرّرة كالفقه والأصول والنحو حسب، فكان ممّن لا يرى واجبه منحصراً في إلقاء الدروس بل بتربية التلاميذ أيضاً. ولهذا كثيراً ما نقرأ عن بعض العلماء الماضين رضوان الله تعالى عليهم كيف أنّه كان متعايشاً مع تلاميذه في السفر والحضر، أو أنّ التلميذ كان يرى نفسه خادماً بين يدي أستاذه، كنتيجة حتميّة للتفاعل الروحي الذي يكون سائداً بين أستاذ كهذا وتلاميذه.

فهذا الطراز الرفيع من الأساتذة كان يربّي ذلك الطراز الجيّد من التلاميذ؛ والذين كان منهم ذاك التلميذ الذي ضرب أروع مثل في تنبيه الغافلين عن الله تعالى(١).

[١٢١]

رجال أفذاذ حوّلوا بلدانا بأكملها

إنّ للتبليغ أهمية كبرى وتأثيراً عظيماً. فإيران والعراق اللتان تعدّان اليوم مواليتين لأهل البيت سلام الله عليهم بأغلبية ساحقة، ولم تكونا كذلك في السابق، بل تحوّلتا إليه بفضل التبليغ الذي نهض به رجال أفذاذ نذروا أنفسهم له وعقدوا العزم عليه.

---

(١) من محاضرة (الحاجة إلى التربية والترويض) من سلسلة محاضرات سماحته بالطلاب.

ينقل المحدّث النوري رضوان الله عليه في خاتمة «مستدرك الوسائل» أنّ المرحوم السيد مهدي القزويني - من علماء الشيعة ومراجعها، نزيل الحلّة في العراق، وزميل الشيخ مرتضى الأنصاري رحمهما الله - أخذ في أواخر حياته بالتبليغ وهدَى عشائر كانت برمّتها غير موالية لأهل البيت سلام الله عليهم؛ إذ كان يذهب إلى إحدى العشائر ويمكث في مضيفها سنة كاملة يخالطهم فيها ويصلّي بهم ويحكي لهم قصصاً حتى يغيّر معظمهم ويجعلهم موالين لأهل البيت سلام الله عليهم ثم يغادرهم إلى عشيرة ثانية ويمكث فيهم سنة أو أكثر حتى يهديهم الله إلى الحقّ وهكذا... حتى اهتدى على يديه زهاء مئة ألف إنسان.

فبعزم أمثال هذا الرجل اهتدت الشعوب وصار العراق وإيران دولتين ذاتي أغلبية شيعية، وإلاّ فإنّ إيران مثلاً كانت سنّية أنجبت زهاء ثمانين في المئة من كبار علماء العامّة - الذين ليسوا على خطّ أهل البيت - ثم تغيّر الوضع بفضل التبليغ حتى آل الأمر إلى أن تنجب إيران الألوف من العلماء المسلمين السائرين على خطّ أهل البيت سلام الله عليهم[1].

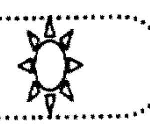
[١٢٢]

لهذا خلدت آثار الشيخ الأنصاري

لنعلم أنّ العلم لا يأتي من فراغ، ولا من كثرة الدراسة وحدها. نعم، قد تصلح الدراسة لجعلك متفوّقاً على أقرانك في المباحثة، ولكنها لا

---

(١) من محاضرة (التبليغ) من سلسلة محاضرات سماحته بالطلاب.



تمنحك - منفردة - ذلك النور الإلهي المنشود، بل قد تكون في بعض الأحيان وبالاً على الإنسان والعياذ بالله. فقد رأيت كتاباً مطبوعاً في الأصول واستفدت منه أيّام دراستي، ولكن ما لفت انتباهي فيه أنّ مؤلّفه إذا جاء بابتكار من نفسه - أو تصوّر أنّه كذلك - يشيد به كثيراً ويقول: إنّ هذا من ابتكاراتي التي حصلت عليها على أثر سهر الليالي، ثم يدعو بالويل والثبور واللعنات وأن يفعل الله كذا وكذا بكلّ مَن ينقله دون أن يذكر اسمه (أي اسم المؤلِف)!

هب أن الإنسان قد ابتكر فكرة أو أفكاراً، فما الداعي لأن يتعامل معها هكذا، في حين أنّ الشيخ الأنصاري قدس سره كان يطرح ابتكارات عظيمة ضمن بقيّة كلماته دون أن يتباهى بها، ودون أن يُشعر القارئ بأنّها من ثاقب أفكاره، مع أنها كانت تمثّل عصارة علمه، وقد أتعب نفسه حتى وصل إليها، حتى أنّ الشيخ لم يضمّن كتاباته بكلمات من قبيل: اغتنِم ونحوها.

والآن عندما نلاحظ الواقع نرى أنّ كتب الشيخ الأنصاري تملأ الحوزات والمكتبات وما تزال تُطبع كلّ عام في مختلف الأماكن بينما ذلك الكتاب الذي ذكرتُه لم يسمع به كثير من أهل العلم مع أنّه حقيق بالدراسة أيضاً.

إنّ النور الذي أضاء جوانح الشيخ الأنصاري قد يكون من الأسباب التي جعلت كلماته تدور على ألسن العلماء، وكتبه تدرّس في كلّ مدرسة، وذكره سائراً بين الناس.

ونـور العلـم لـيس حكـراً علـى الأسـر العلمـية، بل قد يكون الشخص سـليل عائلـة علمـية ولكـن الله لا يمـنحه هذا النور، وقد يقذف الله نور العلم فـي قلـب ابـن عطّـار أو مـزارع أو بقّـال أو تاجر أو حمّال! وهذا يتّضح لمن طالع تاريخ العلماء[١].

[١٢٣]

تغيير النفس ممكن في كل الأحوال

نُقـل أنّ الـشيخ علي القمّي عندما أراد الزواج - يوم كان شابّاً - طلب نـوعاً مـن القمـاش الفاخر الذي كان الشباب المتأنّق في تلك الأيّام يخيطون مـنه بدلـة الـزواج - أو لـنقل: إنّـه كـان قمـاش الـيوم - وكـان هـذا القمـاش يُـستورد مـن الشام. وحيث إنّ طلبة العلوم الدينية كانوا أكثر تواضعاً وبساطة في زيّهم وملبسهم من سائر الشباب، لاعتبارهم قدوة للآخرين، حاول بعض زمـلاء الـشيخ أن يثنيه عـن هـذا المطلب. ولكنّه كان مصرّاً لدرجة أنّه أجّل زواجه عدة أشهر لأنّ ذلك القماش لم يوجد آنذاك في الأسواق.

ومـا يثيـر العجـب أكثـر أنّ هـذا لم يكن حال كلّ الشباب آنذاك فما كـان يهتمّ بمـثل هـذه المظاهـر إلاّ المـنهمك فـي الدنـيا. ولا نقول: إنّه كان حـراماً ولكـنّه كـان يعبّـر عن اهتمام زائد بالدنيا، وربما كان لمّاعاً أو ما أشبه ممـا لا يناسب طالب العلم الديني، ولذلك كان زملاؤه يحاولون ثنيه، ولكنه

---

(١) من محاضرة (العلم نور) من سسلسلة محاضرات سماحته بالطلاب.

كان يجيبهم بالقول: مادام غير محرّم فهو زينة والله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾. وصار يوصي المسافرين إلى المدن الأخرى في العراق ككربلاء والحلّة وبغداد ولكن بحثهم كان دون جدوى، حتى اتّفق أنّ بعض أصدقائه نوى السفر إلى الشام وبعد عودته أتى له بذلك القماش، ثم تزوّج بعد ذلك!

أذكر لكم هذه القصة لتعرفوا أنّ التغيير ممكن، فإنّ هذا الشيخ نفسه بعد أن كان مستوى اهتمامه في شبابه هكذا، تحوّل تحوّلاً عجيباً حتى صار مضرب المثل في الزهد والتقوى في عامّة العراق وإيران رغم وجود العشرات، بل المئات من الزهّاد والمتّقين في ذلك الزمان! فلقد سمعت قصصاً عن الشيخ علي القمّي رحمه الله أكتفي هنا بنقل واحدة منها:

يقول والدي رحمه الله: إنّه كان في النجف الأشرف يومذاك تسعون رسالة عملية، وهذا يعني أنّ المجتهدين كانوا بالمئات، لأنّ الذين عندهم رسائل عملية لا يشكّلون في العادة عشرة بالمئة مثلاً من كلّ المجتهدين. فهكذا كان وضع النجف وحوزتها، إذا ما استثنينا مدينة قم وكربلاء ومشهد! ولا أعلم اليوم بوجود تسعين رسالة عملية في العالم الإسلامي كلّه.

يقول الوالد: إنّه بالرغم من وجود العشرات من المراجع في النجف الأشرف في ذلك اليوم، وبالرغم من وجود المئات من أئمّة الجماعة من المتّقين والزهّاد، كان كثير من الناس والعلماء لا يطمئنّون إلاّ بالصلاة خلف الشيخ علي القمّي، لأنّه كان مسلّم العدالة عند الكلّ.

فلو كان بعض الناس يصلّون خلف فلان لكنّهم يستشكلون بالصلاة

خلف فلان الآخر، وكان بعض آخر يُصلّي خلف الثاني ويستشكل بالصلاة خلف الأوّل، لكنّهم جميعاً كانوا يتّفقون على عدالة الشيخ علي القمّي ويطمئنّون بالائتمام به. فما أعظم التحوّل الذي حدث في حياة هذا الرجل حتى بلغ هذه الدرجة، بعد أن كان على ما سمعتم في شبابه[1]!

[١٢٤]

لو قرض بالمقاريض ما كشف عن الحجة

حول سيرة العلماء من السلف الصالح والتزامهم بتقوى الله سبحانه وشدّة تحرّجهم في ذات الله تعالى قال سماحته:

عن محمد بن علي بن الحسين قال: أخبرنا علي بن محمد بن متيل عن عمه جعفر بن أحمد بن متيل قال:

لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه (السفير الثاني لمولانا الإمام المهدي الموعود عجّل الله تعالى فرجه الشريف) الوفاة كنت جالساً عند رأسه أسأله وأحدّثه وأبو القاسم بن روح عند رجليه. فالتفت إليّ ثم قال:

أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح.

قال: فقمت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحوّلت إلى عند رجليه.

(١) من محاضرة (تذليل الصّعاب في طلب العلم) من سلسلة محاضرات سماحته بالطلاب.

وأردف سماحة السيد دام ظله: قال ابن نوح وسمعت جماعة من أصحابنا بمصر يذكرون أن أبا سهل النوبختي سئل فقيل له: كيف صار هذا الأمر - أي النيابة عن الإمام الغائب أرواحنا لتراب مقدمه الفداء - إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟

فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ولو علمت بمكانه - أي بمكان الإمام صلوات الله عليه - كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة لعلّي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كان الحجّة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه(١).

[١٢٥]

نصيحة للخطباء وللطلبة

كان السيد أحمد القمّي الروحاني عالِماً مجتهداً وواعظاً مؤثراً، لأنّه كان متّعظاً - أدركتُه وحضرتُ مجلسه ليلة النصف من شعبان حيث كان يصادف زيارة الإمام الحسين سلام الله عليه وحضور الزوّار من كلّ المحافظات وعلى اختلاف الأطياف إلى كربلاء المقدّسة - وكان يرتقي المنبر في المدرسة الهندية - وهي مدرسة علمية دينية - فتمتلئ المدرسة بالعلماء والمدرّسين والخطباء والطلبة، وكان الحاضرون كلهم آذاناً صاغية له، وكأنّ على رؤوسهم الطير، لصدق كلامه، وبلاغة بيانه.

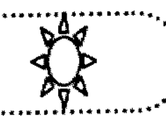
---

(١) من حديث لسماحته بجمع من العلماء وفضلاء الحوزة العلمية والشخصيات في ليالي شهر رمضان المبارك ١٤٢٨ للهجرة - الليلة ٦.

حكـي أنّ هـذا العـالِم الـواعظ كـان قـد حـضر مجلساً خاصّاً عُقد في طهـران قـد حـضره جمهرة من الخطباء المشهورين في إيران يومذاك. فقال الخطيب - الـذي دُعـي ليـصعد المنبر في ذلك المجلس - لزملائه الخطباء: إنّـي مدعـوّ لارتقـاء المنبـر فـي مجلس يحضره أناس من مختلف الطبقات، وربمـا يحـضره أشخاص لم يحضروا مجلساً طيلة عمرهم أو لم يحضروا إلاّ مجلـساً واحداً في السنة كيوم عاشوراء مثلاً. لذا أطلب منكم أن تشيروا عليّ في الموضوع الذي يتناسب طرحه في مجلسٍ كهذا.

فاقتـرح بعضهم: أن يتناول أصول الدين، واقترح آخرون: أن يتحدّث عـن الأخلاق، واقترح غيرهم: أن يعلّمهم أحكام الصلاة ويرشدهم لوجوبها ومـدى أهميّـتها - فمـن المفتـرض أن يـوجد في مجلس عام كهذا أناس لا يصلّون- فعسى أن يهديهم الله ليصبحوا من المصلّين.

تكلّم الجميع وكلٌّ أدلى بدلوه إلاّ السيد أحمد القمّي فقد بقي ساكتاً. وعـندما انـتهوا أجمعهـم، الـتفت الخطـيب إلـى السيد أحمد القمّي وقال له: الـسادة أعـاظم أهـل الفـنّ والحـضور موجـودون وقـد أشـاروا علـيك. قـال الخطـيب: ولكنّـي أريـد أن أعـرف رأيك. قال السيد القمّي: كلّ الذي قالوه جيّد، ثـم إنّـك لا تـريد أن ترتقي أكثر من منبر، ففيما اقترحوه الكفاية إذاً، فمـا الداعـي للإضـافة؟ ولكـنّ الخطـيب أصـرّ علـى الـسيد طالباً رأيه - ولم يـشتهر الـسيد يـومذاك بكـونه خطيباً من الدرجة الأولى، لكنّ إجابته كانت تكـشف عـن كـونه كـذلك - فقـد قـال لـه: فـي الواقـع، ليس لديّ موضوع خـاص أقتـرحه علـيك أكثـر ممـا اقتـرحه علـيك الإخـوة، فقـد اقتـرح كـلٌّ موضـوعاً واسـتوعبه ذهـنك وبحمـد الله، ولكـن أسألك أسئلة أوّلاً ثم أتقدّم



إليك باقتراحي - وكان بإمكانه أن يطرح اقتراحه دون الحاجة إلى هذه الأسئلة ولكن أراد أن يهيّئه للموضوع ويجعل إجاباته من باب المقدّمات والإعداد النفسي-.

فسأله - من باب سؤال العارف - عن المكان الذي يقام فيه المجلس ثم عن مساحة الأرض التي يقوم عليها، وكميّة الحضور مثلاً، ثم طلب منه أن يصف له موقع المنبر والزاوية التي يوضع فيها ... وكان يريد بذلك أن ترتسم صورة المجلس في ذهنه.

وهنا قال له: عندما تصعد المنبر وتبدأ بقراءة المقدمة وتفكّر في ترتيب الموضوع الذي وقع عليه اختيارك، تصوّر وأنت في تلك الحالة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جالس هناك أمامك آخذاً لحيته بيده ويشكو لله غربة دينه. جسّد هذه الصورة في ذهنك ثم انظر وأنت في تلك الحالة ماذا ستقول وكيف ستتكلم؟

نُقل عن ذلك الخطيب أنّه قال: عندما صعدت المنبر تراءى لي ذلك المنظر حقّاً، فقد امتلكني وهيمن عليَّ شعور بحضور الرسول صلى الله عليه وآله وأنّه يراني وينظر ما أقول وكيف أخدم دينه؛ ثم انتخبت موضوعاً وبدأت أتكلّم عنه، وكان لكلماتي تأثير معنويّ عظيم في الناس، وأنا أجزم أنّه لم يكن ليحصل لولا تأثير تلك الالتفاتة المعنوية والإحساس بمراقبة النبي صلى الله عليه وآله [1].

---

(١) من محاضرة (الإخلاص في النية شرط قبول العمل) من سلسلة محاضرات سماحته بالطلاب.



[١٢٦]

مولاتنا الزهراء هي المحور

جاء في الروايات الشريفة عن سلمان المحمدي أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إن الله خلقني وخلق علياً ولا سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا لوح ولا قلم، فلما أراد الله عزّوجلّ بدو خلقنا تكلّم بكلمة فكانت نوراً، ثم تكلّم كلمة ثانية فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما واعتدلا، فخلقني وعليّاً منهما، ثم فتق من نوري نور العرش، فأنا أجلّ من العرش، ثم فتق من نور علي نور السماوات فعليّ أجلّ من السماوات، ثم فتق من نور الحسن نور الشمس ومن نور الحسين نور القمر فهما أجلّ من الشمس والقمر، وكانت الملائكة تسبّح الله تعالى وتقول في تسبيحها: «سبوح قدوس من أنوار ما أكرمها على الله تعالى»، فلما أراد الله تعالى أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة وكانت الملائكة لا تنظر أولها من آخرها ولا آخرها من أولها، فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك بحقّ هذه الأنوار إلا ما كشفت عنّا. فقال الله عزّوجلّ: وعزتي وجلالي لأفعلن؛ فخلق نور فاطمة الزهراء سلام الله عليها يومئذ كالقنديل وعلّقه في قرط العرش، فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، [و] من أجل ذلك سميت فاطمة الزهراء، وكانت الملائكة تسبّح الله وتقدّسه، فقال الله: وعزتي وجلالي لأجعلنّ ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبّي هذه المرأة وأبيها وبعلها وبنيها».

لا شك أن سيدتنا فاطمة سلام الله عليها كان تتبع أباها رسول الله صلّى

الله عليه وآله وهي ليست بأفضل منه، بل إنها فدت نفسها لدين أبيها. لكن عند التأمل في هذا الحديث الشريف نجد أن الله تعالى قد عرّف الرسول الأكرم وأهل البيت الأطهار بالزهراء صلوات الله عل أجمعين وجعلها المحور لهذه الذوات المقدسة. وليس جزافاً إن قلنا إن كل ما يعرفه العلماء والحكماء والمفكرون عن مقام مولاتنا فاطمة سلام الله عليها هو ظلّ من أصل حقيقتها، ولعله في يوم الآخرة يمكن معرفة كنه حقيقة مقامها الرفيع. ويمكن القول: إن إحدى الخصائص الأصلية للمنظومة المعرفية لثقافة أهل البيت الفريدة هو أن الزهراء سلام الله عليها المركز والمحور في هذه المنظومة[١].

[١٢٧]

لنحترم رأي الآخرين

حدّثني أحد العلماء المعاصرين، قال: كنت في شبابي أحضر درس الأستاذ الفلاني - وسمّاه - لكنّي بعد مدّة انقطعتُ عن الحضور، ثم لقيني الأستاذ ذات مرّة وسألني عن سبب غيبتي، فقلت له: شبهة حصلت عندي. قال: وما هي؟ قلت: لأنّكم عندما تناقشون الرأي المخالف لرأيكم تناقشونه بأسلوب يترك لدى السامع انطباعاً أنّ صاحب ذلك الرأي رجل عاديّ وليس عالماً أصلاً، أي يخلق عنده تشكيكاً بعلميّته؛ حتى لو كان الشيخ الطوسي أو الشيخ المفيد أو العلاّمة الحلّي أو الشيخ الأنصاري رحمهم الله. فخشيت أن يتزلزل اعتقادي بعلم كلّ العلماء جرّاء ذلك، ولذلك انسحبت

(١) من كلمة لسماحته ألقاها يوم الخميس الموافق للأول من شهر ذي القعدة الحرام ١٤٢٧ للهجرة بجمع من الفضلاء والمبلّغين من أصفهان.

وتخلّيت عن الحضور في مجلس درسك!

ثم أضاف ذلك العالم الذي حدّثني بهذه القضية، قائلاً: كنّا نحضر درس آية الله البروجردي رضوان الله عليه، فكان إذا أراد أن يردّ علَماً قال: لا أدري هل هذا ما يقصده الشيخ الفلاني - مثلاً - من عبارته؟ أو: لعلّ عبارة الشيخ قاصرة عن إفادة مطلبه، أو: لعلّي غير ملتفت لأبعاد رأيه.. وهكذا. فكان يعظّمه في نظرنا أوّلاً ثم يبيّن لنا رأيه المخالف بعبارات من قبيل: يبدو لي كذا، أو أرى أنّ الصحيح كذا، والعلم عند الله. فكنّا ننفضّ من مجلس آية الله البروجردي معتقدين بصواب رأيه، دون أن تتزعزع في أنظارنا المكانة العلمية للعلماء الآخرين[1].

[١٢٨]

حب الزرادشتي للإمامين الحسين والرضا

حول فضل التمسك بأئمة أهل البيت صلوات الله عليه وحبّهم وإحياء أمرهم قال سماحته: نقل لي فضيلة السيد جواد اليزدي - أحد فضلاء مدينة يزد الإيرانية - أنه قال: كان يتردد علينا رجل مسن من الزرادشتية وكان يجلس معنا للحديث حول أمور مختلفة، فقلت له ذات مرة: ألا تسلم؟

قال: لا.

قلت له: لماذا؟

قال: لأني لم أر أمراً سيّئاً في ديني.

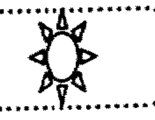
(١) من محاضرة (العلم النافع) من سلسلة محاضرات سماحته بالطلاب.

يقول السيد اليزدي: في إحدى جلساتي مع هذا الرجل قال لي: أذكر لك شيئاً وهو أني أحبّ إمامكم الحسين وأحضر مجالسه وأبكي عليه، وأحبّ إمامكم الرضا أيضاً وكنت أتشوّق كثيراً إلى زيارة مرقده، خصوصاً عندما كنت أشاهد مواكب السيارات في شوارع المدينة وهي تقلّ الزوّار في طريقها إلى مدينة مشهد. وذات مرة شاهدت سيارة فيها أُناس لا أعرفهم ولا يعرفونني وهم عازمون على الذهاب إلى مشهد، فتقدّمت نحوهم وقلت لهم: أريد الذهاب إلى مشهد، فهل لي مكان في سيارتكم؟

قالوا: نعم، تفضل. فذهبت معهم إلى مدينة مشهد، وعندما وقفت أمام الروضة الرضوية المقدسة أخذتني العبرة وسالت دموعي، وطرت من الفرح والشوق، وكنت أتحاشى الدخول للصحن لأني برأي المسلمين نجس. ولكني لم أتحمّل ذلك فقرّرت أن أشتري جوراباً وألبسه وأدخل الصحن الشريف حتى لا يتنجس، ففعلت ذلك ودخلت الصحن وبكيت كثيراً هناك، فارتاحت نفسي واستقرّت وأحسست بخفتها.

ثم شاهدت الناس يطوفون حول الضريح الطاهر ويلمسونه، فقلت مع نفسي أنه يجب عليّ أن ألمسه. فخرجت من الصحن وذهبت إلى إحدى الدكاكين واشتريت قفازاً ولبسته ثم رجعت إلى الصحن الشريف ودخلت إلى المرقد ولمست الضريح، فازددت فرحاً وخفة، ولم أفرح في عمري كلّه فرحة كهذه.

يقول السيد اليزدي: انقطع عنّا هذا الرجل لفترة، وبعدها جاء أولاده وقالوا: لقد مات أبونا يوم أمس، وقبل وفاته قال لنا: إذا مت فلا تعملوا مع



جنازتي أي شيء، واذهبوا إلى السيد جواد اليزدي وقولوا له تصرّف مع الجنازة كما ترى.

إن الدنيا لا تعرف شيئاً عن أهل البيت صلوات الله عليهم، وحقيقة إن عرفوا أهل البيت فسيتبعونهم. وهذا بحاجة إلى بذل الهمم من قبل الجميع وبالأخصّ العلماء والمثقفين(١).

[١٢٩]

ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد

كان النبيﷺ إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة صلوات الله عليها فدخل عليها فأطال عندها المكث. فخرج مرّة في سفر فصنعت فاطمة سلام الله عليها مسكتين من ورق، وقلادة وقرطين وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها صلوات الله عليهما. فلما قدم رسول اللهﷺ دخل عليها، فوقف أصحابه على الباب لا يدرون أيقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول اللهﷺ وقد عرف الغضب في وجهه، حتى جلس عند المنبر. فظنّت فاطمة صلوات الله عليها أنه إنما فعل ذلك رسول اللهﷺ لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها ونزعت الستر، فبعثت به إلى رسول اللهﷺ وقالت للرسول: قل لهﷺ : تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول اجعل هذا في سبيل الله. فلما أتاه وخبّره قالﷺ : فعلت فداها أبوها، ثلاث مرّات. [وقال]: ليست الدنيا من

---

(١) من حديث لسماحته بجمع من العلماء وفضلاء الحوزة العلمية والشخصيات في ليالي شهر رمضان المبارك ١٤٢٨ للهجرة - الليلة ١١.

محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء ثم قام فدخل عليها[١].

إذا كان الهدف الأول والأخير للإنسان هي الدنيا ومتعلّقاتها فإن حياته ستكون حياة متعبة. أما إذا كان هدفه هو الله سبحانه وتعالى وأن يستفيد من الدنيا بمقدار حاجته فسيكون سعيداً في الدنيا قبل الآخرة. فقد ورد في الروايات الشريفة عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر عن آبائه سلام الله عليهم أجمعين: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى الدنيا أن أتعبي من خدمك واخدمي من رفضك»[٢][٣].

[١٣٠]

من كرامات العلماء

كان الشيخ محمد رضا الأصفهاني من طلاب المرحوم الآخوند الخراساني قدس سره في مدينة النجف، وبعد وفاة الآخوند جاء إلى مدينة قم المقدسة وشرع بتدريس كتاب الكفاية. وقد نقل العديد من الفضلاء عنه كرامات عديدة، منها ما نقله أحدهم عن لسان الشيخ الاصفهاني وهي:

في إحدى أيام شهر رمضان المبارك حيث صادف وقوعه في فصل الصيف ذهبت بعد الزوال إلى زيارة المرقد الطاهر لمولانا الإمام أمير

---

(١) أمالي الصدوق/ المجلس الحادي والأربعون/ ص٢٣٤/ح٧.

(٢) مستدرك وسائل الشيعة/ج٥/ باب ٢٨ استحباب الدعاء في جوف الليل/ ص٢٠٧/ح١.

(٣) من توجيهات سماحته بجمع من الزوّار من مدينة سيهات السعودية/ الرابع من شهر رجب الأصبّ ١٤٢٧ للهجرة.

المؤمنين صلوات الله عليه. ولدى وصولي للمرقد رأيت أن عدد الحاضرين في الصحن الشريف لا يتجاوز العشرة لشدة الحرّ. فوقفت أمام الضريح الطاهر وبدأت بقراءة زيارة (أمين الله)، وتفاعلت شديداً مع عبارات الزيارة، رغم أنني كنت متعباً وجائعاً وعطشان جداً. وعندما وصلت إلى عبارة (وموائد المستطعمين مُعَدّة) رأيت أمامي مائدة واسعة وفيها أطيب الأطعمة والأشربة وأنا جالس آكل منها، فعلمت أنني في عالم المكاشفة. وبعد لحظات رجعت إلى حالتي الأولى ولكن وجدت نفسي شبعان ومرتوياً، وبقيت على هذه الحالة إلى الليل حتى أنني لم أجد رغبة لتناول الأكل أو شرب الماء حين الإفطار(١).

[١٣١]

الله ينجي المتقين

إن الله تعالى يعين الفرد المتقي في الخلاص من المشاكل ويهديه إلى النجاة من الصعوبات والأزمات والابتلاءات.

وبهذا الصدد أذكر لكم الرواية التالية: كان لخالد القسري والي منصور الدوانيقي على المدينة غلام يدعى رزام قال: بعثني أبو جعفر عبد الله الطويل وهو المنصور إلى المدينة وأمرني إذا دخلت المدينة أن أفضّ

---

(١) من حديث لسماحته بجمع من العلماء وفضلاء الحوزة العلمية والشخصيات في ليالي شهر رمضان المبارك ١٤٢٨ للهجرة - الليلة ١٦.

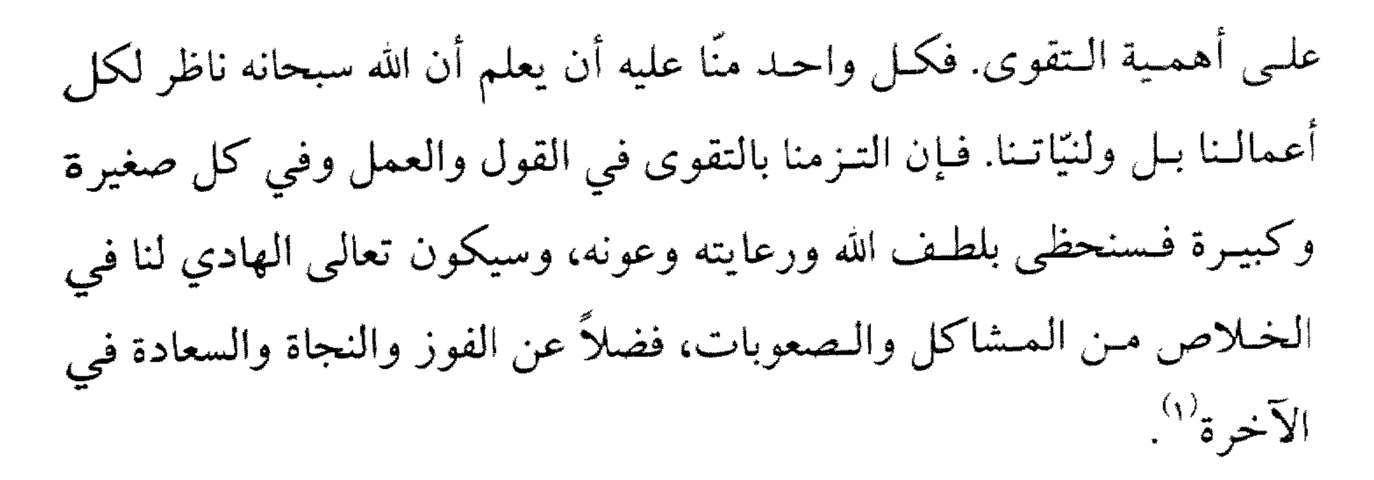
الكتاب الذي دفعه إليّ وأعمل بما فيه.

قال: فما شعرت إلا بركب قد طلعوا على حين قربت من المدينة، وإذا رجل قد صار إلى جانبي فقال: يا رزام! اتق الله ولا تشرك في دم آل محمد. قال: فأنكرت ذلك. فقال لي: دعاك صاحبك نصف الليل وخاط رقعة في جانب قباك وأمرك إذا صرت إلى المدينة تفضها وتعمل بما فيها. قال: فرميت بنفسي من المحمل وقبّلت رجليه وظننت أن ذلك صاحبي وأنت يا سيدي وصاحبي فما أصنع؟ قال: ارجع إليه واذهب بين يديه وتعال فإنه رجل نسّاء وقد أنسي ذلك فليس يسألك عنه. قال: فرجعت إليه فلم يسألني عن شيء، فقلت: صدق مولاي[1].ثم إن رزام هذا سجن بعد ذلك لأسباب فقال: وكنت أعذّب بالمدينة بعد ما خرج منها محمد بن خالد، فكان صاحب العذاب يعلّقني بالسقف ويرجع إلى أهله ويغلق عليّ الباب وكان أهل البيت إذا انصرف إلى أهله حلّوا الحبل عنّي ويحلّوني وأقعد على الأرض حتى إذا دنا مجيئه علّقوني. فو الله إني كذلك ذات يوم إذا رقعة وقعت من الكوة إليّ من الطريق، فأخذتها فإذا هي مشدودة بحصاة فنظرت فيها خطّ أبي عبد الله (الصادق)عليه السلام فإذا فيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، قل يا رزام: يا كائناً قبل كل شيء ويا كائناً بعد كل شيء ويا مكوّن كل شيء ألبسني درعك الحصينة من شرّ جميع خلقك». قال رزام: فقلت ذلك، فما عاد إليّ شيء من العذاب بعد ذلك[2]. هذه الرواية خير شاهد

---

(١) دلائل الإمامة/ ذكر معجزاته سلام الله عليه/ ص١٢٩.

(٢) رجال الكشي/ ما روي في رزام مولى خالد القسري/ ص٣٤١.



على أهمية التقوى. فكل واحد منّا عليه أن يعلم أن الله سبحانه ناظر لكل أعمالنا بل ولنيّاتنا. فإن التزمنا بالتقوى في القول والعمل وفي كل صغيرة وكبيرة فسنحظى بلطف الله ورعايته وعونه، وسيكون تعالى الهادي لنا في الخلاص من المشاكل والصعوبات، فضلاً عن الفوز والنجاة والسعادة في الآخرة[١].

[١٣٢]

هدية من مولانا علي الأكبر

استفاد أحد العلماء من الروايات والأخبار التي تحدّث عن عالم ما بعد الموت، وقدّم - عبر قصّة يمثّل هو فيها دور الشخصية الأولى - صورة عن أحوال وأهوال البرزخ والقيامة.

يقول هذا العالم في كتابه: عندما مت وأنزلوني في القبر، ... بعد برهة عدت إلى رشدي وفتحت عيني وإذا بي في غرفة مفروشة، ورأيت شابّاً صبيحاً، طيّب الرائحة حسن الخلق والمظهر تقدّم نحوي وقال: أنا نتيجة أعمالك الخيّرة وعباداتك وطاعتك وحسن خُلُقك وخدمتك لوالديك ولعباد الله، لقد تجلّت كلها في صورتي أنا. فكان ذلك الشاب مونساً لي وكانت رؤيته تفتح قلبي وتشجعني وتسلّيني.

ثم جاءني بعد ذلك شخص قبيح الخلق والمنظر موحشاً مغضباً مفزعاً،

---

(١) من إرشادات سماحته بجمع من أهالي مدينتي أصفهان وآذربيجان الإيرانيتين/ يوم الجمعة الموافق للثامن عشر من شهر جمادى الآخرة ١٤٢٧ للهجرة.

وقال لي: أنا نتيجة أعمالك السيئة، فملأني الخوف برؤيته وأحسست كأني في الجحيم...

يقول الكاتب: في أحد الأيام شعرت بجوع شديد فطلبت من الشاب الجميل أن يأتيني بطعام، فبشّرني أن أهلي سيعملون لي مبرّات في هذه الليلة وأن ثوابها سيصل إليّ. وذهبت بمعونته إلى سطح دارنا فرأيت أبنائي قد مدّوا سفرة طعام ودعوا إليها الناس، ورأيت بنفسي أن المثوبات تصعد من السفرة صوب السماء، ولكن لم يصلني منها أي شيء فعُدت خائباً إلى قبري. وعندما دخلت القبر لاحظت أن رائحة زكية تملأ المكان ورأيت تفاحة طيّبة الرائحة، وعندما سألت الشاب الوسيم عنها قال: لم يكن الدافع وراء تلك الوليمة التي أعدها ذووك رضا الله تعالى بل مصالح دنيوية ولذلك لم يصلك منها شيء، أما هذه التفاحة فهي هدية لك من علي الأكبر ابن الإمام الحسين سلام الله عليهما، وذلك أنك، بعد زيارتك للإمام الحسين سلام الله عليه في أحد الأيام، وقفت على المرقد الطاهر لعلي الأكبر وتذكرت مصابه فانكسر قلبك.

إنّ لعالم الآخرة شبهاً كبيراً بهذه الدنيا، فإذا عمل الإنسان خيراً في هذه الدنيا فسيكون مسروراً في ذلك العالم. وروي أنّه من كانت عنده زوجة سيئة الخلق في الدنيا وتعامل معها بخلق حسن، فإنّه يدخل الجنة قبلها.

استناداً إلى الروايات الواصلة من أهل البيت سلام الله عليهم فإنّ الأموات ينتظرون الخيرات والمبرّات التي يقوم بها لهم أقرباؤهم، خصوصاً

في ليالي الجمع، فإنّهم - حسب الروايات - يذهبون إلى سطوح ديارهم وديار أقربائهم وينتظرون إرسال الخيرات والمثوبات. ومن هنا فإن ذكر الأموات حتى بقول «سبحان الله» أو «لا إله إلا الله» أو قراءة سورة الفاتحة واهدائها لهم سيدخل السرور عليهم وسيبلغهم ثواب حتى هذا العمل الصغير في الظاهر. لأنّ عمل الخير لا يضيع مهما كان صغيراً وإن كان مثقال ذرة كما في الآية المباركة[١].

[١٣٣]

لقاء الشيخ السريرة بالإمام المنتظر

بعض المشاكل التي يواجهها الانسان مقدّرة له، ولا سبيل للخلاص منها، وليس أمامه إلاّ الصبر عليها وشكر الله تعالى على كل حال، ولكن مع ذلك لا ينبغي الجزع واليأس ولا ترك الدعاء والتضرّع لأن الله تعالى يحبّ دعاء عبده المؤمن. بهذا الخصوص أذكر قصّة من كتاب بحار الأنوار؛ وهي:

«حدّث الشيخ الفاضل العالم الثقة الشيخ باقر الكاظمي - المجاور في النجف الأشرف - آل الشيخ طالب نجل العالم العابد الشيخ هادي الكاظمي قال: كان في النجف الأشرف رجل مؤمن يسمّى الشيخ محمد حسن السريرة، وكان في سلك أهل العلم ذا نيّة صادقة، وكان معه مرض السُّعال

---

(١) من توجيهات سماحته بجمع من السيدات والسادة من أهالي يزد وأصفهان/ يوم الجمعة التاسع من صفر ١٤٢٧ للهجرة.

إذا سعل يخرج من صدره مع الأخلاط دم، وكان مع ذلك في غاية الفقر والاحتياج، لا يملك قوت يومه، وكان يخرج في أغلب أوقاته إلى البادية إلى الأعراب الذين في أطراف النجف الأشرف، ليحصل له قوت ولو شعير، وما كان يتيسّر ذلك على وجه يكفيه، مع شدّة رجائه، وكان مع ذلك قد تعلّق قلبه بالزواج من امرأة من أهل النجف، وكان يطلبها من أهلها وما أجابوه إلى ذلك لقلّة ذات يده، وكان في همّ وغمّ شديد من جهة ابتلائه بذلك.

فلما اشتدّ به الفقر والمرض وأيس من تزويج البنت، عزم على ما هو معروف عند أهل النجف من أنّه من أصابه أمر فواظب الرواح إلى مسجد الكوفة أربعين مرّة ليلة الأربعاء، فلا بدّ أن يرى صاحب الأمر عجّل الله فرجه من حيث لا يعلم ويقضي له مراده.

قال الشيخ باقر قدّس سرّه: قال الشيخ محمد: فواظبت على ذلك أربعين ليلة بالأربعاء فلما كانت الليلة الأخيرة وكانت ليلة شتاء مظلمة، وقد هبّت ريح عاصفة فيها قليل من المطر، وأنا جالس في الدكّة التي هي داخل في باب المسجد وكانت الدكّة الشرقية المقابلة للباب الأوّل تكون على الطرف الأيسر، عند دخول المسجد، ولا أتمكّن الدخول في المسجد من جهة سعال الدّم، ولا يمكن قذفه في المسجد، وليس معي شيء أتّقي فيه عن البرد، وقد ضاق صدري، واشتدّ عليّ همّي وغمّي، وضاقت الدنيا في عيني، وأفكّر أنّ الليالي قد انقضت، وهذه آخرها، وما رأيتأحداً ولا ظهر لي شيء، وقد تعبت هذا التعب العظيم، وتحمّلت المشاقّ والخوف في أربعين ليلة،

أجيء فيها من النجف إلى مسجد الكوفة، ويكون لي الإياس من ذلك.فبينما أنا أفكّر في ذلك، وليس في المسجد أحد أبداً وقد أوقدت ناراً لأسخن عليها قهوة جئت بها من النجف، لا أتمكّن من تركها لتعوّدي بها وكانت قليلة جداً إذا بشخص من جهة الباب الأوّل متوجّها إليّ فلمّا نظرته من بعيد تكدّرت وقلت في نفسي: هذا أعرابي من أطراف المسجد، قد جاء إليّ ليشرب من القهوة وأبقى بلا قهوة في هذا الليل المظلم، ويزيد عليّ همّي وغمّي.

فبينما أنا أفكّر إذا به قد وصل إليّ وسلّم عليّ باسمي وجلس في مقابلي، فتعجّبت من معرفته باسمي، وظننته من الذين أخرج إليهم في بعض الأوقات من أطراف النجف الأشرف، فصرت أسأله من أي العرب يكون؟ قال: من بعض العرب، فصرت أذكر له الطوائف التي في أطراف النجف، فيقول: لا لا، وكلّما ذكرت له طائفة قال: لا لست منها.

فأغضبني وقلت له: أجل أنت من طُريطرة مستهزئاً وهو لفظ بلا معنى، فتبسّم من قولي ذلك، وقال: لا عليك من أينما كنت، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ فقلت: وأنت ما عليك السؤال عن هذه الأمور؟ فقال: ما ضرّك لو أخبرتني. فتعجّبت من حسن أخلاقه وعذوبة منطقه، فمال قلبي إليه، وصار كلّما تكلّم ازداد حبّي له، فعملت له السبيل من التتن، وأعطيته، فقال: أنت اشرب فأنا ما أشرب، وصببت له في الفنجان قهوة وأعطيته، فأخذه وشرب شيئاً قليلاً منه، ثم ناولني الباقي وقال: أنت اشربه فأخذته وشربته، ولم ألتفت إلى عدم شربه تمام الفنجان، ولكن يزداد حبّي له آناً فآنا.

فقلت له: يا أخي أنت قد أرسلك الله إليّ في هذه الليلة تأنسني أفلا تروح معي إلى أن نجلس في حضرة مسلمعليه السلام ونتحدّث؟ فقال: أروح معك فحدّث حديثك.

فقلت له: أحكي لك الواقع أنا في غاية الفقر والحاجة، مذ شعرت على نفسي ومع ذلك، معي سعال أتنخّع الدّم، وأقذفه من صدري منذ سنين، ولا أعرف علاجه وما عندي زوجة، وقد علق قلبي بامرأة من أهل محلّتنا في النجف الأشرف، ومن جهة قلّة ما في اليد ما تيسّر لي أخذها.

وقد غرّني هؤلاء الملاّئيّة وقالوا لي اقصد في حوائجك صاحب الزمان وبت أربعين ليلة الأربعاء في مسجد الكوفة، فإنّك تراه، ويقضي لك حاجتك وهذه آخر ليلة من الأربعين، وما رأيت فيها شيئاً وقد تحمّلت هذه المشاقّ في هذه الليالي فهذا الذي جاء بي هنا وهذه حوائجي.

فقال لي وأنا غافل غير ملتفت: أما صدرك فقد برئ، وأما المرأة فتأخذها عن قريب، وأما فقرك فيبقى على حاله حتى تموت.

وأنا غير ملتفت إلى هذا البيان أبداً. فقلت: ألا تروح إلى حضرة مسلم؟ قال: قم، فقمت وتوجّه أمامي، فلمّا وردنا أرض المسجد فقال: ألا تصلّي صلاة تحيّة المسجد، فقلت: أفعل، فوقف هو قريباً من الشاخص الموضوع في المسجد، وأنا خلفه بفاصلة، فأحرمت للصلاة وصرت أقرأ الفاتحة.

فبينما أنا أقرأ وإذا يقرأ الفاتحة قراءة ما سمعت أحداً يقرأ مثلها أبداً،

فمن حُسن قراءته قلت في نفسي: لعلّه هذا هو صاحب الزمان وذكرت بعض كلمات له تدلّ على ذلك، ثم نظرت إليه بعد ما خطر في قلبي ذلك، وهو في الصلاة، وإذا به قد أحاطه نور عظيم منعني من تشخيص شخصه الشريف، وهو مع ذلك يصلّي وأنا أسمع قراءته، وقد ارتعدت فرائصي، ولا أستطيع قطع الصلاة خوفاً منه فأكملتها على أيّ وجه كان، وقد علا النور من وجه الأرض، فصرت أندبه وأبكي وأتضجّر وأعتذر من سوء أدبي معه في باب المسجد، وقلت له: أنت صادق الوعد وقد وعدتني الرّواح معي إلى مسلم.

فبينما أنا أكلّم النور، وإذا بالنور قد توجّه إلى جهة المسلم، فتبعته فدخل النور الحضرة، وصار في جوّ القبّة، ولم يزل على ذلك ولم أزل أندبه وأبكي حتى إذا طلع الفجر، عرج النور.

فلما كان الصباح التفتّ إلى قوله: أما صدرك فقد برئ، وإذا أنا صحيح الصدر، وليس معي سعال أبداً، وما مضى أسبوع إلا وسهّل الله عليّ أخذ البنت من حيث لا أحتسب، وبقي فقري على ما كان كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين»[(١)(٢)].

[١٣٤]

من بركات كتاب المراجعات

هذه القصة تعود لأخوين عالمين أدركتهما وهما الشيخ أحمد أمين

(١) بحار الأنوار / للعلامة المجلسي / ج ٥٣ / ص ٢٤٠ / الحكاية الخامسة عشرة.

(٢) من إرشادات سماحته بجمع من المؤمنين والفضلاء / ٨ شهر رمضان المبارك ١٤٢٦ للهجرة.

الأنطاكي والشيخ محمد مرعي الانطاكي رضوان الله عليهما. وكانت لي جلسات عديدة معهما، عاش هذان العالمان قبل أكثر من خمسين سنة، أي في حياة المرجع الديني آية الله العظمى البروجردي والعلاّمة الآية الكبرى السيد عبد الحسين شرف الدين رحمة الله عليهما، فقد توفي المرحوم شرف الدين قبل بضع سنوات من وفاة المرجع البروجردي رحمه الله.

كان هذان الأخوان علماء غير شيعة يعيشان في قرى أطراف مدينة حلب. وشاء الله تعالى أن يقع بين يدي أحدهما نسخة من كتاب (المراجعات) للسيد شرف الدين رحمه الله. ولم يكن الشخص إنساناً عادياً بل كان عالماً وإماماً في منطقته. وعندما طالع الكتاب دهش بما جاء فيه؛ فبدأ بمراجعة الكتب الأخرى للتأكّد والمقارنة، فاكتشف أنّ كل ما جاء في (المراجعات) صحيح ودقيق، فتحوّل على أثر ذلك إلى مذهب التشيع لآل البيت سلام الله عليهم ولكنه كتم إيمانه، فكان كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[١].

ثم عرض الكتاب على أخيه، فرفض الأخ في البداية بشدّة وقال - كما ورد في ما كتبوه بعد ذلك - ومن هم الشيعة لأقرأ كتابهم؟ إن هؤلاء ليس عندهم مقال يعتدّ به جدير أن يقرأ، وما أشبه. ولكن حبّ الإطلاع دفعه لتصفّحه في إحدى الليالي، وانتهى به المطاف إلى التشيّع هو الآخر.

ثم تسرّب الخبر شيئاً فشيئاً إلى بعض المقرّبين من أتباعهما، واكتشف

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٨.

أمر تشيّعهما وأصبح معلناً بعد فترة من الزمن.

وكانت تلك المنطقة تتمتع بحرية، أي لم يكن هذا الأمر يعرّضهم للمحاسبة والبلاء، ولكن عندما انتهى الخبر إلى مسؤول رواتب العلماء وأئمة المساجد هناك قطع مرتبهما الشهري، وكان (٣٠٠) ليرة وهو مبلغ جيّد في تلك الأيام.

وكما هو معلوم أنّ علماء الشيعة طول التاريخ لا يتقاضون رواتبهم من الدولة بل يتمتعون باستقلالية من هذه الجهة أيضاً، لأنّ الأئمة الأطهار سلام الله عليهم هم الذين أمروا شيعتهم بدفع حقوقهم الشرعية إلى علماء الدين ليصرفوها في مجال التبليغ ويؤمّنوا معاشهم في حدود الاقتصاد أيضاً عن هذا الطريق؛ لذلك فمهما مارست الحكومات عليهم من ضغوط وصبّت عليهم من ألوان العذاب يبقى مصدر رزقهم محفوظاً لا يستطيعون التأثير عليه. أما الكثير من علماء المذاهب الأخرى فمرتبطون بالحكومات من هذه الجهة. ولذلك بقي هذان العالمان حائرين لا يدريان ما يصنعان؟ فمن جهة لا يريدان الرجوع عن مذهب الحق، ومن جهة أخرى أصبح أمرهما مكشوفاً لا يمكنهما إنكاره؟ لذلك ذهبا إلى المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين وشرحا له القضية، فكتب رحمه الله رسالة إلى المرحوم السيد البروجردي - وكانا قد تتلمذا معاً على المرحوم الآخوند في النجف الأشرف - شرح له فيها قضية هذين العالمين وأوصاه بهما.

فكلّف السيد البروجردي شخصاً أن يعطيهما نفس المبلغ الذي كانا يتقاضيانه كل شهر سابقاً، وهكذا تم تأمين معاشهما، واستمرّا على هذه الحال حتى وفاة السيد البروجردي، حيث انشغلا بالتبليغ والهداية في

منطقتهما، ولم تعترضهما الحكومة آنذاك بل اكتفت بقطع مرتبيهما.

لقد التقيت هذين العالمين بعد وفاة السيد البروجردي فقالا لي:

لقد اهتدى على يدينا منذ الفترة التي اهتدينا فيها حتى اليوم الذي قطعت فيه الحكومة مرتبنا أكثر من ألف شخص. أما مجموع الذين اهتدوا بعد سنوات من ذلك التاريخ فقد زاد عددهم خمسَة آلاف، لأنهم بدأوا بممارسة التبليغ إلى مذهب أهل البيت بصورة علنية، وكانت الأرضية مهيّأة لهما، والساحة خالية، إلى حدّ ما.

بعد وفاة المرحوم البروجردي بدءا بالتنقل إلى ايران والعراق والخليج، وكانت للقاءاتهما ثمرات مهمّة؛ لأنهما كانا ينقلان قصتهما من جهة ومن جهة أخرى صارا يحتكّان بسائر علماء الشيعة وخطباء الشيعة وتجار الشيعة ومثقفي الشيعة، وهكذا من غير الشيعة.

وعندما التقى الشيخ أحمد أمين (وهو الأخ الأكبر) بالمرحوم الأخ آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي أعلى الله درجاته، رغّبه بأن يكتب قصّة تشيّعه. وقال: إن قصتي مفصّلة جداً. فقال له الأخ: ليس بالضرورة أن يكون الكتاب استدلالياً فيه بحث علميّ مفصل، بل يكفي أن يكون قصصياً وإن تخللته استدلالات بسيطة وقليلة. فبدأ به، وألّف كتيّباً في حوالي ستين صفحة، وطبعه في نفس الأيام باسم: (في طريقي إلى التشيّع) وكان كتيّباً جميلاً حقاً، لأنه كتبه بأسلوب قصصي جميل ضمّنه استدلالات مختصرة.

ثم ألّف أخوه (الشيخ محمد مرعي) كتاباً مفصلاً بعد ذلك، طبع بعد سنوات، سمّاه: (لماذا اخترت مذهب أهل البيت) وقد طبع الكتابان مراراً.

ووفّقا بعد ذلك لهداية كثير من الناس وإعداد كثير من الطلبة والمبلغين في هذا المجال، ويعلم الله كم بلغ عدد الذين اهتدى بسببهم منذ ذلك التاريخ حتى وفاتهما وبعد ذلك أيضاً حتى يومنا هذا، وسيتواصل ذلك في المستقبل بإذن الله تعالى.

أقول: كلّ ذلك يعود إلى كتاب واحد، هو كتاب (المراجعات)، وهذا يكشف عن أهمية الكتابة والتأليف وبذل الجهد في طريق الهداية والتبليغ وعدم اليأس في هذا المجال أبداً. قد لا يؤثر مئة كتاب، ولكن الكتاب الذي يؤثر هو على كل حال، واحد من هذه الكتب[١].

[١٣٥]

لطف الإمام بالزائر العارف

ذكر العلاّمة المجلسيقدس سره في موسوعته (بحار الأنوار): قال عبد الله ابن محمد الجمال الرازي: كنت وعلي بن موسى بن بابويه القمّي وفد أهل الري، فلما بلغنا نيسابور قلت لعلي بن موسى القمي: هل لك في زيارة قبر الرضا سلام الله عليه بطوس؟

فقال: خرجنا إلى هذا الملك ونخاف أن يتصل به عدوّ لنا إلى زيارة القبر ولكنا إذا انصرفنا. فلما رجعنا قلت له: هل لك في الزيارة؟

فقال: لا يتحدث أهل الري أني خرجت من عندهم مرجئاً وأرجع إليهم رافضياً.

قلت: فتنتظرني في مكانك؟

(١) من محاضرة (المسؤولية اليوم).

قال: أفعل. وخرجت، فأتيت القبر عند غروب الشمس وأزمعت المبيت على القبر، فسألت امرأة حضرت من بعض سدنة القبر: هل من حذر بالليل؟

قالت: لا. فاستدعيت منها سراجاً وأمرتها بإغلاق الباب ونويت أن أختم القرآن على القبر. فلما كان في بعض الليل سمعت قراءة، فقدرت أنها قد أذنت لغيري، فأتيت الباب فوجدته مغلقاً وانطفأ السراج، فبقيت أسمع الصوت، فوجدته من القبر وهو يقرأ سورة مريم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَانِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾وما كنت سمعت هذه القراءة، فلما قدمت الري بدأت بأبي القاسم العباس بن الفضل بن شاذان فسألته: هل قرأ أحد بذلك؟ فقال: نعم النبي، وأخرج إليّ قراءته ﷺ، فإذا هي كذلك[١].

إنّ الإمام سلام الله عليه يشهد مقام كل زائر ويسمع كلامه ويردّ سلامه ويستجيب له، فيجدر بالزوّار أن يكونوا عارفين بحقّ الإمام المزور حتى تشملهم ألطافه وفضائله[٢].

[١٣٦]

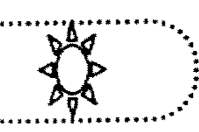
اقض حوائج الناس نحن ننصرك

كان شخص يسمى (الشيخ محمد الكوفي) يسكن في مدينة النجف الأشرف، وبعد فترة سكن مدينة الكوفة واتخذ من إحدى غرف مسجد

---

(١) بحار الأنوار/ ج٤٩/ باب ٢٣ ما ظهر من بركات الروضة الرضوية/ ص ٣٣٧/ ح١٦.

(٢) من إرشادات سماحته بجمع من زوّار مولانا الإمام الرضا صلوات الله عليه من محافظة آذربايجان الإيرانية/ الأحد الثالث والعشرين من شهر صفر المظفر ١٤٢٩ للهجرة.



الكوفة سكناً له، وكان يذهب إلى زيارة مسجد السهلة.

كان ذلك في عصر مرجع الشيعة الكبير سماحة السيد أبي الحسن الإصفهاني رحمة الله عليه وكان السيد يعطي الطلاب ديناراً شهرياً مع كمية من الخبز تكفي لشهر واحد حيث كان الطلاب يستلمونها من المخابز وكانت مبالغها تكتب على حساب السيد.

وكان الشيخ محمد الكوفي يذهب إلى النجف الأشرف مرة كل أسبوع فيستلم مقداراً من الجبن واللبن والخبز، ويجففهما ليستطيع الاستفادة منها خلال أسبوع، كما كان خادم مسجد الكوفة يعطيه ما يزيد من طعامه.

ذات يوم دخل الشيخ محمد على السيد أبي الحسن وبدأ يبكي شديداً، وبعد أن سأله السيد: مم بكاؤك؟ قال: كنت لسنين أبحث عن مولاي الحجة بن الحسن عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فرأيته ذات مرة ولكنني ما عرفته وعندما تعرّفت عليه فقدته.

فسأله السيد: وكيف حدث ذلك؟ قال: كنت ماشياً في الطريق الذي يربط بين مسجدي الكوفة والسهلة، فأحست أن خلفي شخصاً، فقال لي: يا شيخ محمد من أين تأكل؟ فقلت: من دينار وخبز السيد أبي الحسن الاصفهاني الذي يعطيهما مجّاناً للطلاب. فقال لي: قل للسيد أبي الحسن: «رخّص نفسك، واجلس في الدهليز واقض حوائج الناس، نحن ننصرك».

فتناول السيد أبو الحسن على الفور ورقة وكتب فيها هذه الوصية.

وقد نقلوا عن السيد رحمه الله أنه كان يقول: عندما كنت أحسّ بالتعب والضغط جرّاء الأعمال اليومية والمسؤوليات كنت أتناول هذه الورقة واقرأ

ما أوصى به مولاي بقية الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف فكان التعب يذهب عني ومعنوياتي تتجدد.

لقد رحل السيد أبو الحسن ولكن وصية مولانا صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف باقية وهي وصية للجميع.

إذن علينا أن لا نعطي مجالاً للتعب وأن نقي أنفسنا من عبارات كـ: هذا ليس من عملي، أو ليس بشأني، أو وقتي ثمين و... . فأئمتنا الهداة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانوا يقضون معظم أوقاتهم في قضاء حوائج الناس. ثم إن وقتنا ليس بأقدس وأعزّ من أوقاتهم سلام الله عليهم[١].

---

(١) من توجيهات سماحته بجمع من الأخوة الفضلاء العاملين في مكتب سماحته بمدينة قم المقدسة / ١٤٢٧ للهجرة.

فهرس الكتاب


الإخراج الفني
كمبيوتر المهدي
+ ٩٨ - ٩١٩٢٥٢٤٩٦٩